

الجامع لروائع البيان في تفسير آيات القرآن

الجزء الثالث عشر

الموقع الرسمي للكاتب والداعية الإسلامي المصري

سيد مبارك

[/http://sayed2015.forumegypt.net](http://sayed2015.forumegypt.net)

لمراسلة الشيخ

Sayedmobark1960@yahoo.com

الجامع لروائع البيان في تفسير آيات القرآن

الجزء الثالث عشر

من الآية رقم ٥٣ سورة يوسف حتى نهاية سورة إبراهيم

{ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣) }

إعراب مفردات الآية (١)

(الواو) عاطفة (ما) حرف نفى (أبرئ) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا (نفسى) مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير في محل جر مضاف إليه (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ- (النفس) اسم إنّ منصوب (اللام) المرحلقة للتوكيد (أمارّة) خبر إنّ مرفوع (بالسوء) جازّ ومجرور متعلّق بأمارّة (إلا) أداة استثناء (ما) اسم موصول في محلّ نصب على الاستثناء المتّصل «٢»، (رحم) فعل ماض (ربّي) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل الياء، و (الياء) مثل الأول (إنّ ربّي) مثل إنّ النفس (غفور) خبر إنّ مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }

-قال السعدي -رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: { وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي } أي: من المراودة والهّم، والحرص الشديد، والكيد في ذلك. { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان { إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } فنجاه من نفسه الأمارّة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاضية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده.

{ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأتاب، { رَحِيمٌ } بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصالحة. وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن

السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر. اهـ (٣)

١-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٠)

٢ -لأنّ (ما) بمعنى (من) تعبّر عن نفس من النفوس، و (ال) في النفس دالة على استغراق الجنس.

٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٠)

-وزاد أبو جعفر الطبري في بيان قوله تعالى { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } وانتصر للرأي القائل أنه من كلام يوسف عليه السلام عكس ما ذهب إليه السعدي فقال: يقول يوسف صلوات الله عليه: وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها { إن النفس لأماراة بالسوء } ، يقول: إن النفوس نفوس العباد، تأمرهم بما تحواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله { إلا ما رحم ربي } يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء { إن ربي غفور رحيم } اهـ(٤)

-وذهب ابن القيم -رحمه الله- في بيانها أن مدلول الكلام يبين بجلاء أن القول لامرأة العزيز و يؤكد ما ذهب إليه السعدي -رحمه الله- في تفسيره للآية فقال بتصريف يسير:

فإن قيل: فكيف قال وقت ظهور براءته؟

قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين. وخالفهم في ذلك آخرون وقالوا: إن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف عليه السلام.

والصواب معهم من وجوه.

أحدها: أنه متصل بكلام المرأة، وهو قولها { الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ. أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ. وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي } ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه ما.

والقول في مثل هذا لا يحذف، لئلا يوقع في اللبس. فإن غايته: أن يحتمل الأمرين. فالكلام الأول أولى به قطعاً.

والثاني: أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقاتلتها هذه، بل كان في السجن لما تكلمت بقولها الآن «حصحص الحق» والسياق صحيح صريح في ذلك. فإنه لما أرسل إليه الملك يدعوه قال للرسول { قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } فأرسل إليهن الملك وأحضرهن، وسألهن، وفيهن امرأته. فشهدن ببراءته ونزاهته في غيبته، ولم يمكنهن إلا قول الحق، فقال النسوة حاش لله ما علمنا عليه من سوءٍ وقالت امرأة العزيز أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.

فإن قيل: لكن قوله { ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ } الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام، أي إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أنني لم أخنه في امرأته في حال غيبته، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال: { وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } وهذا من تمام معرفته صلى الله عليه وسلم بربه ونفسه.

٤- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٤٢ /)

فإنه لما أظهر نزاهته وبراءته مما قذف به أخبر عن حال نفسه، وأنه لا يذكيها ولا يبرئها، فإنها أمانة السوء، لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه. فرد الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته.

قيل: هذا وإن كان قد قاله طائفة. الصواب أنه من تمام كلامها، ولكن فإن الضمائر كلها في نسق واحد يدل عليه. وهو قول النسوة { مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ } وقول امرأة العزيز { أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } هذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر. ثم اتصل بما قوله: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ فهذا هو المذكور أولاً بعينه.

فلا شيء يفصل الكلام من نظمه، ويضم فيه قول لا دليل عليه.

فإن قيل: فما معنى قولها: { لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ }.

قيل: هذا من تمام الاعتذار، قرنت الاعتذار بالاعتراف، فقالت ذلك أي قولي هذا وإقراري ببراءته: ليعلم أي لم أخنه بالكذب عليه في غيبته، وإن خنته في وجهه في أول الأمر، فالآن يعلم أي لم أخنه في غيبته، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها { وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي } ثم ذكرت السبب الذي لأجله لم تبرئ نفسها، وهي أن النفس أمانة بالسوء.

فتأمل ما أعجب أمر هذه المرأة، أقرت بالحق واعتذرت عن محبوبها، ثم اعتذرت عن نفسها، ثم ذكرت السبب الحامل لها على ما فعلت، ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر.

فوازن بين هذا وبين تقدير كون هذا الكلام كلام يوسف عليه السلام لفظاً ومعنى.

وتأمل ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك. فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالى وبحقه، وإن أشركوا معه غيره. ولا تنس قول سيدها لها في أول الحال { وَأَسْتَغْفِرِي }

لَذَنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ } اهـ (٥)

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) }

إعراب مفردات الآية (٦)

(الواو) استئنافية (قال) فعل ماض (الملك) فاعل مرفوع (ائتوا) فعل أمر مبني على حذف النون. والواو فاعل و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير في محل نصب مفعول به (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (ائتوني) ، (أستخلصه) مضارع مجزوم بجواب الطلب، و (الهاء) ضمير في محلّ نصب مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا (لنفسى) جارّ ومجرور متعلق ب (أستخلصه) ، و (الياء) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه (الفاء) عاطفة (لما) ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط مبني في محلّ نصب متعلق ب (قال) ، (كلمه) فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر

٥- تفسير القرآن الكريم - لابن القيم - (ص / ٣٣١)

تقديره هو، أي الملك «^٧» .. و (الهاء) مفعول به (قال) مثل كلم، والفاعل هو أي الملك (إِنَّكَ) حرف مشبّه بالفعل ... و (الكاف) اسم إن في محلّ نصب (اليوم) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (مكين) (لدينا) ظرف مكان مبنيّ على السكون في محلّ نصب متعلّق بمكين ... و (نا) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه (مكين) خبر إنّ مرفوع (أمين) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها: يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه، التي كان رآها، بما أعجبه وأيقنه، فعرف فضل يوسف، عليه السلام، وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه، فقال { ائْتُونِي بِهِ } أي: أخرجوه من السجن وأحضروه. فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته، ونزاهة عرضه، مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه، بل كان ظلما وعدوانا، قال: { أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم }

وقد وردت السنة بمدحه على ذلك، والتنبية على فضله وشرفه، وعلو قدره وصبره، صلوات الله وسلامه عليه، ففي المسند والصحیحين من حديث الزهري، عن سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال { رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي } [البقرة: ٢٦٠] ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي" (٨). اهـ (٩)

- وزاد السعدي فقال: { ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي } أي: أجعله خصيصة لي ومقربا لديّ فأتوه به مكرما محترما. اهـ (١٠)

(فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)

^٧ - يجوز أن يكون الفاعل هو يوسف لا الملك.

^٨ - أخرجه البخاري في صحيحه برقم / ٣٣٧٢ - بَابُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ } [الحجر: ٥٢]

^٩ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٩٣)

^{١٠} - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٠)

{ فلما كلمه } أي: خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك: { إنك اليوم لدينا مكين أمين } أي: إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة-قاله ابن كثير- رحمه الله في تفسيره. اهـ (١١)

{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ (٥٥) }

إعراب مفردات الآية (١٢)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يوسف (اجعلني) فعل أمر دعائي، و (النون) للوقاية، و (الياء) مفعول به، والفاعل أنت (على خزائن) جازّ ومجرور متعلّق بمحذوف مفعول به ثانٍ «١٣»، (الأرض) مضاف إليه مجرور (إني حفيظ عليهم) مثل إنك مكين أمين.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها: { قَالَ } يوسف طلبا للمصلحة العامة: { اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ } أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلا حافظا مدبرا.

{ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ } أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها. اهـ (١٤) -زاد أبو جعفر الطبري في بيان معني قوله: { إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ } فقال: اختلف أهل التأويل في تأويله. فقال بعضهم: معنى ذلك: إني حفيظ لما استودعتني، عليم بما وليتني.

وذكر من قال بذلك: كابن إسحاق وقتادة

وقال آخرون: إني حافظ للحساب، عليم بالألسن.

وذكر-رحمه الله- ممن قال ذلك: كالأشجعي

١١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٣٩٥)

(١٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٢)

١٣ - وإذا كان الفعل متعديا لواحد فالجار متعلّق بمحذوف حال من مفعول اجعلني.

١٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص/ ٤٠٠)

ثم قال: وأولى القولين عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: "إني حافظ لما استودعني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: {اجعني على خزائن الأرض} ، ومسألته الملك استكفاه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرةً في ذلك وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب، ومعرفته بالألسن. اهـ (١٥)

{ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } (٥٦)

إعراب مفردات الآية (١٦)

(الواو) استئنافية (الكاف) حرف جرّ وتشبيه «١٧»، (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ بالكاف متعلّق بمحذوف مفعول مطلق عامله مكّنا ...

و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (مكّنا) فعل ماض مبنيّ على السكون.. و (نا) ضمير في محلّ رفع فاعل (ليوسف) جارّ ومجرور متعلّق ب (مكّنا) ، (في الأرض) جارّ ومجرور متعلّق ب (مكّنا) ، (يتبّوا) مضارع مرفوع، والفاعل هو (من) حرف جرّ (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يتبّوا) ، (حيث) ظرف مكان مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب متعلّق ب (يتبّوا) ، (يشاء) مثل يتبّوا، والفاعل هو (نصيب) مضارع مرفوع، والفاعل نحن للتعظيم (برحمتنا) جارّ ومجرور متعلّق ب (نصيب) .. و (نا) ضمير مضاف إليه (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (نشاء) مثل نصيب (الواو) عاطفة (لا) نافية (نضيع) مثل نصيب (أجر) مفعول به منصوب (المحسنين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ }

- قال ابن كثير - رحمه الله في تفسيرها: يقول تعالى: {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض} أي: أرض مصر، {يتبّوا منها حيث يشاء}

قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يتصرف فيها كيف يشاء.

وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلاً حيث يشاء بعد الضيق والحبس والإسار. اهـ (١٨)

١٥ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٤٩ / ١٩٥٤)

(١٦) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٤)

١٧ - يجوز أن يكون اسماً بمعنى مثل فهو في محلّ نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفتة، والعامل فعل مكّنا أي: مثل ذلك التمكين في نفس الملك مكّنا ليوسف في الأرض، والمعنى مكّنا له في الأرض تمكيناً مثل ذلك التمكين

١٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٩٧)

{ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: { نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ } أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وليست مقصورة على نعمة الدنيا.

{ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. اهـ (١٩)

-وأضاف البغوي في بيانها فقال: { ولا نضيع أجر المحسنين } قال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين. قال مجاهد وغيره: فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف له حتى أسلم الملك وكثير من الناس. فهذا في الدنيا. اهـ (٢٠)

{ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (٥٧)

إعراب مفردات الآية (٢١)

(الواو) واو الحال (اللام) لام الابتداء تفيد التوكيد (أجر) مبتدأ مرفوع (الآخرة) مضاف إليه مجرور (خير) خبر مرفوع (اللام) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (خير) (آمنوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ.. و (الواو) فاعل (الواو) عاطفة (كانوا) مثل آمنوا وهو ناقص - ناسخ- و (الواو) اسم كان في محلّ رفع (يتقون) مضارع مرفوع ... و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }

- قال البغوي- رحمه الله في تفسيره: { ولا أجر الآخرة } ثواب الآخرة، { خير للذين آمنوا وكانوا يتقون } . فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام بأحسن التدبير، وبني الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجذبة، وأنفق بالمعروف حتى خلت السنوات المخصبة ودخلت السنوات المجذبة بهول لم يعهد الناس بمثله. اهـ (٢٢)

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٠)

٢٠- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٥٢)

-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٤)

٢٢- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٥٢)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى : {لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} أي: لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات. اهـ (٢٣)

{وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} (٥٨)

إعراب مفردات الآية (٢٤)

(الواو) استئنافية (جاء) فعل ماض (إخوة) فاعل مرفوع (يوسف) مضاف اليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (الفاء) عاطفة (دخلوا) مثل آمنوا «٢٥»، (على) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (دخلوا) (الفاء) عاطفة (عرفهم) فعل ماض.. و (هم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (له) مثل عليه متعلّق ب (منكرون) وهو خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو «٢٦».

روائع البيان والتفسير

{وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ}

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما مختصره: ذكر السدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهما من المفسرين: أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر، أن يوسف، عليه السلام، لما باشر الوزارة بمصر، ومضت السبع السنين المخصصة، ثم تلتها سنين الجذب، وعم القحط بلاد مصر بكاملها، ووصل إلى بلاد كنعان، وهي التي فيها يعقوب، عليه السلام، وأولاده. وحينئذ احتاط يوسف، عليه السلام، للناس في غلاتهم، وجمعها أحسن جمع، فحصل من ذلك مبلغ عظيم، وأهراء متعددة هائلة، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات، يمتارون لأنفسهم وعبائهم، فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة.

ثم أضاف- رحمه الله-: فلما دخلوا على يوسف، وهو جالس في أجهته ورياسته وسيادته، عرفهم حين نظر إليهم، {وهم له منكرون} أي: لا يعرفونه؛ لأنهم فارقه وهو صغير حدث فباعوه للسيارة، ولم يدروا أين يذهبون به، ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه، فلماذا لم يعرفوه، وأما هو فعرفهم.

اهـ (٢٧)

{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} (٥٩)

٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٠)

(٢٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٥)

٢٥ - في الآية السابقة (٥٧) .

٢٦ - أو اللام في (له) زائدة للتقوية، فمحلّ الهاء البعيد مفعول به لاسم الفاعل.

٢٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٣٩٧)

إعراب مفردات الآية (٢٨)

(الواو) عاطفة (لما) ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط مبني في محلّ نصب متعلّق ب (قال) ، (جهّزهم) مثل عرفهم (بجهّزهم) جارّ ومجرور متعلّق ب (جهّزهم) بتضمينه معنى أكرمهم ... و (هم) ضمير مضاف إليه (قال) فعل ماض والفاعل هو (اثتوني) مرّ إعرابه «٢٩» ، (بأخ) جارّ ومجرور متعلّق ب (اثتوا) ، (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت لأخ (من أياكم) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لأخ، وعلامة الجرّ الياء فهو من الأسماء الخمسة ...

و (كم) ضمير مضاف إليه (ألا) أداة عرض «٣٠» (ترون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون ... والواو والواو فاعل (أبيّ) حرف مشبّه بالفعل ... و (الياء) اسم أنّ (أوفي) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل أنا (الكيل) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (أنا) ضمير منفصل مبتدأ في محلّ رفع (خير) خبر مرفوع (المنزّلين) مضاف إليه مجرور. والمصدر المؤوّل (أبيّ أوفي ...) في محلّ نصب سد مسد مفعولي ترون.

روائع البيان والتفسير

{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اثْتُونِي بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَيْبِكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَيِّي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ }

-قال السعدي في تفسيرها ما نصه: وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ { أي: كال لهم كما كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخوا عند أبيه، وهو بنيامين.

ف { قَالَ } لهم: { اثْتُونِي بِأَخِ لَكُمْ مِنْ أَيْبِكُمْ } ثم رغبهم في الإتيان به فقال: { أَلَا تَرَوْنَ أَيِّي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ } في الضيافة والإكرام. اهـ (٣١)

-وأضاف البغوي-رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: { أَلَا تَرَوْنَ أَيِّي الْكَيْلِ } أي: أتمه ولا أبخس الناس شيئاً، فأزيدكم حمل بعير لأجل أحيكم، وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، { وأنا خير المنزلين } قال مجاهد: أي خير المضيفين. وكان قد أحسن ضيافتهم. اهـ (٣٢)

(٢٨)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥)

٢٩ - في الآية (٥٤) من هذه السورة.

٣٠ - أو الهمزة للاستفهام و (لا) نافية.

٣١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٣٢-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٥٥)

- وزاد القرطبي بياناً فقال-رحمه الله-: قوله تعالى: {ألا ترون أي أوفي الكيل} يحتمل وجهين: أحدهما- أنه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل. والثاني- أنه كال لهم بمكيال واف {وأنا خير المنزلين} به وجهان: أحدهما- أنه خير المضيفين، لأنه أحسن ضيافتهم، قاله مجاهد. الثاني- وهو محتمل، أي خير من نزلتم عليه من المأمونين، وهو على التأويل الأول مأخوذ من النزول وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل وهو الدار. اهـ(٣٣)

{ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ (٦٠) }

إعراب مفردات الآية (٣٤)

(الفاء) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (لم) حرف نفي (تأتون) مضارع مجزوم فعل الشرط «٣٥» .. والواو فاعل و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (الباء) حرف جر و (الهاء) ضمير في محل جر بالباء متعلق ب (تأتون) (الفاء) رابطة لجواب الشرط (لا) نافية للجنس (كيل) اسم لا مبني على الفتح في محل نصب (لكم) مثل الأول متعلق بخبر لا (عندي) ظرف منصوب متعلق بالخبر وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء، و (الياء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) نافية جازمة «٣٦» ، (تقربون) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون ... و (الواو) فاعل، و (النون) حرف وقاية، و (الياء) المحذوفة للتخفيف ضمير مفعول به.

روائع البيان والتفسير

{ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ }

- قال السعدي-رحمه الله- في بيانها: ثم رهبهم بعدم الإتيان به، فقال: { فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ } وذلك لعلمه باضطرارهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به. اهـ(٣٧)
-وأضاف أبو جعفر الطبري - رحمه الله- في بيانها ما نصه: قول تعالى ذكره مخبراً عن قيل يوسف لإخوته: { فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ } ، بأخيكم من أبيكم {فلا كيل لكم عندي} ، يقول: فليس لكم عندي طعام أكيله لكم {ولا تقربون} ، يقول: ولا تقربوا بلادي. اهـ(٣٨)

٣٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٢ / ٩)

(٣٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٦)

٣٥ - لأن (لم) تقلب معنى الفعل من المضارع إلى الماضي، لهذا كانت هنا نافية فقط ولم تكن هي الجازمة.

٣٦ - أو هي نافية، والجملة بعدها استثنائية.. قال أبو حيان: «هو نفي مشتق ومعناه النهي، وحذفت النون وهو مرفوع كما حذف في (فيم تبشرون) ، أو هو نفي داخل في الجزاء معطوف على محل (لا كيل) أي مجزوم ... » أه.

٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٣٨- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٥٥)

- وزاد القرطبي - رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: {ولا تقربون} فقال ما نصه: أي لا أنزلكم عندي منزلة

القريب، ولم يرد أنهم يبعدون منه ولا يعودون إليه، لأنه على العود حثهم. اهـ (٣٩)

{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} (٦١)

إعراب مفردات الآية (٤٠)

(قالوا) فعل ماض مبني على الضم.. والواو فاعل (السين) حرف استقبال (نراود) مضارع مرفوع، والفاعل نحن (عن) حرف جر و (هاء) ضمير في محل جر متعلق ب (نراود) ، (أباه) مفعول به منصوب وعلامة النصب الألف و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (إن) حرف مشبه بالفعل للتوكيد و (نا) ضمير في محل نصب اسم إن (اللام) المرحلقة (فاعلون) خبر إن مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ}

- قال السعدي في تفسيرها- رحمه الله-: دل هذا على أن يعقوب عليه السلام كان مولعا به لا يصبر عنه،

وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم {وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} لما أمرتنا به. اهـ (٤١)

-وزاد القرطبي - رحمه الله- بيانا في تفسيرها فقال: أي سنطلبه منه، ونسأله أن يرسله معنا. (وإننا لفاعلون)

أي لضامنون المحيي به، ومحتالون في ذلك. مسألة- إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه

بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة: أحدها- يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب،

ليعظم له الثواب، فاتبع أمره فيه. الثاني- يجوز أن يكون أراد بذلك أن يبينه يعقوب على حال يوسف عليهما

السلام. الثالث- لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه. الرابع- ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل

إخوته، لميل كان منه إليه، والأول أظهر. والله أعلم. اهـ (٤٢)

{وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (٦٢)

إعراب مفردات الآية (٤٣)

(الواو) استئنافية (قال) فعل ماض، والفاعل هو (لفتيانه) جار ومجرور متعلق ب (قال) ، و (الهاء) مضاف إليه

(اجعلوا) فعل أمر مبني على حذف النون ... والواو فاعل (بضاعتهم) مفعول به منصوب ... و (هم) ضمير متصل

٣٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٢/٩)

(٤٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٧)

٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٤٢-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٩/٩)

(٤٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٨)

مضاف إليه (في رحالهم) جار ومجرور متعلق ب (اجعلوا) ، و (هم) مثل الأخير (لعل) حرف مشبه بالفعل للترجي - ناسخ- و (هم) ضمير في محل نصب اسم لعل (يعرفون) مضارع مرفوع ... والواو فاعل و (ها) ضمير مفعول به (إذا) ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق بمضمون الجواب (انقلبوا) مثل قالوا «٤٤» ، (إلى أهلهم) جارّ ومجرور متعلق ب (انقلبوا) .. و (هم) مضاف إليه (لعلهم يرجعون) مثل لعلهم يعرفون.

روائع البيان والتفسير

{ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره للآية إجمالاً ما مختصره: وقوله: {وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم} ، يقول تعالى ذكره: وقال يوسف "لفتياناه" ، وهم غلماناه، {اجعلوا بضاعتهم في رحالهم} ، يقول: اجعلوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم "في رحالهم" و"الرحال" ، جمع "رخل" ، وذلك جمع الكثير، فأما القليل من الجمع منه فهو: "أرخل" ، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة.

ثم أضاف - رحمه الله-: وبنحو الذي قلنا في معنى "البضاعة" ، قال أهل التأويل-وذكر ممن قال بذلك: كقتادة والسدي وابن إسحاق- رحمهم الله تعالى- ثم قال: فإن قال قائل: ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوانه في رحالهم؟ قيل: يحتمل ذلك أوجهًا:

أحدها: أن يكون خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم، إذ كانت السنة سنة جدب وقحط، فيضرب أخذ ذلك منهم به، وأحب أن يرجع إليه.

أو: أراد أن يتسع بما أبوه وإخوانه، مع قلة حاجتهم إليه، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب ردّه، تكريمًا وتفَضُّلاً.

والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلّفوه الوعد في الرجوع، إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكته عليهم غيرهم، عوضًا من طعامه، ويتحرّجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤدّوه على صاحبه، فيكون ذلك أدهى لهم إلى العود إليه. اهـ(٤٥)

{ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا نَكَتًا وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) }

إعراب مفردات الآية (٤٦)

٤٤ - في الآية (٦١) من هذه السورة.

٤٥ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٥٧

(١٩٤٧٣/

(٤٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨)

(الفاء) عاطفة (لما) مَرَّ إعرابه «٤٧» ، (رجعوا) مثل قالوا «٤٨» ، (إلى أبيهم) جازّ ومجرور متعلّق ب (رجعوا) وعلامة الجرّ الياء، و (هم) مضاف إليه (قالوا) مثل السابق «٤٩» ، (يا) أداة نداء (أبانا) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الألف ... و (نا) مضاف إليه (منع) ماض مبنيّ للمجهول (من) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (منع) (الكيل) نائب الفاعل مرفوع (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (أرسل) فعل أمر دعائيّ، والفاعل أنت (معنا) ظرف منصوب متعلّق بحال من (أخانا) ... و (نا) مضاف إليه (أخانا) مفعول به منصوب وعلامة النصب الألف ... و (نا) مثل الأخير (نكتل) مضارع مجزوم جواب الطلب، والفاعل نحن (الواو) حالّيّه (إنّا له لحافظون) مثل إنّا لفاعلون «٥٠» ، والجازّ متعلّق ب (حافظون) .

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتُلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: أي: إن لم ترسل معنا أخانا، {فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتُلُ} أي: ليكون

ذلك سببا لكيلنا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} من أن يعرض له ما يكره. اهـ (٥١)

{ قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (٦٤)

إعراب مفردات الآية (٥٢)

(قال) فعل ماض، والفاعل هو أي يعقوب (هل) حرف استفهام وفيه معنى النفي (أمنكم) مضارع مرفوع ... و (كم) ضمير في محلّ نصب مفعول به، والفاعل أنا (على) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أمنكم) ، (إلا) أداة حصر (الكاف) حرف جرّ وتشبيه (ما) حرف مصدرّي (أمنت) فعل ماض مبنيّ على السكون ... و (التاء) فاعل و (كم) مفعول به (على أخيه) جازّ ومجرور متعلّق ب (أمنتكم) ، وعلامة الجرّ الياء ...

٤٧ - في الآية (٦١) من هذه السورة.

٤٨ - في الآية (٥٩) من هذه السورة.

٤٩ - في الآية (٦١) من هذه السورة.

٥٠ - في الآية (٦١) من هذه السورة.

٥١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

(٥٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٢١)

و (الهاء) مضاف إليه (من) حرف جرّ (قبل) اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (أمنتكم) ، (الفاء) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (خير) خبر مرفوع (حافظاً) تمييز منصوب «^{٥٣}»، (الواو) عاطفة (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (أرحم) خبر مرفوع (الراحمين) مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء.

والمصدر المؤوّل (ما أمنتكم ...) في محلّ جرّ بالكاف متعلّق بمحذوف مفعول مطلق أي: آمنتكم عليه أماناً كأماني على أخيه.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَىٰ أَحِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }

- قال السعدي- رحمه الله في بيانه إجمالاً ما نصه: {هل أمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل} أي: تقدم منكم التزام، أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تفوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق بالله تعالى.

{ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } أي: يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده علي، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم. اهـ (٥٤)

{ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) }

إعراب مفردات الآية (٥٥)

(الواو) عاطفة (لما فتحوا ... وجدوا) مثل لما رجعوا ...

قالوا «^{٥٦}» ، (متاعهم) مفعول به منصوب و (هم) ضمير مضاف إليه (بضاعتهم) مثل متاعهم (ردّت) فعل ماض مبنيّ للمجهول ... و (التاء) للتأنيث، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي (إلى) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ردّت) ، (قالوا: يا أبانا) مرّ إعرابها «^{٥٧}» (ما) اسم استفهام «^{٥٨}» مبنيّ في محلّ نصب مفعول

٥٣ - أو حال منصوبة.

٥٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(ص/ ٤٠١)

(٥٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٢٣)

٥٦ - في الآية (٦٣) من هذه السورة.

٥٧ - في الآية (٦٣) من هذه السورة.

٥٨ - أجاز أبو البقاء جعلها نافية و (نبغي) بمعنى نظلم أو نعتدي ... والزجاج جعلها نافية والفعل بمعنى نطلب أي ما بقي لنا ما نطلب

به عامله (نبغي) وهو مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء والفاعل نحن (ها) حرف تنبيه (ذه) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ (بضاعتنا) بدل مرفوع- أو عطف بيان- و (نا) مضاف إليه (ردت إلينا) مثل ردت إليهم (الواو) عاطفة (نمير) مضارع مرفوع، والفاعل نحن (أهلنا) مثل متاعهم (الواو) عاطفة (نحفظ أخاننا) مثل نمير أهلنا ... وعلامة النصب هنا الألف (الواو) عاطفة (نزداد) مثل نمير (كيل) تمييز منصوب (بعير) مضاف إليه مجرور (ذلك) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ ... و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (كيل) خبر مرفوع (يسير) نعت لكيل مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ }

-قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها: {ولما فتحوا متاعهم} الذي حملوه من مصر، {وجدوا بضاعتهم} ثمن الطعام، {ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي} أي: ماذا نبغي وأي شيء نطلب؟ وذلك أنهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك إليهم، وحثوه على إرسال بنيامين معهم، فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة، {هذه بضاعتنا ردت إلينا} أي شيء نطلب بالكلام، فهذا هو العيان من الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن. أرادوا تطيب نفس أبيهم، {ونمير أهلنا} أي: نشترى لهم الطعام فنحمله إليهم. يقال: مار أهله يميز ميرا: إذا حمل إليهم الطعام من بلد إلى بلد آخر. ومثله: امتار يمتار امتيارا. اهـ (٥٩)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله في تفسيرها: {ونحفظ أخاننا ونزداد كيل بعير} وذلك أن يوسف، عليه السلام، كان يعطي كل رجل حمل بعير. وقال مجاهد: حمل حمار. وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا، كذا قال. {ذلك كيل يسير} هذا من تمام الكلام وتحسينه، أي: إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا. اهـ (٦٠)

{قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)}

إعراب مفردات الآية (٦١)

٥٩- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٢٥٧)

٦٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٣٩٩)

(٦١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٢٤)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو (لن) حرف نفي واستقبال (أرسله) مضارع منصوب، و (الهاء) ضمير مفعول به، والفاعل أنا (مع) ظرف منصوب متعلق بمحذوف حال من ضمير المفعول «٦٢»، و (كم) ضمير مضاف إليه (حتى) حرف غاية وجرّ (تؤتون) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، وعلامة النصب حذف النون ... و (الواو) فاعل، و (النون) نون الوقاية و (الياء) المحذوفة للتخفيف مفعول به (موثقا) مفعول به ثانٍ منصوب (من الله) جارّ ومجرور متعلق بنعت ل (موثقا) «٦٣». والمصدر المؤول (أن تؤتون) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلّق ب (أرسله) .

(اللام) لام القسم لأنّ الميثاق يمين (تأتّن) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون، وقد حذفت لتوالي الأمثال، و (الواو) المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، و (التّون) المشدّدة نون التوكيد و (التّون) المحقّفة للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تأتّن) ، (إلا) أداة استثناء (أن) حرف مصدرّي ونصب (يحاط) مضارع مبني للمجهول منصوب (الباء) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ نائب الفاعل.

والمصدر المؤول (أن يحاط ...) في محلّ نصب على الاستثناء على حذف مضاف أي لتأتّنني به في كلّ حال إلا حال الإحاطة بكم «٦٤»

(الفاء) عاطفة (لما أتوه ... قال) مثل لما رجعوا ... قالوا»

، (موثقهم) مفعول به منصوب ... و (هم) مضاف إليه، وفاعل قال هو أي يعقوب (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (على) حرف جرّ (ما) حرف مصدرّي «٦٥»، (نقول) مضارع مرفوع، والفاعل نحن (وكيل) خبر المبتدأ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }

-قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله- في تفسيرها: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبيته: لن أرسل أحاكم معكم إلى ملك مصر {حتى تؤتون موثقًا من الله} ، يقول: حتى تعطون موثقًا من الله بمعنى "الميثاق"، وهو ما يوثق به من يمينٍ وعهدٍ {لتأتنني به} يقول لتأتنني بأخيكم {إلا أن يحاط بكم} ، يقول: إلا أن يُحيط بجمعكم ما

٦٢ - أو متعلّق بالفعل أرسله.

٦٣ - أي موثقا مشهدا عليه من الله.

٦٤ - أو لا تمتنعون عن الإتيان به لأي سبب إلا سبب الإحاطة بكم.

٦٥ - أو اسم موصول في محلّ جرّ ... والعائد محذوف، والجملة بعده صلة الموصول.

لا تقدرّون معه على أن تأتوني به. وقوله: { فلما آتوه موثقهم } ، يقول: فلما أعطوه عهودهم "قال"، يعقوب:

{ الله على ما نقول } ، أنا وأنتم { وكيل } ، يقول: هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعًا. اهـ (٦٦)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها:-

{ فلما آتوه موثقهم } أكده عليهم فقال: { الله على ما نقول وكيل }

قال ابن إسحاق: وإنما فعل ذلك؛ لأنه لم يجد بدا من بعثهم لأجل الميرة، التي لا غنى لهم عنها، فبعثه

معهم. اهـ (٦٧)

{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) }

إعراب مفردات الآية (٦٨)

(الواو) عاطفة (قال) فعل ماض والفاعل هو أي يعقوب (يا) أداة نداء (بنيّ) منادى مضاف منصوب،
وعلاّمة النصب الياء فهو ملحق بجمع المذكر، و (الياء) الثانية مضاف إليه (لا) ناهية جازمة (تدخلوا) مضارع
مجزوم وعلاّمة الجزم حذف النون ... والواو فاعل (من باب) جار ومجرور متعلّق ب (تدخلوا) ، (واحد) نعت
لباب مجرور (الواو) عاطفة (ادخلوا) فعل

أمر مبنيّ على حذف النون ... و (الواو) فاعل (من أبواب) جارّ ومجرور متعلّق ب (ادخلوا) ، (متفرّقة) نعت
لأبواب مجرور (الواو) عاطفة (ما) نافية ب (أغني) مضارع مرفوع وعلاّمة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء،
والفاعل أنا (عن) حرف جرّ (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أغني) ، (من الله) جارّ ومجرور متعلّق بحال
من شيء (من) حرف جرّ زائد (شيء) مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول مطلق أي ما أغني عنكم أي إغناء
أو شيئاً من الإغناء «٦٩» . (إن) حرف نفي (الحكم) مبتدأ مرفوع (إلا) أداة حصر (لله) جارّ ومجرور خبر
المبتدأ (عليه) مثل عنكم متعلّق ب (توكّلت) وهو فعل ماض مبنيّ على السكون
و (التاء) فاعل (الواو) عاطفة (عليه) مثل الأول متعلّق ب (يتوكّل) ، (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (اللام)
لام الأمر (يتوكّل) مضارع مجزوم (المتوكّلون) فاعل مرفوع وعلاّمة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

٦٦ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٦٣ / ١٩٤٧٩)

٦٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٩٩)

(٦٨)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٢٦/١٣)

٦٩ - يجوز أن يكون مفعولاً به بتضمين أغني معنى أذفع أي لا أذفع- أو يدفع- عنكم- أو عنهم- شيئاً من القدر.

{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ }
 - قال البغوي - رحمه الله - مانصه: { وقال } لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده، { يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة } وذلك أنه خاف عليهم العين؛ لأنهم كانوا أعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة، وكانوا ولد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين، فإن العين حق ، وجاء في الأثر: "إن العين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر" (٧٠) .

وعن إبراهيم النخعي: أنه قال ذلك لأنه كان يرجو أن يروا يوسف في التفرق. والأول أصح. اهـ (٧١)
 - وأضاف أبو جعفر قال الطبري: وقوله: { وما أغني عنكم من الله من شيء }، يقول: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير، لأن قضاءه نافذ في خلقه. اهـ (٧٢)

{ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله - : { إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ } أي: القضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بد أن يقع، { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ } أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب، { وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع كل مرهوب. اهـ (٧٣)

{ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) }

إعراب مفردات الآية (٧٤)

(الواو) عاطفة (لما دخلوا) مثل لما رجعوا «٧٥» ، (من) حرف جرّ (حيث) اسم ظرفيّ مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (دخلوا) ، (أمرهم) فعل ماضٍ، و (هم) ضمير مفعول به (أبوهم) فاعل مرفوع ... و (هم) مضاف إليه (ما) نافية (كان) فعل ماضٍ ناقص - ناسخ - واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي دخلوهم متفرّقين (يعني) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل هو أي الدخول (عنهم) مثل

٧٠ - أخرجه أبو نعيم " الحلية وانظر الصحيحة للألباني برقم / ١٢٤٩

٧١ - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٥٨)

٧٢ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٦٦)
 (/ ١٩٤٩٤)

٧٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر : مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠١)

(٧٤) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٨/١٣)

٧٥ - في الآية (٦٣) من هذه السورة.

عنكم، متعلق ب (يعني) (من الله من شيء) مرّ إعرابها «٧٦»، (إلا) أداة استثناء (حاجة) منصوب على الاستثناء المنقطع (في نفس) جازّ ومجرور متعلق بنعت لحاجة (يعقوب) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (قضاها) فعل ماضٍ و (ها) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الواو) استئنافية (إنّ) حرف مشبّه بالفعل و (الهاء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (اللام) المرحّلة للتوكيد (ذو) خبر إنّ مرفوع وعلامة الرفع الواو (علم) مضاف إليه مجرور (اللام) حرف جرّ (ما) حرف مصدرّيّ «٧٧» (علّمنا) فعل ماضٍ مبنيّ على السكون ... و (نا) فاعل و (الهاء) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (لكنّ) حرف مشبّه بالفعل للاستدراك (أكثر) اسم لكنّ منصوب (الناس) مضاف إليه مجرور (لا) نافية (يعلمون) مضارع مرفوع ... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: {وَلَمَّا} ذهبوا و {دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ} ما كان {يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره.

وليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: {وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٍ} أي: لصاحب علم عظيم {لِمَا عَلَّمَنَاهُ} أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير. اهـ (٧٨)

-وزاد القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها فقال: ودلت هذه الآية على أن المسلم يجب عليه أن يحذر أخاه مما يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة، فإن الدين النصيحة، والمسلم أخو المسلم. قوله تعالى: (وإنه) يعني يعقوب. (لذو علم لما علمناه) أي بأمر دينه. {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} أي لا يعلمون ما يعلم يعقوب عليه السلام من أمر دينه. وقيل: "لذو علم" أي عمل، فإن العلم أول أسباب العمل، فسمي بما هو بسببه. اهـ (٧٩)

{لَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)}

٧٦ - في الآية السابقة (٦٧)

٧٧ - أو اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة صلة، والعائد محذوف أي لما علمناه إياه.

٧٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٧٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٩ / ٩)

(الواو) عاطفة (لما دخلوا ... آوى) مثل لما رجعوا ... قالوا «٨١»، (إلى) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (آوى) ، (أخاه) مفعول به منصوب وعلامة النصب الألف ... و (الهاء) مضاف إليه (قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يوسف (إنّ) حرف مشبّه بالفعل للتوكيد- ناسخ- و (الياء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ، (أنا) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (أخوك) خبر المبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو ... و (الكاف) مضاف إليه (الفاء) عاطفة لربط المسبّب بالسبب (لا) ناهية جازمة (تبتئس) مضارع مجزوم، والفاعل أنت (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (تبتئس) ، والعائد محذوف، (كانوا) فعل ماضٍ ناقص ... و (الواو) اسم كان (يعلمون) مثل السابق «٨٢».

روائع البيان والتفسير

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }

-قال ابن كثير -رحمه الله في تفسيرها: يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين، فأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصلة والإلطف والإحسان، واحتلى بأخيه فأطلعه على شأنه، وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: "لا تبتئس" أي: لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتمان ذلك عنهم، وألا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبيّقه عنده، معززا مكرما معظما. اهـ(٨٣)

-وأضاف أبو جعفر الطبري-رحمه الله- : وقوله: {فلا تبتئس} ، يقول: فلا تستكين ولا تحزن. وهو: "فلا تفتعل" من "البؤس"، يقال منه: "ابتأس يبتئس ابتئاسًا" ثم قال: -رحمه الله-: فتأويل الكلام إذا: فلا تحزن ولا تستكن لشيء سلف من إخوتك إليك في نفسك، وفي أخيك من أمك، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك. اهـ(٨٤)

{فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)}

(٨٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٣٠/١٣)

٨١ - في الآية (٦٣) من هذه السورة.

٨٢ - في الآية السابقة (٦٨) .

٨٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠٠)

٨٤ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٧١

(الفاء) عاطفة (لما جهّزهم ... جعل) مرّ إعراب نظيرها «^{٨٦}»، (السقاية) مفعول به منصوب (في رحل) جارّ وجرور متعلّق ب (جعل) ، (أخيه) مضاف إليه مجرور ... و (الهاء) ضمير مضاف إليه (ثمّ) حرف عطف (أذن) فعل ماض (مؤدّن) فاعل مرفوع (أيتها) منادى نكرة مقصودة مبني على الضمّ في محلّ نصب ... (ها) حرف تنبيه (العير) بدل من أية- أو عطف بيان- مرفوع لفظاً (إنّكم) مثل إيّ «^{٨٧}» ، (اللام) المزلحقة (سارقون) خبر إنّ مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ }

-قال السعدي- ر حمه الله- في تفسيرها: { فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ } أي: كال لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا. { جَعَلَ السَّقَايَةَ } وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال فيه { فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ } أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين، { أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ } ولعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال. اهـ (٨٨)

-وزاد أبو جعفر الطبري: وقوله: (جعل السقاية في رحل أخيه) ، يقول: جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه.

و"السقاية": هي المشربة، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام. اهـ (٨٩)

{ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) }

(٨٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٣١)

٨٦ - في الآية (٦٣) من هذه السورة.

٨٧ - في الآية السابقة (٦٩) .

٨٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٨٩- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ١٧٢

(١٩٥١٠/

(٩٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٣٣)

قالوا فعل ماض وفاعله (الواو) واو الحال (أقبلوا) مثل قالوا (على) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أقبلوا) ، (ماذا) اسم استفهام مبنيّ في محلّ نصب مفعول به « ٩١ » ، (تفقدون) مضارع مرفوع ... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله-: { قَالُوا } أي: إخوة يوسف { وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ } لإبعاد التهمة، فإن السارق ليس له همّ إلا البعد والانطلاق عن سرق منه، لتسلم له سرقة، وهؤلاء جاءوا مقبلين إليهم، ليس لهم همّ إلا إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا في هذه الحال: { مَاذَا تَفْقِدُونَ } ولم يقولوا: "ما الذي سرقنا" لجزمهم بأنهم براء من السرقة. اهـ (٩٢)

-وزاد البغوي- رحمه الله: { قالوا وأقبلوا عليهم } عطفوا على المؤذن وأصحابه، { ماذا تفقدون } ما الذي ضل عنكم. والفقدان: ضد الوجد. اهـ (٩٣)

{ قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) }

إعراب مفردات الآية (٩٤)

قالوا فعل ماض وفاعله (نفقد) مضارع مرفوع، والفاعل نحن (صواع) مفعول به منصوب (الملك) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (اللام) حرف جرّ (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (جاء) فعل ماض، والفاعل هو وهو العائد (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (جاء) ، (حمل) مبتدأ مؤخّر مرفوع (بعير) مضاف إليه مجرور (الواو) استئنافية (أنا زعيم) مثل أنا أخوك « ٩٥ »، (به) مثل الأول متعلّق ب (زعيم) .

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ }

٩١ - أو (ما) اسم استفهام مبتدأ (ذا) اسم موصول خبر، وجملة تفقدون صلة الموصول والعائد محذوف أي تفقدونه، وجملة ماذا مقول القول.

٩٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص/٤٠٢)

٩٣ -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٦٠)

(٩٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٣٣ / ١٣)

٩٥ - في الآية (٦٩) من هذه السورة.

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً: أي: أجرة له على وجدانه { وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ } أي: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد. اهـ (٩٦)

- وزاد القرطبي في تفسيره لقوله تعالى { وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ } فقال ما مختصره: البعير هنا الحمل في قول أكثر المفسرين. وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب، قاله مجاهد واختاره. وقال مجاهد: الزعيم هو المؤذن الذي قال: "أيتها العير". والزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء والزعيم الرئيس. قال:

وإني زعيم إن رجعت مملكا ... بسير ترى منه الفرائق أزورا

ثم أضاف - رحمه الله: إن قيل: كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل له: حمل البعير كان معينا معلوما عندهم كالوسق، فصح ضمانه، غير أنه كان بدل مال للسارق، ولا يحل للسارق ذلك، فلعله كان يصح في شرعهم أو كان هذا جعالة، وبذل مال لمن كان يفتش ويطلب. اهـ (٩٧)

{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ } (٧٣)

إعراب مفردات الآية (٩٨)

(قالوا) فعل وفاعل (التاء) تاء القسم (الله) لفظ الجلالة مجرور بتاء القسم متعلق بمحذوف تقديره نقسم (اللام) لام القسم (قد) حرف تحقيق (علمتم) فعل ماض مبني السكون ... و (تم) ضمير فاعل (ما) نافية (جئنا) مثل علمتم (اللام) لام التعليل (نفسد) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل نحن (في الأرض) جار ومجرور متعلق ب (نفسد) ، (الواو) عاطفة (ما) نافية (كنا) ماض ناقص واسمه (سارقين) خبر كنا منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها: لما اتهمهم أولئك الغتيان بالسرقة، قال لهم إخوة يوسف: { تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين } أي: لقد تحققتم وعلمتم منذ (عرفتمونا، لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة، أنا ما جئنا للفساد في الأرض، وما كنا سارقين، أي: ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة اهـ (٩٩)

٩٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٢)

٩٧ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٣٢ / ٩)

(٩٨) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٤ / ١٣)

٩٩ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠١)

-وزاد السعدي- رحمه الله - في بيان قوله تعالى : { وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ } فقال: فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبوا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: " تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق " . اهـ (١٠٠)

{ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) }

إعراب مفردات الآية (١٠١)

(قالوا) فعل وفاعل (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر (ما) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ (جزاؤه) خبر مرفوع ... و (الهاء) مضاف إليه (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط.. و (تم) ضمير اسم كان (كاذبين) خبر كان منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً: فقال (٣) لهم الفتيان: { فَمَا جَزَاؤُهُ } أي: السارق، إن كان فيكم { إن كنتم كاذبين } أي: أي شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه . اهـ (١٠٢)

{ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ بَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) }

إعراب مفردات الآية (١٠٣)

(قالوا) فعل وفاعل (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر (ما) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ (جزاؤه) خبر مرفوع ... و (الهاء) مضاف إليه (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط.. و (تم) ضمير اسم كان (كاذبين) خبر كان منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ بَجْزِي الظَّالِمِينَ }

-قال القرطبي- رحمه الله: { جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه } أي يستعبد ويسترق. " فجزاؤه" مبتدأ، و " من وجد في رحله" خبره، والتقدير: جزاؤه استعباد من وجد في رحله، فهو كناية عن الاستعباد، وفي الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه. { كذلك بجزى الظالمين } أي كذلك نفعل في

١٠٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص/ ٤٠٢)

(١٠١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٣٥)

١٠٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠١)

(١٠٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٣٥)

الظالمين إذا سرقوا أن يسترقوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه. وقولهم هذا قول من لم يسترب نفسه. اهـ (١٠٤)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها: وهكذا كانت شريعة إبراهيم: أن السارق يدفع إلى المسروق منه. وهذا هو الذي أراد يوسف، عليه السلام؛ ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، أي فتشها قبله، تورية. اهـ (١٠٥)

{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)}

إعراب مفردات الآية (١٠٦)

(الفاء) عاطفة (بدأ) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يوسف- أو وكيله- (بأوعيتهم) جار ومجرور متعلق ب (بدأ) .. و (هم) ضمير مضاف إليه (قبل) ظرف زمان منصوب متعلق ب (بدأ) ، (وعاء) مضاف إليه مجرور (أخي) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء و (الهاء) مضاف إليه (ثم) حرف عطف (استخرجها) ، مثل بدأ.. و (ها) مفعول به (من وعاء) جارّ ومجرور متعلق ب (استخرجها) ، (أخيه) مثل الأول (كذلك) مرّ إعرابها «١٠٧» ، (كدنا) فعل ماضٍ.. و (نا) ضمير فاعل (ليوسف) جارّ ومجرور متعلق ب (كدنا) بتضمينه معنى دبرنا، وعلامة الجرّ الفتحة (ما) نافية (كان) فعل ماضٍ ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي يوسف (اللام) لام الجحود والإنكار (يأخذ) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (أخاه) مفعول به منصوب وعلامة النصب الألف.. و (الهاء) مضاف إليه (في دين) جارّ ومجرور متعلق ب (يأخذ) ، (الملك) مضاف إليه مجرور.

والمصدر المؤوّل (أن يأخذ..) في محلّ جرّ باللام متعلّق بمحذوف خبر كان.

(إلا) حرف للاستثناء (أن) حرف مصدرّي ونصب (يشاء) مضارع منصوب (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع. والمصدر المؤوّل (أن يشاء ...) في محلّ نصب على الاستثناء المنقطع «١٠٨» .

(نرفع) مضارع مرفوع، والفاعل نحن للتعظيم (درجات) ظرف مكان منصوب متعلّق ب (نرفع) «١٠٩» ، (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (نشاء) مثل نرفع (الواو) عاطفة (فوق) ظرف منصوب

١٠٤-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٣٤/٩)

١٠٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠١)

(١٠٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٣٧/١٣)

١٠٧ - في الآية السابقة (٧٥)

١٠٨ - أي (ما) كان ليأخذ أخاه في دين الملك لكن بمشيئة الله أخذه على شريعة يعقوب.

١٠٩ - أو مفعول مطلق نائب عن المصدر أي نرفعه رفعا متمكنا.

متعلق بمحذوف خبر مقدم (كل) مضاف إليه مجرور (ذي) مضاف إليه مجرور وعلامة الجزاء الياء (علم) مضاف إليه مجرور (عليه) مبتدأ مؤخر مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها: { فَبَدَأَ } المفتش { بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ } وذلك لتزول الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئاً { اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ } ولم يقل "وجدتها، أو سرقها أخوه" مراعاة للحقيقة الواقعة. : فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قال تعالى: { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم اهـ (١١٠)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله -في بيانها فقال: { ثم استخرجها من وعاء أخيه } فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزاما لهم بما يعتقدونه؛ ولهذا قال تعالى: { كذلك كدنا ليوسف } وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يجبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة. اهـ (١١١)

{ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ } لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، وإنما له عندهم، جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد.

قال تعالى: { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ } بالعلم النافع، ومعرفة الطرق الموصلة إلى مقصدها، كما رفعنا درجات يوسف. اهـ (١١٢)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها: وقوله: { ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك } أي: لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر، قاله الضحاك وغيره.

وإنما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم؛ ولهذا مدحه تعالى فقال: { نرفع درجات من نشاء } كما قال تعالى: { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير } [المجادلة: ١١] .

١١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤٠٢)

١١١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ /٤٠١)

١١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤٠٢)

{وفوق كل ذي علم عليم} قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوّه عالم، حتى ينتهي إلى الله عز وجل.

وكذا روى عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبيرة. اهـ (١١٣)

{قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)}

إعراب مفردات الآية (١١٤)

(قالوا) فعل وفاعل (إن) حرف شرط جازم (يسرق) مضارع مجزوم فعل الشرط، والفاعل هو (الفاء) رابطة لجواب الشرط (قد) حرف تحقيق (سرق) فعل ماض (أخ) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمة (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت لأخ (من) حرف جرّ (قبل) اسم ظرفي مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (سرق) ، (الفاء) عاطفة (أسرها) مثل سرق ... و (ها) ضمير مفعول به (يوسف) فاعل مرفوع، ومنع من التنوين للعلميّة والعجمة (في نفسه) جازّ ومجرور متعلّق ب (أسر) ..

و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (بيدها) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة .. و (ها) ضمير مفعول به، والفاعل هو (اللام) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (بيدها) ، (قال) فعل ماض، والفاعل هو (أنتم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (شرّ) خبر مرفوع (مكانا) تمييز منصوب (الواو) عاطفة (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (أعلم) خبر مرفوع (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «١١٥» ، (تصفون) مضارع مرفوع ... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ }

-قال السعدي- رحمه الله: {قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ} هذا الأخ، فليس هذا غريبا منه. {فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم تبرئة أنفسهم وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا.

وفي هذا من الغض عليهما ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه {وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} أي: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسرّ الأمر في نفسه. اهـ (١١٦)

١١٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠١)

(١١٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٣٩)

١١٥ - أو اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة بعده صلة، والعائد محذوف أي تصفونه.

١١٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٢)

- وأضاف القرطبي - رحمه الله - في بيانها ما مختصره: المعنى: أي اقتدى بأخيه، ولو اقتدى بنا ما سرق، وإنما قالوا ذلك ليعبروا من فعله، لأنه ليس من أمهم، وأنه إن سرق فقد جذبته عرق أخيه السارق، لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل في الأخلاق. وقد اختلفوا في السرقة التي نسبوا إلى يوسف. اهـ (١١٧)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله -: {فأسرها يوسف في نفسه} يعني: الكلمة التي بعدها، وهي قوله: {أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون} أي: تذكرون. قال هذا في نفسه، ولم يده لهم، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر، وهو كثير، كقول الشاعر: (١١٨)

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة، في منشورها وأخبارها وأشعارها.

قال العوفي، عن ابن عباس: {فأسرها يوسف في نفسه} قال: أسر في نفسه: {أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون}. اهـ (١١٩)

{ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ }

-قال السعدي - رحمه الله - في بيانها و {قَالَ} في نفسه {أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا} حيث ذمتمونا بما أنتم على أشرف منه، {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها، ثم سلكوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم. اهـ (١٢٠)

{ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) }

إعراب مفردات الآية (١٢١)

(قالوا) فعل وفاعل (يا) أداة نداء (أي) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب و (ها) حرف تنبيه (العزير) بدل من أي - أو عطف بيان - تبعه في الرفع لفظا (إن) حرف مشبه بالفعل - ناسخ - (اللام) حرف جر (الهاء) ضمير في محل جر متعلق بخبر إن (أبا) اسم إن منصوب وعلامة النصب الفتحة (شيخا) نعت ل (أبا) منصوب (كبيرا) نعت ثان منصوب (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر (خذ) فعل أمر، والفاعل أنت (أحد) مفعول

١١٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٣٩/٩)

١١٨ - هو سليل بن سعد السلمي يروي عن بن عمر روى عنه سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة . انظر [الثقات لابن حبان ٤ / ٣٤٢-٣٤٣] وقال العجلي في الثقات سليل بن سعد مدني تابعي ثقة [٤٢٤ / ١].

١١٩ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠٣)

١٢٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٢)

(١٢١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٤٠ / ١٣)

به منصوب و (نا) ضمير مضاف إليه (مكانه) مفعول به ثان بتضمين خذ معنى اجعل «١٢٢»، و (الهاء) مضاف إليه (إنّا) مثل الأول.. و (نا) ضمير اسم إنّ (نراك) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف، و (الكاف) ضمير مفعول به، والفاعل نحن (من المحسنين) جازّ ومجرور حال من ضمير المفعول.

روائع البيان والتفسير

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً: {قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا} أي: وإنه لا يصبر عنه، وسيشقى عليه فراقه، {فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} فأحسن إلينا وإلى أبينا بذلك. اهـ (١٢٣)

-وزاد القرطبي- رحمه الله بياناً فقال: خاطبوه باسم العزيز إذ كان في تلك اللحظة بعزل الأول أو موته. وقولهم: "إن له أباً شيخاً كبيراً" أي كبير القدر، ولم يريدوا كبر السن، لأن ذلك معروف من حال الشيخ. "فخذ أحدنا مكانه" أي عبداً بدله، وقد قيل: إن هذا مجاز، لأنهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حرٍ يسترق بدل من قد أحكمت السنة عندهم رقه، وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله: اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريد أن يقتلك، ولكنك مبالغ في استنزاله. ويحتمل أن يكون قولهم: "فخذ أحدنا مكانه" حقيقة، وبعيد عليهم وهم أنبياء «١٢٤» أن يروا استرقاق حر، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحمالة، أي خذ أحدنا مكانه. حتى ينصرف إليك صاحبك، ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين إلى أبيه، ويعرف يعقوب جلية الأمر، فمنع يوسف عليه السلام من ذلك.

١٢٢ - أو ظرف مكان متعلق ب (خذ) .

١٢٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٢)

١٢٤ - ليس صواباً ما ذكره المصنف فليس في القرآن والسنة ما يدل على ذلك والقول الصحيح أنهم ليسوا بأنبياء وإنما احتج من قال إنهم أنبياء بقوله في آيتي البقرة والنساء (والأسباط)، وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والأمر ليس كذلك إنما الأسباط ذريتهم الذين قطعوا أسباطاً من عهد موسى، وقد سئلت اللجنة الدائمة هل إخوة سيدنا يوسف عليه السلام الذين رموه في الجب من الأسباط المذكورين في القرآن الذين هم من الأنبياء والمرسلين؟ فأجابت: والمراد بالأسباط: حفدة يعقوب وذرية أبنائه الاثني عشر وليس من الاثني عشر نبي إلا يوسف عليه السلام على الصحيح، كما ذكر ذلك ابن كثير في كتابه [البداية] ص ٢١٥، ٢١٦ ج ١، وعلى هذا فلا يستبعد أن يحتال إخوة يوسف على أبيهم ويرتكبوا ما حصل منهم من الكيد لأحيهم يوسف عليه السلام.-فتوي رقم/ (9308)

ثم أضاف - رحمه الله: قوله تعالى: {إنا نراك من المحسنين} {يحتمل أن يريدوا وصفه بما رأوا من إحسانه في جميع أفعاله معهم، ويحتمل أن يريدوا: إنا نرى لك إحسانا علينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا، وهذا تأويل ابن إسحاق. اهـ (١٢٥)}

{ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩) }

إعراب مفردات الآية (١٢٦)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو (معاذ) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أعوذ (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (أن) حرف مصدريّ ونصب (نأخذ) مضارع منصوب، والفاعل نحن (إلا) أداة حصر بتضمين معاذ الله معنى لا يصحّ ولا يجوز.. (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (وجدنا) فعل ماضٍ وفاعله، (متاعنا) مفعول به منصوب ...

و (نا) مضاف إليه (عند) ظرف مكان منصوب متعلّق ب (وجدنا) ، و (الهاء) مضاف إليه (إنّا) مرّ إعرابه «١٢٧» ، (إذا) حرف جواب لا عمل له (اللام) المرحلقة (ظالمون) خبر إنّ مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في بيانها ما مختصره:-

يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: {معاذ الله} ، أعوذ بالله.

وكذلك تفعل العرب في كل مصدر وضعه موضع "يفعل" و "تفعل" ، فإنها تنصب، كقولهم: "حمداً لله، وشكراً له" بمعنى: أحمد الله وأشكره.

ثم أضاف - رحمه الله -:

والعرب تقول في ذلك: "معاذ الله" ، و "معاذة الله" فتدخل فيه هاء التأنيث. كما يقولون: "ما أحسن معناه هذا الكلام" و "عوذ الله" ، و "عوذة الله" ، و "عياذ الله" . ويقولون: اللهم عائداً بك، كأنه قيل: "أعوذ بك عائداً"،

أو أدعوك عائداً. اهـ (١٢٨)

١٢٥ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٤٠ / ٩)

(١٢٦) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٤١/١٣)

١٢٧ - في الآية السابقة (٧٨) .

١٢٨ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٠٢)

(١٩٦١٤ /)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: {أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنوب من وجدنا متاعنا عنده، ولم يقل "من سرق" كل هذا تحرز من الكذب، {إِنَّا إِذَا} أي: إن أخذنا غير من وجدنا في رحله {لَظَالِمُونَ} حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها. اهـ (١٢٩)

{ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) }

إعراب مفردات الآية (١٣٠)

(الفاء) عاطفة (لما) ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق ب (خلصوا) ، (استيسسوا) فعل ماض مبني على الضم..

والواو فاعل (من) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (استيسسوا) ، (خلصوا) مثل استيسسوا (نجياً) حال من فاعل خلصوا أي متناجين «١٣١»، منصوبة (قال) فعل ماض (كبيرهم) فاعل مرفوع.. و

(هم) ضمير مضاف إليه (الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وجزم (تعلموا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون والواو فاعل (أنّ) حرف مشبّه بالفعل للتوكيد (أباكم) اسم أنّ منصوب، وعلامة النصب

الألف.. و (كم) ضمير مضاف إليه (قد) حرف تحقيق (أخذ) فعل ماض، والفاعل هو (على) حرف جرّ (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (أخذ) ، (موثقاً) مفعول به منصوب (من الله) جارّ ومجرور متعلق ب

(أخذ) ، (الواو) عاطفة (من) حرف جرّ (قبل) اسم ظرفيّ مبني على الضمّ في محلّ جرّ متعلق ب (فرطتم) على زيادة ما «١٣٢»، (فرطتم) فعل ماض مبني على السكون ... و (تم) ضمير فاعل (في يوسف) جارّ

ومجرور متعلق ب (فرطتم) ، وعلامة الجرّ الفتحة، (الفاء) عاطفة (لن) حرف نفي ونصب (أبرح) مضارع منصوب، والفاعل أنا (الأرض) مفعول به منصوب (حتى) حرف غاية وجرّ (يأذن) مثل أبرح، منصوب بأن

مضمرة بعد حتى (اللام) حرف جرّ و (الياء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (يأذن) ، (أي) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على (ما) قبل الياء، و (الياء) مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (أن يأذن) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلق ب (أبرح) .

١٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٣)

(١٣٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٤٣)

١٣١- جاء في حاشية الجمل (ما) يلي: «وقد أفردت الحال وصاحبها جمع إما لأنّ النجّيّ فعيل بمعنى المفاعل، كالعشير بمعنى المعاشر، وهذا يأتي في الاستعمال مفرداً أبداً، يقال (هم) خليطك وعشيرتك أي مخالطوك ومعاشروك، وإما لأنّه صفة على فعيل بمنزلة صديق، وقد أفرد لأنّه على وزن المصدر كالصهيل، وإما لأنّه مصدر بمعنى التناجي ...» اهـ.

١٣٢- يجوز أن يكون (ما) حرفاً مصدرياً فيتعلّق الجارّ حينئذٍ بمحذوف خبر عند الزمخشريّ، وإن قطع الظرف عن الإضافة، والمصدر المؤوّل مبتدأ مؤخر، وردّ ذلك أبو حيّان ردّاً قاطعاً لأنّ الظرف إذا بني لا يصح أن يكون خبراً جرّ أو لم يجرّ.

(أو) حرف عطف (يحكم) مثل يأذن ومعطوف عليه «١٣٣» ، (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (لي) مثل الأول متعلق ب (يحكم) ، (الواو) استئنافية (هو) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ (خير) خبر مرفوع (الحاكمين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ }

- قال البغوي- رحمه الله في تفسيره للآية ما مختصره: فلما استئأسوا منه، أي: أيسوا من يوسف أن يجيهم إلى ما سألوه. وقال أبو عبيدة:

استئأسوا استيقنوا أن الأخ لا يرد إليهم. خلصوا نجيا، أي: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يخالطهم غيرهم. والنجي يصلح للجماعة كما قال هاهنا ويصلح للواحد كقوله: {وقربناه نجيا} [مريم: ٥٢] ، وإنما جاز للواحد والجمع لأنه مصدر جعل نعتا كالعدل والزور، ومثله النجوى يكون اسما ومصدرا، قال الله تعالى: {وإذ هم نجوى} [الإسراء: ٤٧] ، أي: متناجون. وقال: {ما يكون من نجوى ثلاثة} [المجادلة: ٧]

، وقال في المصدر: {إنما النجوى من الشيطان} [المجادلة: ١٠]. اهـ (١٣٤)

-وأضاف السعدي- رحمه الله: {قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} في حفظه، وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم {وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ} ، فاجتمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي. اهـ (١٣٥)

{ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: {وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ} ، فاجتمع عليكم الأمران، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي.

{ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ } أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها { حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي } أي: يقدر

لي المحيي وحدي، أو مع أخي { وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } . اهـ (١٣٦)

١٣٣ - أو منصوب بأن مضمرة بعد أو المعتمد على النفي.

١٣٤- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٢٦٥)

١٣٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٣)

١٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٣)

-وأضاف ابن كثير -رحمه الله- في تفسيرها: {فلن أبرح الأرض} أي: لن أفارق هذه البلدة، {حتى يأذن لي أبي} في الرجوع إليه راضيا عني، {أو يحكم الله لي} قيل: بالسيف. وقيل: بأن يمكنني من أخذ أخي، {وهو خير الحاكمين} .اهـ(١٣٧)

{ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)}

إعراب مفردات الآية (١٣٨)

(ارجعوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (إلى أبيكم) جارّ ومجرور متعلّق ب (ارجعوا) ، وعلامة الجرّ الياء.. و (كم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (قولوا) مثل ارجعوا (يا) أداة نداء (أبانا) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الألف.. و (نا) مضاف إليه (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (ابنك) اسم إنّ منصوب.. و (الكاف) مضاف إليه (سرق) فعل ماض، والفاعل هو (الواو) عاطفة (ما) نافية (شهدنا) فعل ماض مبني على السكون.. و (نا) فاعل (إلا) أداة حصر (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (شهدنا) ، والعائد محذوف (علمنا) مثل شهدنا (الواو) عاطفة (ما) مثل الأولى (كنّا) فعل ماض ناقص.. و (نا) ضمير في محلّ رفع اسم كان (للغيب) جار ومجرور متعلّق ب (حافظين) خبر كنّا، منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)

-قال السعدي في بيانها -رحمه الله-: {ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} أي: وأخذ بسرقة، ولم يحصل لنا أن نأتيك به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك. والحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمنا، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، {وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ} أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهدنا وموآثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ.اهـ(١٣٩)

-وزاد أبو جعفر الطبري -رحمه الله- في بيانها ما مختصره وبتصرف يسير قوله تعالي: {وما شهدنا إلا بما علمنا} فقال ما مختصره:-

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: وما قلنا إنه سرق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك، لأن صواع الملك أصيب في وعائه دون أوعية غيره.

١٣٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠٣)

(١٣٨)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٤٤)

١٣٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٣)

وذكر ممن قال بذلك كأبن إسحاق - رحمه الله - ثم أضاف: وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا ، وذكر ممن قال بذلك: كأبن زيد - رحمه الله - ثم قال:

قوله: {وما كنا للغيب حافظين} ، يقول: وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنما قلنا {ونحفظ أختانا} مما لنا إلى حفظه منه السبيل. اهـ (١٤٠)

{ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) }

إعراب مفردات الآية (١٤١)

(الواو) عاطفة (اسأل) فعل أمر، والفاعل أنت (القرية) مفعول به منصوب «١٤٢»، (التي) اسم موصول في محلّ نصب نعت للقرية (كنّا) مثل الأول (في) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بجرّ كنّا (الواو) عاطفة (العير التي) مثل القرية التي ومعطوف عليه (أقبلنا) فعل ماضٍ وفاعله (فيها) مثل الأول متعلّق ب (أقبلنا) ، (الواو) عاطفة (إنّا لصادقون) مثل إنّا لظالمون «١٤٣» .

روائع البيان والتفسير

{ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }

- قال السعدي في تفسيره ما نصه: {واسأل} إن شككت في قولنا {القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها} فقد اطلعوا على ما أخبرناك به {وإنّا لصادقون} لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع. اهـ (١٤٤)

- وزاد ابن كثير - رحمه الله - بياناً فقال مانصه: {واسأل القرية التي كنا فيها} قيل: المراد مصر. قاله قتادة، وقيل: غيرها، {والعير التي أقبلنا فيها} أي: التي رافقناها، عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا، {وإنّا لصادقون} فيما أخبرناك به، من أنه سرق وأخذوه بسرقة. اهـ (١٤٥)

{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) }

١٤٠ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢١٢ / ١٩٦٣٣ /

(١٤١) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٤٧/١٣)

١٤٢ - وهو على حذف مضاف أي أهل القرية، ومثله العير أي أصحاب العير، وإذا لم يقدر المضاف فالكلام مجاز.

١٤٣ - في الآية (٧٩) من هذه السورة.

١٤٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٣)

١٤٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠٣)

(قال) فعل ماض (بل) حرف إضراب «١٤٧» ، (سوّلت) فعل ماض و (التاء) للتأنيث (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (سوّلت) ، (أنفسكم) فاعل مرفوع.. و (كم) ضمير مضاف إليه (أمرًا) مفعول به منصوب، (الفاء) عاطفة (صبر) خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره صبري (جميل) نعت لصبر مرفوع مثله (عسى) فعل ماض جامد ناقص (الله) لفظ الجلالة اسم عسى مرفوع (أن يأتي) مثل أن نأخذ في الآية «٧٩»، والفاعل هو و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (بهم) مثل لكم متعلّق ب (يأتي) ، (جميعا) حال منصوبة من الضمير المحرور في (بهم) . والمصدر المؤوّل (أن يأتي...) في محلّ نصب خبر عسى . (إنّ) حرف مشبّه بالفعل و (الهاء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (العليم) خبر المبتدأ مرفوع (الحكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }

-قال ابن كثير - رحمه الله في تفسيره للآية ما مختصره: قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب: { بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل }

قال محمد بن إسحاق: لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما يجري أتهمهم، وظن أنها كفعلتهم بيوسف { قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل } .

وقال بعض الناس: لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الأول، سحب حكم الأول عليه، وصح قوله:

{ بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل } . اهـ (١٤٨)

-وزاد القرطبي - رحمه الله - في بيانها مع فوائد جليلة فقال ما مختصره وبتصرف يسير: الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجره عليه وهو العليم الحكيم، ويقتدي بنبي الله يعقوب وسائر النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: ما من جرعتين يتجرعهما العبد أحب إلى الله من جرعة مصيبة يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء، وجرعة غيظ يتجرعها العبد بحلم وعفو. وقال ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى: " فصبر جميل " أي لا أشكو ذلك إلى أحد. ثم أضاف - رحمه الله:

(١٤٦) -الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٤٨)

١٤٧ -ثمة كلام محذوف قبل بل ليصح بما الإضراب أي: ليس الأمر كما أخبرتم حقيقة بل سوّلت لكم أنفسكم.

١٤٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠٣)

وثواب من ذكر مصيبتيه واسترجع وإن تقادم عهدا. وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن يعقوب أعطي على يوسف أجر مائة شهيد، وكذلك من احتسب من هذه الأمة في مصيبتيه فله مثل أجر يعقوب عليه السلام. قوله تعالى: {عسى الله أن يأتيني بهم جميعا} لأنه كان عنده أن يوسف صلى الله عليه وسلم لم يمت، وإنما غاب عنه خبره، لأن يوسف حمل وهو عبد لا يملك لنفسه شيئا، ثم اشتراه الملك فكان في داره لا يظهر للناس، ثم حبس، فلما تمكن احتال في أن يعلم أبوه خبره، ولم يوجه برسول لأنه كره من إخوته أن يعرفوا ذلك فلا يدعوا الرسول يصل إليه. وقال: "بهم" لأنهم ثلاثة، يوسف وأخوه، والمتخلف من أجل أخيه، وهو القائل: {فلن أبرح الأرض}. {إنه هو العليم} بحالي. {الحكيم} فيما يقضي. اهـ (١٤٩)

{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) }

إعراب مفردات الآية (١٥٠)

(الواو) عاطفة (تولَّى) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والفاعل هو (عن) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تولَّى) ، (الواو) عاطفة (قال) فعل ماض، والفاعل هو (يا) أداة نداء وتحسّر (أسفى) منادى متحسّر به مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الألف، و (الألف) المنقلبة عن ياء في محلّ جرّ مضاف إليه (على يوسف) جارّ ومجرور متعلّق بأسف «١٥١»، (الواو) استئنافية (ابيضت) مثل سؤلت (عيناه) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف ... و (الهاء) مضاف إليه (من الحزن) جارّ ومجرور متعلّق ب (ابيضت) ومن سببية (الفاء) عاطفة (هو كظيم) مثل هو العليم.

روائع البيان والتفسير

{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }

-قال السعدي في بياحا- رحمه الله-: أي: وتولى يعقوب عليه الصلاة والسلام عن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء، حيث ابيضت عيناه من ذلك.

{ فَهُوَ كَظِيمٌ } أي: ممتلئ القلب من الحزن الشديد. اهـ (١٥٢)

{ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) }

١٤٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٤٧ / ٩)

(١٥٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٥٠)

١٥١ -أو متعلّق ب (يا) التي فيها معنى أتحسّر.

١٥٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٤)

قالوا تالله) مرّ إعرابها «١٥٤» ، (تفتأ) مضارع ناقص حذف منه حرف النفي، مرفوع واسمه ضمير مستتر تقديره أنت (تذكر) مضارع مرفوع، والفاعل أنت (يوسف) مفعول به، ومنع من التنوين للعلمية والعجمة (حتى) حرف غاية وجرّ (تكون) مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد حتى، واسمه ضمير مستتر تقديره أنت (حرضا) خبر منصوب. والمصدر المؤول (أن تكون) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلّق ب (تذكر) .
(أو) عاطفة (تكون) مثل الأول ومعطوف عليه (من الهالكين) جارّ ومجرور متعلّق بخبر تكون الثاني

روائع البيان والتفسير

{قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ }

-قال ابن كثير -رحمه الله في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف} أي: لا تفارق تذكر يوسف، {حتى تكون حرضا} أي: ضعيف الجسم، ضعيف القوة، {أو تكون من الهالكين} يقولون: وإن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف.

{قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله} أي: أجابهم عما قالوا بقوله: {إنما أشكو بثي وحزني}. اهـ(١٥٥)
-وزاد البغوي بيانا لقوله تعالي { حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ } فقال ما مختصره: {قالوا} يعني: أولاد يعقوب، {تالله تفتأ تذكر يوسف} أي: لا تزال تذكر يوسف، لا تفتّر من حبه، و" لا " محذوفة من قوله {تفتأ} يقال: ما فتى يفعل كذا أي: ما زال، كقول امرئ القيس: فقلت يمين الله أبرح قائما ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي: لا أبرح. {حتى تكون حرضا} قال ابن عباس: دفنا وقال مجاهد: الحرض ما دون الموت، يعني: قريبا من الموت. وقال ابن إسحاق: فاسدا لا عقل لك.

والحرض: الذي فسد جسمه وعقله. وقيل: ذائبا من الهم. ومعنى الآية: حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل. وأصل الحرض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن والهرم، أو العشق ، يقال: رجل حرض وامرأة حرض، ورجلان وامرأتان حرض، ورجال ونساء كذلك، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه مصدر وضع موضع الاسم. {أو تكون من الهالكين} أي: من الميتين. اهـ (١٥٦)

{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) }

(١٥٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٥٢)

١٥٤ -في الآية (٧٣) من هذه السورة.

١٥٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٠٥)

١٥٦ -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٦٨)

إعراب مفردات الآية (١٥٧)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يعقوب (إنَّمَا) كAFFة ومكفوفة (أشكو) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الواو، والفاعل أنا (بئس) مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (حزني) مثل بئس ومعطوف عليه (إلى الله) جارٌّ ومجرور متعلق ب (أشكو) ، (الواو) عاطفة (أعلم) مثل أشكو، والحركة ظاهرة (من الله) جارٌّ ومجرور متعلق ب (أعلم) ، (ما) اسم موصول «١٥٨» مبني في محل نصب مفعول به (لا) حرف نفي (تعلمون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً ما نصه: { قَالَ } يعقوب { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي } أي: ما أثبت من الكلام { وَحُزْنِي } الذي في قلبي { إِلَى اللَّهِ } وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم { وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } من أنه سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم. اهـ (١٥٩)

- وزاد الفرطبي - رحمه الله - في بيان معني قوله تعالي { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي } فقال ما مختصره وبتصرف يسير: حقيقة البث في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، وهو من بثته أي فرقته، فسميت المصيبة بثاً مجازاً، قال ذو الرمة: وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأحاطبه وأسقيه حتى كاد مما أبته ... تكلمني أحجاره وملاعبه. اهـ

{ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْئُسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }

{ (٨٧) }

إعراب مفردات الآية (١٦٠)

(يا) أداة نداء (بئس) منادى مضاف منصوب، وعلامة النصب الياء فهو ملحق بجمع المذكر، و (الياء) الثانية ضمير مضاف إليه (اذهبوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. و (الواو) فاعل (الفاء) عاطفة (تحسسوا) مثل اذهبوا (من يوسف) جارٌّ ومجرور متعلق ب (تحسسوا) «١٦١» ، (الواو) عاطفة (أخيه) معطوف على يوسف مجرور وعلامة الجرّ الياء ...

(١٥٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٥٣)

١٥٨ - أو نكرة موصوفة ... والجملة بعدها في محل نصب نعت.

١٥٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٤)

(١٦٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٥٤)

١٦١ - في المعجم: تحسس منه: تخبر خبره.

و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة (تبيسوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون ... و (الواو) فاعل (من روح) جازّ ومجرور متعلّق ب (تبيسوا) ، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (إنّه) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ- و (الهاء) ضمير الشأن اسم إنّ في محلّ نصب (لا) نافية (بيس) مضارع مرفوع (من روح الله) مثل الأولى، والجازّ متعلّق ب (بيس) ، (إلا) أداة حصر (القوم) فاعل مرفوع (الكافرون) نعت للقوم مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }

-قال أبو جعفر الطبري في تفسيره للآية-رحمه الله-: يقول تعالى ذكره: حين طمع يعقوب في يوسف، قال لبنيه: { يا بني اذهبوا } إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتكم أخويكم به { فتحسسوا من يوسف }، يقول: التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره.

وأصل "التحسس" ، "التفعل" من "الحسّ". { وأخيه } يعني بنيامين { ولا تيأسوا من روح الله } ، يقول: ولا تقنطوا من أن يروّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرح من عنده، فبرينيهما { إنه لا ييأس من روح الله } يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه { إلا القوم الكافرون }، يعني: القوم الذين يجحدون قُدرته على ما شاء تكوينه. اهـ (١٦٢)

-وزاد السعدي -رحمه الله في بيانه لقوله تعالى: { وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ } فقال: فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإيأس: يوجب له التناقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه، { إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } فَإِنَّمَا لِكُفْرِهِمْ يَسْتَبْعِدُونَ رَحْمَتَهُ، وَرَحْمَتُهُ بَعِيدَةٌ مِنْهُمْ، فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ.

ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاءه لرحمة الله وروحه. اهـ (١٦٣)

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الصُّرُورَ وَجَعَلْنَا بِيضَاعَنَا مُزْجَاةً فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) }

إعراب مفردات الآية (١٦٤)

١٦٢ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٣٢ / ١٩٧٣٣)

١٦٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٤)
(١٦٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٥٦)

(الفاء) استئنافية (لما دخلوا عليه قالوا) مثل لما استئيسوا منه خلصوا «١٦٥» ، (يأتيها العزيز) مرّ إعرابها «١٦٦» ، (مستنا) فعل ماض مبنيّ على الفتح..

و (نا) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (أهلنا) معطوف على ضمير النصب، منصوب ... و (نا) ضمير مضاف إليه (الضّر) فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (جئنا) فعل ماض وفاعله (ببضاعة) جار ومجرور متعلّق ب (جئنا) ، (مزجاة) نعت لبضاعة مجرور (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (أوف) فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلة، والفاعل أنت (اللام) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أوف) ، (الكيل) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (تصدّق) مثل أوف (علينا) مثل لنا متعلّق ب (تصدّق) ، (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (يجزي) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء ... والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (المتصدّقين) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ }

-قال ابن كثير -رحمه الله- في بيانها ما مختصره: وقوله: { فلما دخلوا عليه } تقدير الكلام: فذهبوا فدخلوا بلد مصر، ودخلوا على يوسف، { قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر } يعنون من الجذب والقحط وقلة الطعام، { وجئنا ببضاعة مزجاة } أي: ومعنا ثمن الطعام الذي تمّاره، وهو ثمن قليل. قاله مجاهد، والحسن، وغير واحد.

وقال ابن عباس: الرديء لا ينفق، مثل خلق الغرارة، والحبل، والشيء، وفي رواية عنه: الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصان. وكذا قال قتادة، والسدي.

ثم قال - رحمه الله -:

وأصل الإزجاء: الدفع لضعف الشيء، كما قال حاتم الطائي:

ليبك على ملحان ضيف مدفع ... وأرملة تزجي مع الليل أرملا

وقوله إخبارا عنهم: { فأوف لنا الكيل } أي: أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك. وقرأ ابن مسعود: "فأوفر ركابنا وتصدق علينا".

وقال ابن جريج: { وتصدق علينا } برد أخينا إلينا.

١٦٥ - في الآية (٨٠) من هذه السورة.

١٦٦ - في الآية (٧٨) من هذه السورة.

وقال سعيد بن جبير والسدي: {وتصدق علينا} يقولون: تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة، وتجاوز فيها. اهـ (١٦٧)

-وزاد القرطبي في بيانها فقال: لما دخلوا على يوسف قالوا: "مسنا" أي أصابنا" وأهلنا الضر" أي الجوع والحاجة، وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر، أي الجوع، بل واجب عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قدحا في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى، وذلك قول يعقوب: "نما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون

" [يوسف: ٨٦] أي من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائده على عباده، فأما الشكوى على غير مشك

فهو السفه، إلا أن يكون على وجه البث والتسلي. اهـ (١٦٨)

{ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ }

-قال البغوي- رحمه الله- في بيانها: {فأوف لنا الكيل} أي: أعط لنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي، {وتصدق علينا} أي: تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا.

هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن جريج والضحاك: وتصدق علينا برد أحنينا إلينا. إن الله يجزي [يثيب، المتصدقين، وقال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لا يعلموا أنه مؤمن. وسئل سفيان بن عيينة: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال سفيان:

ألم تسمع قوله تعالى: وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ، يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم.

وروي أن الحسن سمع رجلا يقول: اللهم تصدق علي، فقال: إن الله لا يتصدق وإنما يتصدق من يبغي الثواب،

قل: اللهم أعطني أو تفضل علي. اهـ (١٦٩)

-وأضاف أبو جعفر في بيان قوله تعالى: {إن الله يجزي المتصدقين}، يقول: إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم. اهـ

{ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) }

إعراب مفردات الآية (١٧٠)

١٦٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠٧)

١٦٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٢٥٣)

١٦٩- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٧٢)

(١٧٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٥٧)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو (هل) حرف استفهام (علمتم) فعل ماضٍ مبني على السكون وفاعله (ما) اسم موصول «١٧١» مبني في محلِّ نصب مفعول به (فعلتم) مثل علمتم (بيوسف) جارٌّ ومجرور متعلِّق بـ (فعلتم) ، (الواو) عاطفة (أخيه) معطوف على يوسف مجرور وعلامة الجرِّ الياء ... و (الهاء) مضاف إليه (إذ) ظرف للزمن الماضي مبني في محلِّ نصب متعلِّق بـ (فعلتم) (أنتم) ضمير منفصل مبني في محلِّ رفع مبتدأ (جاهلون) خبر مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في بيانها إجمالاً: ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما قال له إخوته: { يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين } ، أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتهم من شأنه.

وأضاف أبو جعفر: فتأويل الكلام: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ فرقتم بينهما وصنعتن ما صنعتم إذ أنتم جاهلون؟ يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف، وما إليه صائر أمره وأمركم. اهـ (١٧٢)

{ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) }

إعراب مفردات الآية (١٧٣)

(قالوا) فعل ماضٍ وفاعله (الهمزة) للاستفهام التقريري - أو الاستخباري - (إِنَّكَ) حرف مشبّه بالفعل و (الكاف) ضمير في محلِّ نصب اسم إنَّ (اللام) لام الابتداء (أنت) ضمير منفصل في محلِّ رفع مبتدأ «١٧٤» ، (يوسف) خبر مرفوع، ومنع من التنوين للعلمية العجمة (قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو (أنا يوسف) مثل أنت يوسف (الواو) حرف عطف (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبني في محلِّ رفع مبتدأ (أخي) خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير مضاف إليه (قد) حرف تحقيق (منّ) فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (على) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلِّ جرّ متعلِّق بـ (منّ) ، (إنّه) مرّ إعرابه «١٧٥» ، (من) اسم شرط

١٧١ - يجوز أن يكون حرفاً مصدريةً، والمصدر المؤوّل مفعول علمتم.

١٧٢ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦) / ٢٤٤ (١٩٧٩/)

(١٧٣) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣) / ٥٨

١٧٤ - الأحسن أن يكون ضميراً منفصلاً - لا فصلاً - لأنّ لفظ يوسف لا يلتبس بالنعته.

١٧٥ - في الآية ٨٧ من هذه السورة.

جازم مبني في محل رفع مبتدأ (يتق) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل هو (الواو) عاطفة (يصبر) مثل يتق معطوف عليه (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إن) مثل الأول (الله) لفظ الجلالة اسم إن منصوب (لا) نافية (يضيع) مضارع مرفوع والفاعل هو (أجر) مفعول به منصوب (المحسنين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا أَيْنَك لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً: فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالوا: { أَيْنَك لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا } بالإيمان والتقوى والتمكين في الدنيا، وذلك بسبب الصبر والتقوى، { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } أي: يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامثالها { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. اهـ (١٧٦)

- وزاد ابن كثير - رحمه الله - ما مختصره: والظاهر - والله أعلم - أن يوسف، عليه السلام، إنما تعرف إليهم بنفسه، بإذن الله له في ذلك، كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك، والله أعلم، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر، فرج الله تعالى من ذلك الضيق، كما قال تعالى: { فَإِن مَعَ الْعَسْرِ يَسِرْنَا مَعَ الْعَسْرِ بِسْرًا } [الشرح: ٥، ٦] ، فعند ذلك قالوا: { أَيْنَك لَأَنْتَ يُوسُفُ } ؟ ثم أضاف - رحمه الله: لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: إنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام: { أَيْنَك لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي } . اهـ (١٧٧)

- وأضاف أبو جعفر الطبري - رحمه الله -: (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ، يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه. اهـ (١٧٨)

{ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) }

١٧٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٤)

١٧٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠٨)

١٧٨ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٤٤)

إعراب مفردات الآية (١٧٩)

قالوا تالله لقد مرّ إعرابها «١٨٠» ، (أترك) فعل ماضٍ، و (الكاف) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (علينا) مثل السابق «١٨١» متعلّق ب (أترك) ، (الواو) عاطفة (إن) مخفّفة من الثقيلة، واسمها ضمير محذوف هو ضمير المتكلم (كنّا) فعل ماضٍ ناقص- ناسخ- و (نا) ضمير في محلّ رفع اسم كان (اللام) هي الفارقة (خاطعين) خبر الناقص منصوب وعلامة نصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً: {قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا} أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتباعد لك عن أبيك، فأترك الله تعالى وممكنك مما تريد {وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف. اهـ (١٨٢)

{ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (٩٢)

إعراب مفردات الآية (١٨٣)

(قال) فعل ماضٍ والفاعل هو (لا) نافية للجنس (تثريب) اسم لا مبني على الفتح في محلّ نصب (عليكم) مثل علينا «١٨٤» متعلّق بخبر لا (اليوم) ظرف زمان منصوب متعلّق بخبر لا «١٨٥» ، (يعفر) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (لكم) مثل علينا «١٨٦» ، متعلّق ب (يعفر) ، (الواو) عاطفة (هو) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (أرحم) خبر المبتدأ مرفوع (الراحمين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

(١٧٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٥٨)

١٨٠ - في الآية (٧٣) من هذه السورة.

١٨١ - في الآية السابقة (٩٠) .

١٨٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٤)

(١٨٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٥٩)

١٨٤ - في الآية (٧٣) من هذه السورة.

١٨٥ - أو متعلّق ب (يعفر) .

١٨٦ - في الآية (٧٣) من هذه السورة.

{ قَالَ لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }

- قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: { قال لا تشرب عليكم اليوم } يقول: لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد ذنبكم في حقي بعد اليوم. ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: { يعفر الله لكم وهو أرحم الراحمين }

قال السدي: اعتذروا إلى يوسف، فقال: { لا تشرب عليكم اليوم } يقول: لا أذكر لكم ذنبكم.

وقال ابن إسحاق والثوري: { لا تشرب عليكم اليوم } أي: لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم { يعفر

الله لكم } أي: يستر الله عليكم فيما فعلتم، { وهو أرحم الراحمين } . اهـ (١٨٧)

{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) }

إعراب مفردات الآية (١٨٨)

(اذهبوا) فعل أمر مبني على حذف النون ... و (الواو) فاعل (بقميصي) جازّ ومجرور متعلق ب (اذهبوا) «١٨٩» و (الياء) مضاف إليه (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبني في محلّ جرّ بدل من قميصي - أو عطف بيان - (الفاء) عاطفة (ألقوا) مثل اذهبوا و (الهاء) ضمير مفعول به (على وجه) جازّ ومجرور متعلق ب (ألقوه) ، (أبي) مضاف إليه مجرور وعلامة الجزر الكسرة المقدّرة على ما قبل الياء ... و (الياء) مضاف إليه (يأت) مضارع مجزوم جواب الطلب، وعلامة الجزم حذف حرف العلة، وفاعله هو (بصيرا) حال منصوبة من الفاعل (الواو) عاطفة (اتوا) مثل اذهبوا، و (النون) للوقاية (الياء) ضمير مفعول به (بأهلكم) جازّ ومجرور متعلق ب (اتوا) «١٩٠» ، و (كم) ضمير مضاف إليه (أجمعين) توكيد معنويّ لأهل مجرور وعلامة الجزر الياء.

روائع البيان والتفسير

{ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ }

- قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: ي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: { اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا } لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم - أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتراجع

١٨٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٠٩)

(١٨٨)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٦١/١٣)

١٨٩ - أو متعلق بمحذوف حال من فاعل اذهبوا.

١٩٠ - أو متعلق بمحذوف حال من فاعل اتوني.

إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، والله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق.

ي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص - لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم - أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، والله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق. اهـ (١٩١)

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)}

إعراب مفردات الآية (١٩٢)

(الواو) استئنافية (لما) ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط متعلق ب (قال) ، (فصلت) فعل ماض، و (التاء) للتأنيث (العير) فاعل مرفوع (قال) فعل ماض (أبوهم) فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو.. و (هم) ضمير مضاف إليه (إني) حرف مشبّه بالفعل، و (الياء) اسم إنّ (اللام) المزلحقة للتوكيد (أجد) مضارع مرفوع، والفاعل أنا (ريح) مفعول به منصوب (يوسف) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (لولا) حرف شرط غير جازم (أن) حرف مصدريّ (تفندوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. و (الواو) فاعل و (النون) للوقاية و (الياء) المحذوفة للتخفيف ضمير في محلّ نصب مفعول به. والمصدر المؤوّل (أن تفندون..) في محلّ رفع مبتدأ، والخبر محذوف أي لولا تفنيدكم لي موجود.. وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني.

روائع البيان والتفسير

١٩١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٥)

(١٩٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٦٢)

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ }

-قال السعدي- رحمه الله-: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ} عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شمَّ يعقوب ريح القميص، فقال: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام، صدر مني من غير شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول. اهـ (١٩٣)

-وزاد القرطبي- رحمه الله- في بيانها ما مختصره وبتصرف يسير:

قوله تعالى: (ولما فصلت العير) أي خرجت منطلقاً من مصر إلى الشام، يقال: فصل فصولاً، وفصلته فصلاً، فهو لازم ومتعد. {قال أبوهم} أي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده: {إني لأجد ريح يوسف}. وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه، فقال لمن بقي: {إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون}.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: إنما أوصل ريحه من أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان عليه السلام طرفه.

ثم أضاف- رحمه الله- بعد كلام: فعند ذلك قال: "إني لأجد" أي أشم، فهو وجود بحاسة الشم. {لولا أن تفندون} قال ابن عباس ومجاهد: لولا أن تسفهون .

ثم أضاف- رحمه الله: وقال سعيد بن جبير والضحاك: لولا أن تكذبون. والفند الكذب.

وقال ابن الأعرابي: {لولا أن تفندون} لولا أن تضعفوا رأيي، وقاله ابن إسحاق. والفند ضعف الرأي من كبر. وقول رابع: تضللون، قاله أبو عبيدة. وقال الأخفش: تلوموني، والتفنيذ اللوم وتضعيف الرأي. وقال الحسن وقتادة ومجاهد أيضاً: تهرمون، وكله متقارب المعنى، وهو راجع إلى التعجيز وتضعيف الرأي، يقال: فنده تفنيذاً

إذا أعجزه. اهـ (١٩٤)

{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) }

إعراب مفردات الآية (١٩٥)

(قالوا) فعل ماض وفاعله (تالله) تاء القسم ومجرورها، متعلق بفعل محذوف تقديره أقسم (إنك) مثل (إني) «١٩٦» ، (اللام) للتوكيد (في ضلالك) جارّ ومجرور متعلق بجزء إن... و (الكاف) مضاف إليه (القديم) نعت لضلال مجرور.

روائع البيان والتفسير

١٩٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٥)

١٩٤-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٥٩ / ٩)

(١٩٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٦٣ / ١٣)

١٩٦ - يمكن تضمين فعل ارتدّ معنى صار فتكون (بصيرا) خيرا.

{ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ }

قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله-: يقول تعالى ذكره: قال الذين قال لهم يعقوب من ولده {إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون} : تالله، أيها الرجل، إنك من حبّ يوسف وذكره لفي خطئك وزلللك القديم لا تنساه، ولا تتسلى عنه. اهـ(١٩٧)

-قال ابن كثير-رحمه الله-: وقولهم: {إنك لفي ضلالك القديم} قال ابن عباس: لفي خطئك القديم. وقال قتادة: أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه، قالوا لوالدهم كلمة غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبي الله صلى الله عليه وسلم وكذا قال السدي، وغيره. اهـ(١٩٨)

{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) }

إعراب مفردات الآية (١٩٩)

(الفاء) عاطفة (لما) ظرف متعلّق ب (ألقاه) ، متضمّن معنى الشرط (أن) حرف زائد (جاء) فعل ماض (البشير) فاعل مرفوع (ألقاه) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف، و (الهاء) ضمير مفعول به، والفاعل هو أي البشير (على وجهه) جارّ ومجرور متعلّق ب (ألقاه) .. و (الهاء) مضاف إليه (الفاء) عاطفة (ارتدّ) مثل جاء، والفاعل هو أي يعقوب (بصيرا) حال منصوبة «٢٠٠» ، (قال) مثل جاء (الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وحزم (أقل) مضارع مجزوم، والفاعل أنا (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أقل) ، (إني) كالسابق «٢٠١» (أعلم من الله ما لا تعلمون) مرّ إعرابها «٢٠٢» .

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ} بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، {أَلْقَاهُ} أي: القميص {عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه

١٩٧- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاکر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٥٦ / ١٩٨٤٨)

١٩٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤١١)

(١٩٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٦٥)

٢٠٠ - في الآية السابقة (٩٤) .

٢٠١ - في الآية السابقة (٩٤) .

٢٠٢ - في الآية (٨٦) من هذه السورة.

من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصرا عليهم، متبجحا بنعمة الله عليه: { أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن. اهـ (٢٠٣)

{ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) }

إعراب مفردات الآية (٢٠٤)

قالوا فعل ماض وفاعله (يا أبانا) مرّ إعرابها «٢٠٥» ، (استغفر) فعل أمر، والفاعل أنت (اللام) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (استغفر) ، (ذنوبنا) مفعول به منصوب.. و (نا) ضمير مضاف إليه، (إنّا كنّا خاطئين) مثل إن كنّا لخاطئين «٢٠٦» .

روائع البيان والتفسير

{ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره للآية: يقول تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا سل لنا ربك يعفُ عَنَّا، ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف، فلا يعاقبنا بها في القيامة (إنّا كنا خاطئين) ، فيما فعلنا به، فقد اعترفنا بذنوبنا. اهـ(٢٠٧)

-وزاد القرطبي- رحمه الله-: قوله تعالى: { قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ } في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا يا أبانا، وهذا يدل على أن الذي قال له: " تالله إنك لفي ضلالك القديم" بنو بنيه أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده، فإنهم كانوا غيبا، وكان يكون ذلك زيادة في العقوق. والله أعلم.

وإنما سألوه المغفرة، لأنهم أدخلوا عليه من ألم الحزن ما لم يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله. اهـ(٢٠٨)

{ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) }

إعراب مفردات الآية (٢٠٩)

٢٠٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٥)

(٢٠٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٦٥)

٢٠٥ - في الآية (٨١) من هذه السورة.

٢٠٦ - في الآية (٩١) من هذه السورة.

٢٠٧- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاکر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٦١

/ ١٩٨٦٩)

٢٠٨-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٢٦٢)

(٢٠٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٦٥)

(قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو (سوف) حرف استقبال (أستغفر) مضارع مرفوع.. والفاعل أنا (لكم) مثل لنا «٢١٠» متعلّق ب (أستغفر) ، (رَبِّي) مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير مضاف إليه (إنّهُ هو الغفور الرحيم) مثل إنّهُ هو العليم الحكيم «٢١١».

روائع البيان والتفسير

{ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: أي: ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتعمدكم برحمته، وقد قيل:

إنه أخرج الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتمّ للاستغفار، وأقرب للإجابة. اهـ (٢١٢)

-وزاد أبو جعفر الطبري فقال -رحمه الله-: وقوله: {إنه هو الغفور الرحيم} ، يقول: إن ربي هو الساتر على

ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم "الرحيم"، بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها. اهـ (٢١٣)

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) }

إعراب مفردات الآية (٢١٤)

(الفاء) عاطفة (لما) ظرف متعلّق ب (آوى) ، (دخلوا) فعل ماضٍ وفاعله (على يوسف) جارٌّ ومجرور متعلّق ب (دخلوا) ، وعلامة الجرّ الفتحة (آوى) فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف (إلى) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (آوى) ، (أبويه) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء، و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (قال) فعل ماضٍ، والفاعل هو أي يوسف (ادخلوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون ... و (الواو) فاعل (مصر) مفعول به منصوب، وامتنع من التنوين للعلميّة والتأنيث (إن) حرف شرط جازم (شاء) فعل ماضٍ مبنيّ في محلّ جزم فعل الشرط (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (آمينين) حال منصوبة وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ }

٢١٠- في الآية السابقة (٩٧) .

٢١١- في الآية (٨٣) من هذه السورة.

٢١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٠٥/)

٢١٣- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٦٣)

(١٩٨٧٦/)

(٢١٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٦٦)

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً: أي: {فَلَمَّا} تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكنائها، فلما وصلوا إليه، و {دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ} أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام والتبجيل والإعظام شيئاً عظيماً، {وَقَالَ} لجميع أهله: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة. اهـ (٢١٥)

-وأضاف الطبري- رحمه الله- في بيان قوله تعالي ما مختصره وبتصرف: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} فقال: فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} ، بعد ما دخلوها، وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضم إليه أبويه، قال لهم هذا القول؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك.

فقال بعضهم: إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر. قالوا: وذلك أن يوسف تلقى أباه تكريمة له قبل أن يدخل مصر، فأواه إليه، ثم قال له ولمن معه: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} ، بما قبل الدخول.

ذكر ممن قال بذلك- رحمه الله-: كالسدي- رحمه الله-

وقال آخرون: بل قوله: {إن شاء الله} ، استثناء من قول يعقوب لبنيه: {استغفر لكم ربي} . قال: وهو من المؤخر الذي معناه التقديم. قالوا: وإنما معنى الكلام: قال: أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم. فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر، ورفع أبويه. وذكر ممن قال بذلك- رحمه الله-: كابن جريج

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقدم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة. اهـ (٢١٦)

قلت: ولكن ابن كثير علق على كلام الطبري- رحمه الله- بكلام جيد فقال في تفسيره: وقد أشكل قوله: {آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر} على كثير من المفسرين، فقال بعضهم: هذا من المقدم والمؤخر، ومعنى الكلام: {وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} وآوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش.

٢١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٥)

٢١٦- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٦٤

وقد رد ابن جرير هذا. وأجاد في ذلك. ثم اختار ما حكاه عن السدي: أن يوسف آوى إليه أبويه لما تلقاهما، ثم لما وصلوا باب البلد قال: {ادخلوا مصر إن شاء الله آمين}

وفي هذا نظر أيضا؛ لأن الإيواء إنما يكون في المنزل، كقوله: {آوى إليه أخاه} وفي الحديث: "من آوى محدثا" وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: {ادخلوا مصر} وضمنه: اسكنوا مصر {إن شاء الله آمين} أي: مما كنتم فيه من الجهد والقحط، ويقال -والله أعلم-: إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدة ببركة قدوم يعقوب عليهم، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال: "اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف" (٢١٧)، ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه، وأرسلوا أبا سفيان في ذلك، فدعا لهم، فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه، عليه السلام. اهـ (٢١٨)

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠)}

إعراب مفردات الآية (٢١٩)

(الواو) عاطفة (رفع) فعل ماضٍ، والفاعل هو (أبويه) مثل الأول (على العرش) جازّ ومجرور متعلّق ب (رفع) (الواو) عاطفة (خرّوا) مثل دخلوا (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خرّوا) ، (سجّدا) حال منصوبة من فاعل خرّوا (الواو) عاطفة (قال) مثل رفع (يا) أداة نداء (أبت) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل ياء المتكلم، ونقلت الكسرة- كسرة المناسبة- إلى التاء المبدلة من ياء المتكلم..

و (ياء) المتكلم المحذوفة ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (تأويل) خبر مرفوع (رؤياي) مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة.. و (الياء) ضمير مضاف إليه (من) حرف جرّ (قبل) اسم ظرفيّ مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (رؤياي) «٢٢٠»، (قد) حرف تحقيق (جعلها) مثل رفع.. و (الهاء) ضمير مفعول به (ربّي) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (حقّا) مفعول به ثانٍ منصوب «٢٢١» (الواو) عاطفة (قد أحسن) مثل

٢١٧ - جزء من حديث في البخاري برقم / ٤٨٠٩ - أب قَوْلِهِ: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}

٢١٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٠٩)

(٢١٩) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ٦٧)

٢٢٠ - أو بحال من الرؤيا عاملها الإشارة.

٢٢١ - أو مفعول مطلق نائب عن المصدر بكونه صفة له أي جعلها حقّا.

قد جعل (بي) مثل له متعلّق ب (أحسن) ، (إذ) ظرف للزمن الماضي مبنيّ في محلّ نصب متعلّق ب (أحسن) ، (أخرج) مثل رفع و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (من السجن) جازّ ومجرور متعلّق ب (أخرجني) ، (الواو) عاطفة (جاء) مثل رفع (بكم) مثل له متعلّق ب (جاء) ، (من البدو) جازّ ومجرور متعلّق ب (جاء) ، (من بعد) جازّ ومجرور متعلّق ب (جاء) ، (أن) حرف مصدرّيّ (نزغ) مثل رفع (الشيطان) فاعل مرفوع (بين) ظرف منصوب متعلّق ب (نزغ) ، وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء ... و (الياء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (بين) مثل الأول ومعطوف عليه (إخوتي) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على ما قبل الياء ... و (الياء) مضاف إليه (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (ربيّ) اسم إنّ منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء ... و (الياء) مضاف إليه (لطيف) خبر إنّ مرفوع و (اللام) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (لطيف) بمعنى مدبّر (يشاء) مضارع مرفوع، والفاعل هو. والمصدر المؤوّل (أن نزغ..) في محلّ جرّ بإضافة (بعد) إليه. (إنّ) مثل الأول و (الهاء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (العليم) خبر مرفوع (الحكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا }
 - قال ابن كثير - رحمه الله في بيان هذه الجزئية من الآية: وقوله: { آوى إليه أبويه } قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما كان أباه وخالته، وكانت أمه قد ماتت قديما.
 وقال محمد بن إسحاق وابن جرير: كان أبوه وأمه يعيشان.
 قال ابن جرير: ولم يقدّم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها. وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق.
 وقوله: { ورفع أبويه على العرش } قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني السرير، أي: أجلسهما معه على سريره.

{ وخرّوا له سجدا } أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلا { وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل } أي: التي كان قصها على أبيه { إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين } [يوسف: ٤]

وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى، عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره.

ثم أضاف - رحمه الله -:

والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم؛ ولهذا خروا له سجداً، فعندها قال يوسف: {يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً} أي: هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر، كما قال تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله} [الأعراف: ٥٣] أي: يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير وشر.

وقوله: {قد جعلها ربي حقاً} أي: صحيحة صدقا، يذكر نعم الله عليه. اهـ (٢٢٢)
{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }

قال السعدي - رحمه الله في تفسيرها ما نصه: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي} إحسانا جسيما {إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الحب، لتمام عفوهِ عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: "أحسن بكم" بل قال {أَحْسَنَ بِي} جعل الإحسان عائداً إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} فلم يقل "نزغ الشيطان إخوتي" بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ} يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسائر العباد وضمايرهم، {الْحَكِيمُ} في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها. اهـ (٢٢٣)

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)}

إعراب مفردات الآية (٢٢٤)

(رَبِّ) منادى مضاف منصوب محذوف منه أداة النداء، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، و (الياء) المحذوفة مضاف إليه (قد) حرف تحقيق (آتيت) فعل ماض مبني على السكون.. و (التاء) ضمير فاعل و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (من الملك) جارّ ومجرور متعلّق ب (آتيتني)

٢٢٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤١٢)

٢٢٣ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٥)

(٢٢٤) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٧٠ / ١٣)

« ٢٢٥ » ، (الواو) عاطفة (علمتني) مثل آتيتني (من تأويل) جارّ ومجرور متعلّق ب (علمتني) « ٢٢٦ » ، (الأحاديث) مضاف إليه مجرور، (فاطر) منادى مضاف منصوب محذوف منه أداة النداء « ٢٢٧ » ، (السموات) مضاف إليه مجرور (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور (أنت) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (وليّ) خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير مضاف إليه (في الدّنيا) جارّ ومجرور متعلّق ب (وليّ) ، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الآخرة) معطوف على الدنيا بالواو مجرور (توفّي) فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلة.. و (التّون) للوقاية و (الياء) مفعول به، والفاعل أنت (مسلمًا) حال من الياء منصوبة (الواو) عاطفة (الحقني) مثل توفّي (بالصّالحين) جارّ ومجرور متعلّق ب (الحق) ، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في بيانها إجمالاً: هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل، كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلماً حين يتوفاه. قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف، عليه السلام، قاله عند احتضاره، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة، رضي الله عنها؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت، ويقول: "اللهم في الرفيق الأعلى، اللهم في الرفيق الأعلى، اللهم في الرفيق الأعلى" (٢٢٨) .

٢٢٥ - و (من) هي لبيان الجنس.. ويجوز أن تكون للتبويض - وهو اختيار أبي حيان الوحيد - فتعلّق بنعت للمفعول المقدر أي: آتيتني عظيماً من الملك.

٢٢٦ - أو هي تبعيضية مثل الأولى، متعلّقة بنعت للمفعول المحذوف أي: علمتني حظاً من تأويل الأحاديث.

٢٢٧ - أو هو بدل من (ربّ) ، أو عطف بيان، أو نعت

٢٢٨ - أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٧ / ٢٠٨ ورواه البخاري في الصحيح عن عائشة ح ٤٤٣٨ - باب مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة وتمام متنه " دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سِوَاكَ رَطْبٌ يَسْتُرُ بِهِ، فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَرَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفْعَ يَدِهِ أَوْ إصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ «يَا رَفِيقَ الْأَعْلَى». ثَلَاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَدَاقِنَتِي " "

ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله، وانقضى عمره؛ لا أنه سأل ذلك منجزاً، كما يقول الداعي لغيره: "أماك الله على الإسلام". ويقول الداعي: "اللهم أحيينا مسلمين وتوفينا مسلمين وألحقنا بالصالحين".

ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً، وكان ذلك سائغاً في ملتهم، كما قال قتادة: قوله: {توفني مسلماً وألحقني بالصالحين} لما جمع الله شمله وأقر عينه، وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها وغضارتها، فاشتاق إلى الصالحين قبله، وكان ابن عباس يقول: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف، عليه السلام.

وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس: أنه أول نبي دعا بذلك. وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام. كما أن نوحاً أول من قال: {رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً} [نوح: ٢٨] ويحتمل أنه أول من سأل نجاز ذلك، وهو ظاهر سياق قتادة، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا.

قال الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً الموت فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي" (٢٢٩).

ورواه البخاري ومسلم، وعندهما: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسناً فيزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعقب، ولكن ليقول: اللهم، أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي" (٢٣٠) وأضاف - رحمه الله في سياق تفسيره: فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت؛ ولهذا قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في آخر إمارته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له، ولا يزداد الأمر إلا شدة قال: اللهم، خذني إليك، فقد سئمتهم وسئموني.

وقال البخاري، رحمه الله، لما وقعت له تلك المحن وجرى له ما جرى مع أمير خراسان: اللهم توفني إليك. وفي الحديث: "إن الرجل ليمر بالقبر - أي في زمان الدجال - فيقول: يا ليتني مكانك" (٢٣١) لما يرى من الفتن والزلازل والبلابل والأمور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون. اهـ (٢٣٢)

- وذكر ابن القيم - رحمه الله - فائدة جلييلة من الآية فقال في تفسيره: جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاته غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل

٢٢٩ - أخرجه مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - برقم / ٢٦٨٠ - باب كراهة تمّي الموت ليضّرّ نزل به

٢٣٠ - أخرجه البخاري برقم / ٥٦٧١ - باب تمّي المريض الموت، ومسلم برقم / ٢٦٨٠ - باب كراهة تمّي الموت ليضّرّ نزل به

٢٣١ - أخرجه البخاري نحوه برقم / ٦٧٠٧ - ذكر الإخبار عن تمّي المسلمين خلو المنايا بهم عند وقوع الفتن من حديث

أبي هريرة ولفظه "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه"

٢٣٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤١٤)

غايات جمعت هذه الدعوة بالإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاته غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات. اهـ (٢٣٣)

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ } (١٠٢)

إعراب مفردات الآية (٢٣٤)

(ذلك) اسم إشارة مبني في محلّ رفع مبتدأ، والإشارة إلى المذكور من قصّة يوسف، و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (من أنباء) جارّ ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ (الغيب) مضاف إليه مجرور (نوحيه) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، و (الهاء) ضمير مفعول به، والفاعل نحن للتعظيم (إلى) حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (نوحيه)، (الواو) عاطفة (ما) حرف نفي (كنت) فعل ماض ناقص مبني على السكون ... و (التاء) ضمير اسم كان (لدى) ظرف مكان مبني على السكون في محلّ نصب متعلّق بخبر كنت.. و (هم) ضمير مضاف إليه (إذ) ظرف للزمن الماضي في محلّ نصب متعلّق بالخبر المحذوف (أجمعوا) فعل ماض وفاعله (أمرهم) مفعول به منصوب.. و (هم) مثل الأخير (الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (يمكرون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ }

- قال السعدي- رحمه الله- ف بيانها إجمالاً ما نصه: لما قص الله هذه القصة على محمد صلى الله عليه وسلم قال الله له: { ذَلِكَ } الإنباء الذي أخبرناك به { مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ } الذي لولا إبحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل، فإنك لم تكن حاضراً لديهم { إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ } أي: إخوة يوسف { وَهُمْ يَمْكُرُونَ } به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولا يمكن أحداً أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها.

كما قال تعالى لما قص قصة موسى وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها إلا بوحيه {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين} الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقاً. اهـ (٢٣٥)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: {وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون} مع بيان فائدة جليّة فقال ما مختصره وبتصرف يسير:

٢٣٣- تفسير القرآن الكريم . لابن القيم)- (ص / ٣٣١)

(٢٣٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٧٢)

٢٣٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٦)

لم يبين هنا هذا الذي أجمعوا أمرهم عليه، ولم يبين هنا أيضا المراد بمكرهم، ولكنه بين في أول هذه السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابة الجب، وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيه يوسف، وذلك في قوله: { فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب إلى قوله: والله المستعان على ما تصفون } [١٢ \ ١٨] .

وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضرا لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به، وجعله في غيابة الجب، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

والآيات المشيرة لإثبات رسالته، بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه علم حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة، كقوله: { وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم } الآية [٣ \ ٤٤] .

وقوله: { وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر } الآية [٢٨ \ ٤٤] .

وقوله: { تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا } الآية [١١ \ ٤٩] ، إلى غير ذلك من الآيات.

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم رسول كريم، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر. اهـ (٢٣٦)

{ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) }

إعراب مفردات الآية (٢٣٧)

(الواو) عاطفة (ما) نافية عاملة عمل ليس (أكثر) اسم ما مرفوع (الناس) مضاف إليه مجرور (الواو) اعتراضية «٢٣٨» (لو) حرف شرط غير جازم (حرصت) فعل ماض مبني على السكون.. و (التاء) فاعل (الباء) حرف جر زائد (مؤمنين) خبر ما منصوب محلاً، مجرور لفظاً، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }

- قال السعدي- رحمه الله - في تفسيرها ما نصه: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ } على إيمانهم { بِمُؤْمِنِينَ } فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعم حرص الناصحين عليهم ولو عدت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر

٢٣٦ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢١٨)

(٢٣٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٧٢)

٢٣٨ - يجوز أن تكون حالية، والجملة بعدها حال.

عنهم، من غير أجر ولا عوض، ولو أقاموا لهم من الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا. اهـ (٢٣٩)

-وزاد القرطبي في بيانها فقال ما مختصره: ظن أن العرب لما سألته عن هذه القصة وأخبرهم يؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي ليس تقدر على هداية من أردت هدايته، تقول: حرص يحرص، مثل: ضرب يضرب. وفي لغة ضعيفة حرص يحرص مثل حمد يحمد. والحرص طلب الشيء باختيار. اهـ (٢٤٠)

{ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا دِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) }

إعراب مفردات الآية (٢٤١)

(الواو) عاطفة (ما) حرف نفي (تسألهم) مضارع مرفوع.. و (هم) ضمير مفعول به، والفاعل أنت (على) حرف جرّ (و (هاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بحال من أجر (من) حرف جرّ زائد (أجر) مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به (إن) حرف نفي (هو) مثل هم (إلا) للحصر (ذكر) خبر مرفوع (للعالمين) جار ومجرور متعلّق ب (ذكر) «٢٤٢»
روائع البيان والتفسير

{ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا دِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم: وما تسأل، يا محمد، هؤلاء الذين ينكرون نبوتك، ويمتنعون من تصديقك والإقرار بما جئتهم به من عند ربك، على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك، وهجر عبادة الأوثان وطاعة الرحمن {من أجر} ، يعني: من ثواب وجزاء منهم، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله. يقول: ما تسألهم على ذلك ثواباً، فيقولوا لك: إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك. وإذ كنت لا تسألهم ذلك، فقد كان حقاً عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه، اتباعاً منك لأمر ربك، ونصيحة منك لهم، وأن لا يستغشوك. اهـ (٢٤٣)

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) }

٢٣٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٦)

٢٤٠-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٧١ / ٩)

(٢٤١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٧٣)

٢٤٢ - أو متعلّق بنعت لذكر.

٢٤٣ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٢٨٤

(١٩٩٥٢/

إعراب مفردات الآية (٢٤٤)

(الواو) استثنائية (كأَين) اسم كناية عن عدد مبني على السكون في محلّ رفع مبتدأ (من آية) جارّ ومجرور تمييز الكناية (في السموات) جارّ ومجرور نعت لآية (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور (بمَرُونَ) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (على) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (بمَرُونَ) ، (الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل مبتدأ (عنها) مثل عليها متعلّق ب (معرضون) وهو الخبر مرفوع، وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ }

-فسرها ابن كثير-رحمه الله- فقال ما نصه: يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات، في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات. اهـ (٢٤٥)

{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) }

إعراب مفردات الآية (٢٤٦)

(الواو) عاطفة (ما) حرف نفي (يؤمن) مضارع مرفوع (أكثرهم) فاعل مرفوع.. و (هم) ضمير مضاف إليه (بالله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يؤمن) ، (إلا) حرف للحصر (وهم مشركون) مثل وهم معرضون.

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون. اهـ (٢٤٧)

(٢٤٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٧٦)

٢٤٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/٤١٨)

(٢٤٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٧٦)

٢٤٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٦)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله- في بيانها مع فوائد جلييلة فقال ما مختصره:

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته.

فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم، ومدبر شؤونهم، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جدا، كقوله: {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون} [١٠ \ ٣١] ، وكقوله: {ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون} [٤٣ \ ٨٧] ، وقوله: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم} [٤٣ \ ٩] .. إلى غير ذلك من الآيات.

ثم قال- رحمه الله-: ومع هذا فإنهم قالوا: {أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب} [٣٨ \ ٥] وهذه الآيات القرآنية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة، أي عبادة الله وحده لا شريك له، ويدل لذلك قوله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} [١٢ \ ١٠٦]

وفي هذه الآية الكريمة إشكال: وهو أن المقرر في علم البلاغة أن الحال قيد لعاملها وصف لصاحبها، وعليه فإن عامل هذه الجملة الحالية الذي هو " يؤمن " مقيد بها، فيصير المعنى تقييد إيمانهم بكونهم مشركين، وهو مشكل لما بين الإيمان والشرك من المنافاة.

قال مقيد عفا الله عنه: لم أر من شفى الغليل في هذا الإشكال، والذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن هذا الإيمان المقيد بحال الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي ؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان البتة شرعا.

أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغة مع كفره بالله، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعا.

وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجمع الشرك فلا إشكال في تقييده به، وكذلك الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى: {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} [٤٩ \ ١٤] ، فهو الإسلام اللغوي ؛ لأن الإسلام الشرعي لا يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه، والعلم عند الله تعالى. اهـ (٢٤٨)

{أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (١٠٧)

إعراب مفردات الآية (٢٤٩)

٢٤٨ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢١٩)

(٢٤٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٧٧)

(الهمزة) للاستفهام (الفاء) عاطفة « ٢٥٠ » ، (آمنوا) فعل ماض وفاعله (أن) حرف مصدري ونصب (تأتي) مضارع منصوب و (هم) ضمير مفعول به (غاشية) فاعل مرفوع (من عذاب) جارّ ومجرور نعت لغاشية (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه (أو) حرف عطف (تأتيهم الساعة) مثل تأتيهم غاشية ومعطوف عليه (بغثة) مصدر في موضع الحال منصوب (وهم لا يشعرون) مثل وهم يمكرون.. في الآية (١٠٢) و (لا) نافية.

روائع البيان والتفسير

{ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }

- قال السعدي في بيانه إجمالاً ما نصه: { أَفَأَمِنُوا } أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المعرضون عن آيات الله { أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ } أي: عذاب يغشاهم ويعمهم ويستأصلهم، { أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً } أي: فجأة { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلى الله، ويتركوا ما يكون سبباً في عقابهم. اهـ (٢٥١)

-وزاد البغوي - رحمه الله- وذكر اقوال اهل التفسير في بيانه فقال: { أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ } أي: عقوبة مجللة. قال مجاهد: عذاب يغشاهم، نظيره قوله تعالى: "يوم يغشاهم العذاب من فوقهم" الآية { العنكبوت - ٥٥ } . قال قتادة: وقية. وقال الضحاك: يعني الصواعق والقوارع. { أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً } فجأة، { وهم لا يشعرون } بقيامها. قال ابن عباس: تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم. اهـ (٢٥٢)

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) }

إعراب مفردات الآية (٢٥٣)

(قل) فعل أمر، والفاعل أنت (ها) حرف تنبيه (ذه) اسم إشارة مبني في محلّ رفع مبتدأ (سبيلي) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) ضمير مضاف إليه (أدعو) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على (الواو) ، والفاعل أنا (إلى الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (أدعو) ، (على بصيرة) جارّ ومجرور متعلّق بحال من فاعل أدعو « ٢٥٤ » ، أي مستيقنا (أنا) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع توكيد لفاعل أدعو، (الواو) عاطفة (من) اسم موصول مبني في محلّ رفع معطوف على الضمير المستتر فاعل أدعو

٢٥٠ - أو استثنائية، والجملة بعدها مستأنفة.

٢٥١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٦)

٢٥٢ -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٢٨٤)

(٢٥٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٧٩)

٢٥٤ - أو متعلّق ب (أدعو) .. أو هو خبر مقدّم و (أنا) مبتدأ مؤخر.

«٢٥٥» ، (اتَّبَعْنِي) فعل ماضٍ، و (النون) للوقاية، و (الياء) ضمير مفعول به، والفاعل هو وهو العائد (الواو) عاطفة (سبحان) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (ما) حرف نفي عامل عمل ليس «٢٥٦» ، (أنا) ضمير منفصل مبني في محل رفع اسم ما (من) المشركين) جارّ ومجرور خبر ما، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

-قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره للآية: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} للناس {هَذِهِ سَبِيلِي} أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا {عَلَى بَصِيرَةٍ} من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. {وَوَ} كذلك {مَنِ اتَّبَعَنِي} يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. {وَسُبْحَانَ اللَّهِ} عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين.

اهـ (٢٥٧)

-وزاد ابن القيم-رحمه الله- في بيانها مع فوائد جلييلة فقال ما مختصره : قال الفراء: وجماعة «ومن اتبعني» معطوف على الضمير في «أدعو» يعني أنا ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو، وهذا قول الكلبي، قال: حق على كل من أتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة.

ويقوى هذا القول من وجوه كثيرة:

قال ابن الأنباري: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله «إلى الله» ثم يتدأ بقوله «على بصيرة أنا ومن اتبعني» فيكون الكلام على قوله جملتين، أخير في أولهما أنه يدعو إلى الله، وفي الثانية: بأنه مع أتباعه على بصيرة، والقولان متلازمان فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه ويكون على بصيرة.

وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

٢٥٥ - أو معطوف على المبتدأ المؤخر (أنا) ... ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي داع إلى الله على بصيرة..

٢٥٦ - أو مهمل.. و (أنا) مبتدأ و (من المشركين) خبره.

٢٥٧ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٦)

وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها: فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد أقصى يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم: أن صاحبه يجوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء. اهـ (٢٥٨)

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) }

إعراب مفردات الآية (٢٥٩)

(الواو) عاطفة (ما) مثل الأول ولا عمل له (أرسلنا) فعل ماض مبني على السكون.. و (نا) ضمير فاعل (من) قبلك) جارّ ومجرور متعلّق ب (أرسلنا) .. و (الكاف) ضمير مضاف إليه (إلا) أداة حصر (رجالاً) مفعول به منصوب (نوحى) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء، والفاعل نحن للتعظيم (إلى) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (نوحى) ، (من أهل) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (رجالاً) ، (القرى) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الهمزة) للاستفهام (الفاء) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (يسيروا) مضارع مجزوم، وعلامة الجزم حذف النون.. و (الواو) فاعل (في الأرض) جارّ ومجرور متعلّق ب (يسيروا) «٢٦٠»

، (الفاء) عاطفة (ينظروا) مثل يسيروا ومعطوف عليه (كيف) اسم استفهام مبنيّ في محلّ نصب خبر كان الماضي الناقص - الناسخ - (عاقبة) اسم كان مرفوع (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه (من قبلهم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول.. و (هم) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه (الواو) استئنافية (اللام) لام الابتداء للتوكيد (دار) مبتدأ مرفوع (الآخرة) مضاف إليه مجرور (خير) خبر مرفوع (اللام) حرف جرّ (الذين) موصول في محلّ جرّ متعلّق ب (خير) ، (اتقوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (الواو) فاعل (أفلا) مثل أفلم والحرف غير جازم (تعقلون) مضارع مرفوع... و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ }

٢٥٨ - تفسير القرآن الكريم . لابن القيم - (ص / ٣٣٢)

(٢٥٩) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ٨٠)

٢٦٠ - أو حال من فاعل يسيروا.

قال السعدي- رحمه الله-: قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا } أي: لم نرسل ملائكة ولا غيرهم من أصناف الخلق، فلاي شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة { نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } أي: لا من البادية، بل من أهل القرى الذين هم أكمل عقولا وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم.

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ } إذا لم يصدقوا لقولك، { فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } كيف أهلكتهم الله بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم. اهـ (٢٦١)

-وزاد القرطبي- رحمه الله- بياناً لقوله تعالى : { من أهل القرى } فقال- رحمه الله-: يريد المدائن، ولم يبعث الله نبيا من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على أهل البدو، ولأن أهل الأمصار أعقل وأحلم وأفضل وأعلم. قال الحسن: لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن. وقال قتادة: " من أهل القرى " أي من أهل الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم. وقال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلا آدميا مدنيا،

وإنما قالوا آدميا تحريزا، من قوله: " يعوذون برجال من الجن " «٤» [الجن: ٦] والله أعلم. اهـ (٢٦٢)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال: وقوله: { أفلم يسيروا في الأرض } [يعني: هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الأرض، { فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم } أي: من الأمم المكذبة للرسول، كيف دمر الله عليهم، وللكافرين أمثالها، كقوله: { أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } [الحج: ٤٦] ، فإذا استمعوا خبر ذلك، رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين، وهذه كانت سنته تعالى في خلقه. اهـ (٢٦٣)

{ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { وَلَدَارُ الْآخِرَةِ } أي: الجنة وما فيها من النعيم المقيم، { خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا } الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن نعيم الدنيا منغص منكذ، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل، لا يفنى أبدا، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، { عطاء غير مجذوذ } { أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

أي: أفلا تكون لكم عقول تؤثر الذي هو خير على الأدنى. اهـ (٢٦٤)

{ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } (١١٠)

٢٦١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٦)

٢٦٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٧٤/٩)

٢٦٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤٢٤/ ٤)

٢٦٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٠٦)

{حَتَّى} حرف ابتداء (إذا) ظرف للزمن المستقبل مبنيّ في محلّ نصب متعلّق ب (جاءهم) ، (استيئس) فعل ماضٍ (الرسول) فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (ظنّوا) فعل ماضٍ وفاعله (أنّهم) حرف مشبّه بالفعل ... و (هم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (قد) حرف تحقيق (كذبوا) ماضٍ مبنيّ للمجهول.. و (الواو) نائب الفاعل (جاء) مثل استيئس و (هم) ضمير مفعول به (نصرنا) فاعل مرفوع.. و (نا) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (بُحِّي) فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع نائب الفاعل (نشأ) مضارع مرفوع، والفاعل نحن للتعظيم (الواو) استئنافية «٢٦٦» (لا) نافية (يردّ) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع (بأسنا) نائب الفاعل مرفوع.. و (نا) ضمير مضاف إليه (عن القوم) جارّ ومجرور متعلّق ب (يردّ) ، (المجرمين) نعت للقوم مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: يخبر تعالى: أنه يرسل الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللثام، وأن الله تعالى يمهّلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يزال الله يمهّلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل.

حتى إن الرسل - على كمال يقينهم، وشدة تصديقهم بوعده الله ووعيده - ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال {جاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ} وهم الرسل وأتباعهم، {وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} أي: ولا يرد عذابنا، عمن احترم، وتجراً على الله {فما له من قوة ولا ناصر} اهـ (٢٦٧)

-قلت: وقد وقع اشكال في تفسير قوله تعالى {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا} وذكر ذلك ابن كثير في تفسيره- رحمه الله- فقال ما مختصره وبتصرف يسير: وفي قوله: {كذبوا} قراءتان، إحداهما بالتشديد: "قد كذبوا"، وكذلك كانت عائشة، رضي الله عنها، تقرؤها، قال البخاري:

عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قول الله: {حتى إذا استيئس الرسل} قال: قلت: أكذبوا أم كذبوا؟ فقالت عائشة: كذبوا. فقلت: فقد استيقنوا أن قومهم قد كذبوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل، لعمرى لقد

(٢٦٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٨١)

٢٦٦-أو حالبة والجملة بعدها في محلّ نصب حال.

٢٦٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠٦)

استيقنوا بذلك. فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك برهما. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا برهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، {حتى إذا استتيس الرسل} ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك (٢٦٨).

قال ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة (٢٦٩): أن ابن عباس قرأها: {وظنوا أنهم قد كذبوا} خفيفة - قال عبد الله هو ابن مليكة: ثم قال لي ابن عباس: كانوا بشرا (٤) وتلا ابن عباس: {حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} [البقرة: ٢١٤] ، قال ابن جريج: وقال لي ابن أبي مليكة: وأخبرني عروة عن عائشة: أنها خالفت ذلك وأبته، وقالت: ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتى مات، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم. قال ابن أبي مليكة في حديث عروة: كانت عائشة تقرؤها "وظنوا أنهم قد كذبوا" مثقلة، للتكذيب. ثم أضاف - رحمه الله:

والقراءة الثانية بالتخفيف، واختلفوا في تفسيرها، فقال ابن عباس ما تقدم، وعن ابن مسعود، أنه قرأ: {حتى إذا استتيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا} مخففة، قال عبد الله: هو الذي تكره.

وهذا عن ابن مسعود وابن عباس، رضي الله عنهما، مخالف لما رواه آخرون عنهما. أما ابن عباس فروى الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس في قوله: {حتى إذا استتيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا} قال: لما أيسر الرسل أن يستجيب لهم قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم، جاءهم النصر على ذلك، {فنجي من نشاء}

وقال ابن جرير: عن إبراهيم بن أبي حرة الجزري (٢٧٠) قال: سألت فتى من قريش سعيد بن جبير فقال له: يا أبا عبد الله، كيف هذا الحرف، فإني إذا أتيت عليه تمنيت أني لا أقرأ هذه السورة: {حتى إذا استتيس الرسل

٢٦٨ - أخرجه البخاري برقم/4695 - باب قوله حتى إذا استتيس الرسل

٢٦٩ - عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، زهير بن عبد الله جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي . الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن ، ولد في خلافة علي أو قبلها .

وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان ، معدود في طبقة عطاء ، وقد ولي القضاء لابن الزبير ، والأذان أيضا . قال البخاري وجماعة : مات سنة سبع عشرة ومائة . قلت : كان من أبناء الثمانين . - انظر سير أعلام النبلاء للذهبي

٢٧٠ - مسلم بن يسار ذكره الذهبي فقال: "مسلم بن يسار القدوة الفقيه الزاهد أبو عبد الله البصري مولى بني أمية وقيل مولى بني تيم من موالي طلحة رضي الله عنه" وذكره ابن كثير فيمن مات سنة تسع وتسعين فقال: "مسلم بن يسار أبو عبد الله البصري، الفقيه الزاهد، له روايات كثيرة، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه، وكان عابدا ورعا زاهدا كثير الصلاة كثير

وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قال: نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحاك بن مزاحم: ما رأيت كاليوم قط رجل يدعى إلى علم فيتلكأ! لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلا.

ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر: أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك، فأجابه بهذا الجواب، فقام إلى سعيد فاعتنقه، وقال: فرج الله عنك كما فرجت عني.

وهكذا روي من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك، وكذا فسرها مجاهد بن جبر، وغير واحد من السلف، حتى إن مجاهدا قرأها: "وظنوا أنهم قد كذبوا"، بفتح الذال. رواه ابن جرير، إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله: {وظنوا أنهم قد كذبوا} إلى أتباع الرسل من المؤمنين، ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم، أي: وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا -مخففة- فيما وعدوا به من النصر.

فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس، وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك، وانتصر لها ابن جرير، ووجه المشهور عن الجمهور، وزيف القول الآخر بالكلية، ورده وأباه، ولم يقبله ولا ارتضاه، والله أعلم. اهـ (٢٧١)

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)}

إعراب مفردات الآية (٢٧٢)

(اللام) لام القسم لقسم مقدّر (قد) حرف تحقيق (كان) ماض ناقص - ناسخ - (في قصصهم) جارّ ومجرور متعلّق بخبر مقدّم ل (كان) .. و (هم) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه (عبرة) اسم كان مرفوع (لأولي) جارّ ومجرور نعت لعبرة، وعلامة الجرّ الياء فهو ملحق بجمع المذكّر (الألباب) مضاف إليه مجرور (ما) نافية (كان) مثل الأول، واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي القرآن (حديثا) خبر منصوب (يفتري) مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الواو) عاطفة (لكن) حرف للاستدراك مهمل (تصديق) معطوف على (حديثا) منصوب (الذي) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه (بين) ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف صلة الموصول (يديه) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.. و (الهاء) ضمير مضاف إليه (الواو)

الخشوع. قال ابن عون كان لا يفضل عليه أحد في زمانه وقال ابن سعد كان ثقة فاضلا عابدا ورعا وقال علي بن أبي حملة قدم علينا مسلم بن يسار دمشقي فقالوا له يا أبا عبد الله لو علم الله أن بالعراق من هو أفضل منك لأتانا به فقال: كيف لو رأيتم أبا قلابة. قال خليفة بن خياط والفلاس مات سنة مائة، وقال الهيثم بن عدي توفي سنة إحدى ومائة -سير أعلام النبلاء برقم/٢٠٣ مختصرا وبتصرف

٢٧١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٢٥)

(٢٧٢) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣/ ٨٣)

عاطفة (تفصيل) معطوف على تصديق منصوب (كلّ) مضاف إليه مجرور (شيء) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة في الموضوعين (هدى، رحمة) اسمان معطوفان على تصديق بحر في العطف منصوبان (لقوم) جارّ ومجرور متعلّق ب (رحمة) ، (يؤمنون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }

-قال السعدي في بيانها إجمالاً مع فوائد وعبر السورة التي تروي قصة نبي الله-يوسف-عليه السلام والتي هي من أحسن القصص كما قال تعالي {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} فقال ما نصه: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ} أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، {عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضاً، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

وقوله: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلفة، {وَلَكِنْ} كان {تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين. {وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فإنهم - بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره - يحصل لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة.

ثم أضاف رحمه الله-مبيناً فوائد وعبر من القصة نذكر بعضها هنا :

-فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن رقي إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصصها فأحسنها، ووضحها ويئنها.

-ومنها: أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبني عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته،. ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبويه وإخوته.

ومن لازم ذلك أن يكون مجتبي مفضلا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: {وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث} ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمرا، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره، والعصر يقصد لغيره، فلذلك أوله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن.

وأول الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

وأول رؤيا الملك للبقرات والسنبلات، بالسنين المخصبة، والسنين المجذبة، ووجه المناسبة أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بما صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمر المعاش أو عدمه.

وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقى عليها الماء، وإذا أخصبت السنة سمحت، وإذا أجدبت صارت عجافا، وكذلك السنبال في الخصب، تكثر وتحضر، وفي الجذب تقل وتيبس وهي أفضل غلال الأرض. -ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قصَّ على قومه هذه القصة الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا.

يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أميٌّ لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون.

ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى مضرتة، لقول يعقوب ليوسف {يا بني لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: {فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} .

-ومنها: أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ} ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض والسرور والغبطة ما حصل بسبب يوسف.

ومنها: أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وآثره على إخوته، جرى منهم ما جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم.

-ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبكون، ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء، ما حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة.

-ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فإله خير الراحين.

-ومنها: ما من الله به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفووا بادرهم به، وتم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به. ثم برّه العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

-ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضا، وقال قائل منهم: { لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ } كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

-ومنها: الحذر من الخلوّة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى، بسبب توخّدها بيوسف، وحبها الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

-ومنها: أن الهمّ الذي همّ به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن { خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى } ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: "رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله" وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير عزما، ربما اقترن به الفعل.

-ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله. { وَهُمْ بِمَا كُفَرُوا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، وخلصه من السوء والفحشاء.

-ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية، لأن يوسف عليه السلام -لما راودته التي هو في بيتها- فر هارباً، يطلب الباب ليتخلص من شرها،

-ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين - إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية - أن يختار العقوبة الدنيوية على موقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار.

-ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام: { وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } .

-ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضاراً لصاحبه.

- ومنها: أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة، فـ "يوسف" عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن، استمر على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقالوا له: { إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فأرأهما متشوفين لتعبيرها عنده - رأى ذلك فرصة فانتزها، فدعاها إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولاً أن الذي أوصله إلى الحال التي رآها فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده، وتركه ملة من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاها بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه.

-ومنها: أنه يبدأ بالأهم فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف - لما سأله الفتيان عن الرؤيا - قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له.

-ومنها: أن من وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ } .

-ومنها: أنه ينبغي للمسئول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحته وفطنته، وحسن إرشاده، فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم - مع ذلك - على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته.

-ومنها: أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمده على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ومنها: فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف - بسبب جماله - حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته.

-ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المرثي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} وقال الملك: {أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ} وقال الفتى ليوسف: {أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ} الآيات،. فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

-ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها.

-ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخرى، وفضله العظيم لقوله تعالى: {وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} .

ومنها: أن جباية الأرزاق - إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم - لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجذبة، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، - ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه.

-ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله.

-ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ المُنْزِلِينَ} .

-ومنها: أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: {يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ} .

-ومنها: جواز استعمال المكاييد التي يتوصل بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

-ومنها: أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يجب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعاريض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّوع في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موها أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: {مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ} ولم يقل "من سرق متاعنا" وكذلك لم يقل "إنا وجدنا متاعنا عنده" بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

-ومنها: أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: {وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا}. ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويجزئه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة {وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به، ولا ينافي ذلك، قوله: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين.

-ومنها: أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنه ما يكون، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أوليائه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد - بذلك - إيمانهم ويقينهم وعرفانهم.

-ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها، أحسن العواقب، لقوله: {قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك، ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَليُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك. اهـ

(٢٧٣)

أحكام وفوائد سورة يوسف

سورة سيدنا يوسف فيها احكام وفوائد جلييلة وهي أفضل القصص وأحسنها علي الإطلاق بنص القرآن كما وصفها الله- عز وجل بقوله { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ } {

وعلي السطور التالية نبين بعضاً من احكامها وفوائدها العظيمة للمسلم في الدين والدنيا ونبينها تحت عناوين رئيسية كما ذكرنا من قبل تيسيراً علي القارئ الكريم والله المستعان وعليه التكلان.

ما جاء عن الرؤية والبشارة

- قوله تعالي { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } (٤)

من المعلوم في سنة نبينا -صلي الله عليه وسلم- أن الرؤيا الصالحة من الله تعالي والحلم من الشيطان كما ثبت في الصحيحين «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» (٢٧٤)

وقال ابن الجوزي رحمه الله: اعلم أن الرؤيا والحلم بمعنى واحد ، غير أن صاحب الشرع ، خصَّ الخيرَ باسم الرؤيا ، والشَّرَّ باسم الحُلْمِ . اهـ (٢٧٥).

- وقال ابن حجر رحمه الله : وظاهر قوله " الرؤيا من الله ، والحُلْمُ من الشَّيْطَانِ) " أن التي تُضاف إلى الله لا يُقال لها حُلْم ، والتي تُضاف للشيطان لا يُقال لها رؤيا ، وهو تصرف شرعي ، وإلا فالكل يُسمى رؤيا . اهـ (٢٧٦)

٢٧٤ - أخرجه البخاري رقم / ٥٧٤٧ - باب النَّفْثِ فِي الرُّؤْيَا ، ومسلم برقم / ٢٢٦١ - أول كتاب الرؤيا

٢٧٥ - غريب الحديث [ج ١- ص ٢٣٩]

٢٧٦ - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري [ج ١٢ - ص ٣٨٦]

ولا يخفي أن الرؤيا من المبشرات التي يمن الله بها علي من شاء ففي حديث أبي هريرة -رضي الل عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» (٢٧٧)

قلت: ورؤية سيدنا يوسف هنا حق وصدق ووحي من الله تعالي ومن أحكام الآية المذكورة هنا ما قاله الحصص -رحمه الله- في أحكامه ما مختصره: فيه بيان صحة الرؤيا من غير الأنبياء لأن يوسف عليه السلام لم يكن نبيا في ذلك الوقت بل كان صغيرا وكان تأويل الكواكب إخوته والشمس والقمر أبويه وروي ذلك عن الحسن. اهـ (٢٧٨)

قلت: وقد بين ابن العربي وزاد في أحكامه عن حكم رؤية يوسف -عليه السلام- قبل النبوة وما طرحه من اجتهادات فقال: فإن قيل: فقد كان يوسف في وقت رؤياه صغيرا، والصغير لا حكم لفعله، فكيف يكون لرؤياه حكم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه.

الأول: أن الصغير يكون الفعل منه بالقصد، فينسب إلى التقصير، الرؤيا لا قصد فيها، فلا ينسب تقصير إليها.

الثاني: أن الرؤيا إدراك حقيقة كما بيناه، فيكون من الصغير كما يكون منه الإدراك الحقيقي في اليقظة، وإذا أخبر عما رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عما رأى في المنام تأول.

الثالث: أن خبره يقبل في كثير من الأحكام، منها الاستئذان فكذلك في الرؤيا. اهـ (٢٧٩)

-ولابن العثيمين في تفسير حقيقة الرؤيا فوائد عظيمة وأحكام هامة ذكرها في سياق شرحه لرياض الصالحين للنووي باب تحريم الكذب فيما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد" (٢٨٠)

فقال - رحمه الله ما مختصره: يعني من كذب في الرؤيا قال: رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب، فإنه يوم القيامة مكلف أن يعقد بين شعيرتين، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكن لا يزال يعذب ويقال: لا بد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد يدل على أن التحلم بحلم لم يره

٢٧٧ - أخرجه البخاري برقم / ٦٩٩٠ - باب المَبَشِّرَاتِ

٢٧٨ - انظر أحكام القرآن للحصص - (٤ / ٣٨٠)

٢٧٩ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٨٣/٣)

٢٨٠ - أخرجه البخاري برقم / ٧٠٤٢ - باب مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ وَتَمَامِهِ «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفْلًا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْإِثْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُفِّلَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»

الإنسان من كبائر الذنوب، وهذا يقع من بعض السفهاء، يتحدث ويقول: رأيت البارحة كذا وكذا؛ لأجل أن يضحك الناس وهذا حرام عليه، وأشد من ذلك أن يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي كذا وكذا وما أشبه ذلك، فإنه أشد وأشد، لأنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما من تحلم بحلم رآه فهذا لا بأس به ولكن ينبغي للإنسان أن يعلم أن ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم: يكون خيراً ويستبشر به الإنسان ويفرح به الإنسان، فهذا لا يحدث به إلا من يحب، لأن الإنسان له حساد كثيرون، فإذا رأى رؤيا حسنة حدث بها من لا يحب فإنه ربما يكيد له كيئداً، يحول بينه وبين هذا الخير الذي رآه، كما فعل إخوة يوسف صلى الله عليه وسلم فإن يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وسلم وعلى أبيه قال لأبيه: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين يعني رأيت هؤلاء أحد عشر كوكباً يعني نجومًا والشمس والقمر كلها تسجد لي فقال له {يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين} فلا تخبر إنساناً ليس من أحبائك وأصدقائك الذين لا يودون لك ما يودون لأنفسهم، لا تخبرهم بما ترى من رؤيا الخير.

القسم الثاني: رؤيا شر، هذا القسم الثاني مما يراه الإنسان في المنام، رؤيا شر ترعج وتخوف، هذا لا تخبر به أحداً أبداً لا صديقك ولا عدوك، وإذا قمت من منامك فاتفل عن يسارك ثلاثاً وقل: أعوذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأيت.

وإن كنت تريد أن تواصل النوم فتم على الجنب الآخر، يعني لا على الجنب الذي رأيت فيه ما تكره فإنها لا تضر، فمن رأى ما يكره يعمل ما يلي: أولاً: إن استيقظ يتفل عن يساره ثلاث مرات ويقول: أعوذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأيت.

إن أراد أن يواصل النوم ينام على الجنب الثاني إذا قام، فلا يخبر بها أحداً؛ لأن ذلك لا يضره، فإذا فعل هذا فإنه لا يضره بإذن الله، وكان الصحابة يرون الرؤيا تمرضهم وتقلقهم فلما حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فعلوا ما أرشدهم إليه واستراحوا، وكثير من الناس مبتلى يبحث عن الشر لنفسه؛ يرى الرؤيا يكرهها ثم يحاول أن يقصها على الناس ليعبروها له، وهذا غلط إذا رأيت الرؤيا تكرهها فهذا عندك دواء من أحسن الأدوية بل هو حسن الأدوية، علمك إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القسم الثالث: رؤيا أضغاث أحلام، ليس لها رأس ولا قدم، يرى الإنسان أشياء متناقضة ويرى أشياء غريبة، وهذه لا تحدث بها أحداً ولا تهتم بها، وقد حدث رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قال: يا رسول الله رأيت في المنام أن رجلاً قد قطع رأسي، فذهب الرأس شارداً، فذهبت وراءه لاحقاً له. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تحدث الناس بما يتلعب بك الشيطان في منامك.

وهذا من الشيطان يقطع رأسك ويشرد بها وأنت تلاحقه، هذا ما له أصل، فمثل هذه الأشياء لا تهتم بها ولا

تحدث بها أحدًا. اهـ (٢٨١)

-وقوله تعالى { قَالَ يَا بُيَّيْ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } (٥)

-قال الجصاص-رحمه الله- في أحكامه عن هذه الآية: ذكر العلم أنه إن قصها عليهم حسدوه وطلبوا كيده وهو أصل في جواز ترك إظهار النعمة وكتمانه عند من يخشى حسده وكيده وإن كان الله قد أمر بإظهاره

بقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث اهـ (٢٨٢)

-وقال الالوسي-رحمه الله- في سياق تفسيره لسورة البقرة فائدة: واستدل بهذه الآية على وجوب إظهار علم الشريعة وحرمة كتمانه لكن اشترطوا لذلك أن لا يخشى العالم على نفسه وأن يكون متعينا وإلا لم يجرم عليه الكتم إلا إن سئل فيتعين عليه الجواب ما لم يكن إثمه أكبر من نفعه قالوا: وفيها دليل أيضا على وجوب قبول خبر الواحد لأنه لا يجب عليه البيان إلا وقد وجب قبول قوله، وقد يستدل بها على عدم وجوب ذلك على

النساء بناء على أنهن لا يدخلن في خطاب الرجال. اهـ (٢٨٣)

-وقوله تعالى { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنْمِئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَثَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

من هذه الآية الكريمة في قوله تعالى { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } أفاض شيخ الإسلام وبين فائدة جلية منها وذكر أنواع التأويل فقال ما نصه: وأما " التأويل " في لفظ السلف فله معنيان: " أحدهما " تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا

وهذا - والله أعلم - هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير. و " المعنى الثاني " في لفظ السلف - وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا - : هو نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به. وبين هذا المعنى والذي قبله بون؛ فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ويكون وجود

٢٨١ - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين - (٦ / ١٦٩)

٢٨٢ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٣٨٠)

٢٨٣ - انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للالوسي - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت (١ / ٤٢٦)

التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرمزي. وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلية. فإذا قيل: طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها. ويكون " التأويل " من باب الوجود العيني الخارجي فتأويل الكلام هو الحقائق الثابتة في الخارج بما هي عليه من صفاتها وشؤونها وأحوالها وتلك الحقائق لا تعرف على ما هي عليه بمجرد الكلام والإخبار إلا أن يكون المستمع قد تصورهما أو تصور نظيرهما بغير كلام وإخبار؛ لكن يعرف من صفاتها وأحوالها قدر ما أفهمه المخاطب: إما بضرب المثل وإما بالتقريب وإما بالقدر المشترك بينها وبين غيرها وإما بغير ذلك. وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التي نزل بها. ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف: {وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك} وقوله: {ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراي أعصر خمرا وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين} {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما} وقول الملائكة: {أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين} {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوني} وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر {آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} {ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا}. فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تؤول إليه كما قال يوسف: {هذا تأويل رؤياي من قبل} والعالم بتأويلها: الذي يخبر به. كما قال يوسف: {لا يأتيكما طعام ترزقانه} أي في المنام {إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما} أي قبل أن يأتيكما التأويل.

قال الله تعالى: {فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} قالوا: أحسن عاقبة ومصيرا. فالتأويل هنا تأويل فعلهم الذي هو الرد إلى الكتاب والسنة. والتأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا. والتأويل في الأعراف ويونس تأويل القرآن وكذلك في سورة آل عمران. وقال تعالى في قصة موسى والعالم: {قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا} إلى قوله: {وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا} فالتأويل هنا تأويل الأفعال التي فعلها العالم من حرق السفينة بغير إذن صاحبها ومن قتل الغلام ومن إقامة الجدار فهو تأويل عمل لا تأويل قول. اهـ (٢٨٤)

قلت: وذكر الطحاوي - رحمه الله - في أحكامه ما بينه ابن تيمية من أنواع التأويل ثم قال - رحمه الله -:
فمن ينكر وقوع مثل هذا التأويل، والعلم بما تعلق بالأمر والنهي منه؟ وأما ما كان خبرا، كالإخبار عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويله، الذي هو حقيقته، إذ كانت لا تعلم بمجرد الإخبار، فإن المخبر إن لم يكن قد تصور المخبر به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته، التي هي تأويله، بمجرد الإخبار. وهذا هو

التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المخاطب إياه، فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يجب أن يعلم ما عني بها، وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله. فهذا معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السلف، وسواء كان هذا التأويل موافقا للظاهر أو مخالفا له. اهـ (٢٨٥)

- قوله تعالى {وَدَخَلَ مَعَهُ الدَّجَنُ فَتَيَّانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتْنَا بِنَأْوِيلِهِ إِنَّا نَنزَّلُكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)}

قلت: من المعلوم أن شرب الخمر من الكبائر العظيمة التي ورد فيها الترهيب الشديد في القرآن والسنة ولكن رؤية الخمر في الآية وتأويلها أمر مختلف فهي علي سبيل المجاز وقد دلت هذه الآية علي جواز قال ابن بطال في شرح البخاري: جاز في اللغة أن يسمى الشيء بما يقول إليه، قال تعالى: {إني أراي أعصر خمرا} [يوسف: ٣٦] ، وإنما يعصر العنب لا الخمر. اهـ (٢٨٦)

- وقال الشوكاني في نيل الأوطار: حاصله أنه من تسمية الشيء باسم ما جاوره أو حل فيه، وتكون من بيانية، ويحتمل أن تكون سببية، ويكون المراد الشخص نفسه، فيكون هذا من باب تسمية الشيء بما يتول إليه أمره في الآخرة، كقوله تعالى حكاية عن أحد السائلين للسيد يوسف - عليه السلام - تعبير رؤياه: {إني أراي أعصر خمرا} [يوسف: ٣٦] يعني عنباً فسماه بما يتول إليه غالباً. وقيل: معناه فهو محرم عليه لأن الحرام يوجب النار في الآخرة. اهـ (٢٨٧)

- قال الجصاص - رحمه الله - في أحكامه عن قوله {إني أراي أعصر خمرا}: وذلك لأن الخمر المائعة لا يتأتى فيها العصر وقيل معناه أعصر ما يؤول إلى الخمر فسماه باسم الخمر وإن لم يكن خمرا على وجه المجاز وجاز أن يعصر من العنب خمرا بأن يطرح العنب في الخابية ويترك حتى ينش ويغلي فيكون ما في العنب خمرا فيكون العصر للخمر على وجه الحقيقة وقال الضحاك في لغة تسمى العنب خمرا. اهـ (٢٨٨)

- وشيخ الإسلام ابن تيمية ذكر فائدة من هذه الآية وأمثالها في فهم معنى التأويل للرؤية في القرآن فقال: ويكون "التأويل" من باب الوجود العيني الخارجي فتأويل الكلام هو الحقائق الثابتة في الخارج بما هي عليه من صفاتها وشؤونها وأحوالها وتلك الحقائق لا تعرف على ما هي عليه بمجرد الكلام والإخبار إلا أن يكون المستمع قد تصورها أو تصور نظيرها بغير كلام وإخبار؛ لكن يعرف من صفاتها وأحوالها قدر ما أفهمه

٢٨٥ - انظر شرح العقيدة الطحاوية لأب العز الحنفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت (٢٥٣/١)

٢٨٦ - انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض (٣٠٠/١)

٢٨٧ - انظر نيل الأوطار للشوكاني - الناشر: دار الحديث، مصر (١٣٥/٢)

٢٨٨ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٣٨٧)

المخاطب: إما بضرب المثل وإما بالتقريب وإما بالقدر المشترك بينها وبين غيرها وإما بغير ذلك. وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التي نزل بها. وقد قدمنا التبيين في ذلك. ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف: {وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك} وقوله: {ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراي أعصر خمرا وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين} {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما} وقول الملأ: {أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين} {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوني} وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر {أوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين} {ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا}. فتأويل الأحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تقول إليه كما قال يوسف: {هذا تأويل رؤياي من قبل} والعالم بتأويلها: الذي يخبر به. كما قال يوسف: {لا يأتيكما طعام ترزقانه} أي في المنام {إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما} أي قبل أن يأتيكما التأويل. اهـ (٢٨٩)

-وقوله تعالى {يا صاحبي السجن أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَفِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)}

في هذه الآية أحكام وفوائد هامة من ذلك:

- ما ذكره ابن العربي: في احكامه عن قوله تعالى {يا صاحبي السجن أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْتَفِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ}

فقال: من كذب في رؤيا ففسرها العابر له أيلزمه حكمها؟

فقال- رحمه الله: لا يلزمه؛ وإنما كان كذلك في يوسف؛ لأنه نبي. وقد قال: إنه يكون كذا ويقع كذا،

فأوجد الله ما أخبر كما قال؛ تحقيقا لنبوته.

فإن قيل: إنما مخرج كلام يوسف في أنه يكون كذا إن كانا رأياه.

قلنا: ذلك جائز؛ ولكن الفتيان أرادا اختباره بذلك، فحقق الله قوله آية وقابل الهزل بالجد، كما قال الله

تعالى: {الله يستهزئ بهم} [البقرة: ١٥].

فإن قيل: عن قتادة، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال له: إني رأيت كأني أعشبت، ثم أجدبت،

ثم أعشبت، ثم أجدبت. فقال له عمر: أنت رجل تؤمن، ثم تكفر، ثم تؤمن، ثم تكفر، ثم تموت كافرا. فقال

له الرجل: ما رأيت شيئا. فقال عمر: قد قضى لك ما قضى لصاحب يوسف.

قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثا، وكان إذا ظن ظنا كان، وإذا تكلم به وقع على ما ورد

في أخباره، وهي كثيرة؛ منها: أنه دخل عليه رجل فقال له: أظنك كاهنا، فكان كما ظن خرجه البخاري.

ومنها: أنه سأل رجلا عن اسمه، فقال له أسماء فيها النار كلها، فقال له: أدرك أهلك فقد احترقوا؛ فكان كما قال. والله أعلم. اهـ (٢٩٠)

-وما ذكره ابن العربي أيضاً في أحكامه عن قوله تعالى { قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ } فقال : هاهنا نكتة بديعة: وهي أن يوسف وإن كان قال لهما {قضي الأمر الذي فيه تستفتيان} [يوسف: ٤١] فقد قال الله عنه: {وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك} [يوسف: ٤٢] فكيف يقول قضي الأمر ثم يجعل نجاته ظنا؟ وأجاب عنه الناس من وجهين: الأول: قالوا: إنما أخبر عنه بالظن؛ لأن تفسير الرؤيا ليس بقطع، وإنما هو ظن، وهذا باطل؛ وإنما يكون ذلك في حق الناس، فأما في حق الأنبياء فلا؛ فإن حكمهم حق كيفما وقع.

الثاني: إن ظن هاهنا بمعنى أيقن وعلم، وقد يستعمل أحدهما موضع الآخر لغة. وقيل: هو عائد على الفتى نسي تذكرة الملك، فدام طول مكث يوسف في السجن، يدل عليه قوله: {وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة} [يوسف: ٤٥]. اهـ (٢٩١)

-وقوله تعالى { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ } (٤٢)

في هذه الآية شبهه عن عدم توكل سيدنا يوسف -عليه السلام علي ربه كما قال تعالى: { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ } وقد رد عليها شيخ الإسلام وبين ضعف هذا الرأي بآيات القرآن فقال في كلامه فوائد جملة : لما قضى تأويل الرؤيا: {وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك} فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه أي الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه وهو أن يذكر عنده يوسف. والذين قالوا ذلك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله ولا يقول اذكرني عند ربك. فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين. فيقال: ليس في قوله: { اذكرني عند ربك } ما يناقض التوكل؛ بل قد قال يوسف: { إن الحكم إلا لله } كما أن قول أبيه: { لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة } لم يناقض توكله؛ بل قال: { وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون } . و " أيضا " فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين والمخلص لا يكون مخلصا مع توكله على غير الله؛ فإن ذلك شرك ويوسف لم يكن مشركا لا في عبادته ولا توكله بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: { وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين } فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده. وقوله: { اذكرني عند ربك } مثل قوله

٢٩٠ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣/ ٥٣)

٢٩١ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣/ ٥٤)

لربه: {اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم} فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضا للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه فكيف يكون قوله للفتى: {اذكرني عند ربك} مناقضا للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به؛ ليعلم حاله ليتبين الحق ويوسف كان من أثبت الناس.

اهـ(٢٩٢)

-وقوله تعالي {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَنَعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) }

هذه الآية الكريمة بينت صحة رؤيا الكافر الكافر نصرانياً كان أو يهودياً أو وثنياً وقد تصدق في بعض الأحيان كما هو ظاهر في الآية أنفاً وكروياً عاتكة بنت عبد المطلب عمه النبي صلى الله عليه وسلم فيما يصيب قريش يوم بدر.

فالرؤيا الصادقة قد تقع من المسلم والكافر وإن كانت تقع منه أكثر من غيره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً" (293)

وقد قسم بعض أهل العلم - كما قال الحافظ في الفتح - الناس في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

-الأنبياء: ورؤياهم كلها صادقة - .كفار: يندر في رؤياهم الصدق جداً

-الصالحون: والأغلب على رؤياهم الصدق

-الفسقة: والغالب على رؤياهم ومن عداهم: ويقع في رؤياهم الصدق والأضغاث

ولهذا قال ابن العربي - رحمه الله - في أحكامه عن قوله تعالي { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَنَعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ... الآية }:

فيها صحة رؤيا الكافر، ولا سيما إذا تعلق بمؤمن، فكيف إذا كانت آية لني، ومعجزة لرسول، وتصديقاً

لمصطفى للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله وبين العباد. اهـ(٢٩٤)

-وقوله تعالي { وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ

بَضْعَ سِنِينَ (٤٢) }

التوكل علي الله وحسن الظن به أمر ينبغي للمسلم الحرص عليه لأنه من متطلبات الإيمان وعليه صلاح

حياته دين ودنيا وفي هذه الآية حدث اشكال في قول يوسف عليه السلام { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ

٢٩٢ -- انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية- (١١٣/١٥) - الناشر دار الوفاء

٢٩٣ - جزء من حديث أخرجه مسلم برقم/٢٢٦٣-باب: إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكُذْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ من حديث أبي

هريرة - رضي الله .

٢٩٤ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٥٦/٣)

الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ { فقال بعض اهل العلم أن الهاء في أنساه عائدة إلى يوسف -عليه السلام- وكان من أحكام هذا أن عاقبه الله باللبث في السجن بضع سنين ولكن الأمر غير ذلك كما بين شيخ الإسلام في رده عن هذا الرأي وإليك اقوالهم بما فيها من فوائد وحكم.

- قال ابن العربي -رحمه الله- في احكامه :الظن هاهنا بمعنى اليقين لأنه علم يقينا وقوع ما عبر عليه الرؤيا وهو كقوله تعالى {إني ظننت أني ملاق حسابه} ومعناه أيقنت وقوله {فأنساه الشيطان} هذه الهاء تعود على يوسف على ما روي عن ابن عباس وقال الحسن وابن إسحاق على الساقى وفيه بيان أن لبثه في السجن بضع سنين إنما كان لأنه سأل الذي نجا منهما أن يذكره عند الملك وكان ذلك منه على جهة الغفلة فإن كان التأويل على ما قال ابن عباس أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر ربه يعني ذكر الله تعالى وأن الأولى كان في تلك الحال أن يذكر الله ولا يشتغل بمسئلة الناجي منهما أن يذكره عند صاحبه فصار اشتغاله عن الله تعالى في ذلك الوقت سببا لبقائه في السجن بضع سنين وإن كان التأويل أن الشيطان أنسى الساقى فلأن يوسف لما سأل الساقى ذلك لم يكن من الله توفيق للساقى وخلاه ووساوس الشيطان وخواطره حتى أنساه ذكر ربه أمر يوسف وأما البضع فقال ابن عباس هو من الثلاث إلى العشر وقال مجاهد وقتادة إلى التسع وقال وهب لبث سبع سنين. اهـ (٢٩٥)

-قلت: وما ذهب إليه ابن العربي رده شيخ الإسلام ابن تيمية وهو الصواب أن شاء الله ، قال- رحمه الله- ما مختصره: فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين والمخلص لا يكون مخلصا مع توكله على غير الله؛ فإن ذلك شرك ويوسف لم يكن مشركا لا في عبادته ولا توكله بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: {وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين} فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده. وقوله: {اذكرني عند ربك} مثل قوله لربه: {اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم} فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضا للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه فكيف يكون قوله للفتى: {اذكرني عند ربك} مناقضا للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به؛ ليعلم حاله ليتبين الحق ويوسف كان من أثبت الناس. ولهذا بعد أن طلب {وقال الملك ائتوني به} قال {ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم} فيوسف يذكر ربه في هذه الحال كما ذكره في تلك. ويقول: {ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة} فلم يكن في قوله له: {اذكرني

: فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه أي الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه وهو أن يذكر عنده يوسف. والذين قالوا ذلك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله ولا يقول اذكرني عند ربك. فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين. فيقال: ليس في قوله: {اذكرني عند ربك} ما يناقض التوكل؛ بل قد قال يوسف: {إن الحكم إلا

لله { كما أن قول أبيه: { لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة } لم يناقض توكله؛ بل قال: عند ربك { ترك لواجب ولا فعل لمحرّم حتى يعاقبه الله على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين وكان القوم قد عزموا على حبسه إلى حين قبل هذا ظلما له مع علمهم ببراءته من الذنب. قال الله تعالى: { ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين } ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه؛ ليتم بذلك صبره وتقواه فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال؛ ولهذا قال: { أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } ولو لم يصبر ويتق بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعا من السجن لم يحصل له هذا الصبر والتقوى وفاته الأفضل باتفاق الناس. اهـ (٢٩٦)

ما جاء في الحب والعداوة

- قوله تعالى: { إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) } من أحكام هذه الآية أهمية العدل بين الأولاد وهو أمر قد حثت عليه الشريعة لما يجره عدم العدل من حقد وحسد وعداوة بين الأبناء وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير، أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا، فَالتَّوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَأَ لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتُ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بَشِيرُ أَلَيْكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أُشْهَدُ عَلَى جَوْرِ» (٢٩٧)

ومن ثم ينبغي على الأب أن يعدل بين أولاده ولو كان أحد أولاده يستحق المزيد من العناية والحنان لصغر سن أو مرض أو ما اشبه هذا فإن على الأب ألا يظهر ذلك قدر الإمكان حتى لا يحسده أبناءه الآخرين فإن النفس البشرية ضعيفة والشيطان للإنسان عدو مبين . وفي هذه السورة التي ذكرت تفاصيل قصة يوسف -عليه السلام- وأخوته وليس عند اليهود أو النصارى مثل هذه التفاصيل ظهر حب يعقوب وعطفه ليوسف وهي محبة قلبية لا يملك الإنسان ردها رغم عدله بينهم ولكن شعر أخوته بالتفرقة فأخذتهم الغيرة وحرصهم الشيطان علي ما فعلوا .

- قال الجصاص -رحمه الله-: تفاوضوا فيما بينهم وأظهروا الحسد الذي كانوا يضمرونه لقرب منزلته عند أبيهم دونهم وقالوا { إن أبانا لفي ضلال } مبين يعنون عن صواب الرأي لأنه كان أصغر منهم وكان عندهم

٢٩٦ - انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية - (١١٤/١٥) - الناشر دار الوفاء

٢٩٧ - أخرجه البخاري برقم / ٢٦٥٠ - باب: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرِ إِذَا أُشْهَدَ، ومسلم برقم / ١٦٢٣ - باب كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهَبَةِ

أن الأكبر أولى بتقديم المنزلة من الأصغر ومع ذلك فإن الجماعة من البنين أولى بالحب من الواحد وهو معنى قوله ونحن عصابة ومع إنهم كانوا أنفع له بتدبير أمر الدنيا لأنهم كانوا يقومون بأمواله ومواشيه فذهبوا إلى أن

اصطفاه إياه بالحب دونهم وتقديمه عليهم ذهاب عن الطريق الصواب. اهـ (٢٩٨)

-وقال السعدي - رحم الله- : يتعين على الإنسان أن يعدل بين أولاده، وينبغي له إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك ما أمكنه، وأن لا يفضل به بما يقتضيه الحب من إثارة بشيء من الأشياء، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد وبرهم به واتفاقهم فيما بينهم؛ ولهذا لما ظهر لإخوة يوسف من محبة يعقوب الشديدة ليوسف وعدم صبره عنه وانشغاله به عنهم، سَعَوْا فِي أَمْرِ وَحِيمٍ، وهو التفريق بينه وبين أبيه، فقالوا: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٨، ٩]، وهذا صريح جدًا أن السبب الذي

حملهم على ما فعلوا من التفريق بينه وبين أبيه هو تميزه بالحب. اهـ (٢٩٩)

-قوله تعالى { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) }

من أحكام هذه الآية أن الله تعالى يقبل التوبة من عباده مهما كان الذنب عدا الشرك والموت عليه من غير توبة كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) } -النساء

-ولما روي عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَحَزْأُوهُ سَيِّئَةً مِثْلَهَا أَوْ أَعْفَرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ حَاطِيَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِينْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً " (٣٠٠)

-وقال الجصاص: فإنهم تأمروا فيما بينهم على أحد هذين من قتل أو تباعد له عن أبيه وكان الذي استجازوا ذلك واستحجروا من أجله عليه قولهم وتكونوا من بعده قوما صالحين فرجوا التوبة بعد هذا الفعل وهو نحو قوله تعالى { بل يريد الإنسان ليفجر أمامه } قيل في التفسير إنه يعزم على المعصية رجاء التوبة بعدها فيقول أفعال ثم أتوب وفي ذلك دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأنهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وحكاه الله عنهم ولم ينكره عليهم. اهـ (٣٠١)

٢٩٨ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٣٨٠)

٢٩٩ - انظر بدائع الفوائد من قصة يوسف عليه السلام ص (٥٣-٥٤) لعبد الرحمن السعدي

٣٠٠ - أخرجه مسلم برقم / ٢٦٨٧ - بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

٣٠١ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٣٨٠)

وجمهور أهل العلم علي أن توبة قاتل النفس عمدا مقبولة وقالوا أما قوله تعالي (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) النساء / ٩٣ ، فَيُحْمَلُ مُطْلَقًا هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى مُقَيَّدِ آيَةِ الْفُرْقَانِ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ : فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، إِلَّا مَنْ تَابَ .
وقال ابن كثير رحمه الله:

"والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل، فإن تاب وأتاب وخشع وخضع ، وعمل عملا صالحا ، بدل الله سيئاته حسنات ، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته " انتهى (٣٠٢)

قلت: (سيد مبارك) وقد يقال أن ابن عباس - رضي الله عنه - اشتهر عنه استشهاده بالآية المذكورة أنفأ وأن القاتل عمدا ظلما لا تُقبل توبته وقد رفع العلامة ابن عثيمين رحمه الله - هذا الإشكال فقال:
"فإن قلت: ماذا تقول فيما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن القاتل ليس له توبة؟! فالجواب: من أحد الوجهين:

إما أن ابن عباس رضي الله عنهما استبعد أن يكون للقاتل عمدا توبة ، ورأى أنه لا يوفق للتوبة، وإذا لم يوفق للتوبة ، فإنه لا يسقط عنه الإثم، بل يؤاخذ به.

وإما أن يقال: إن مراد ابن عباس: أن لا توبة له فيما يتعلق بحق المقتول. " (٣٠٣)

ما جاء في المكر والحيلة

من المعلوم أن المكر هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر ولكن الحيلة وسيلة بارعة تُحيلُ الشيء عن ظاهره ابتغاء الوصول إلى المقصود وبملاك صاحبها القدرة على دقة التصرف في الأمور. وفي سورة يوسف جاء فيها الأمرين من ذلك:

- قوله تعالي { وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) } .

هذه الآية فيها فوائد وأحكام جمة نذكر منها: أن البكاء ليس دليلاً أو قرينة علي صدق صاحبه كما فعل أخوة يوسف .

- قال ابن العربي - رحمه الله - في أحكامه: قال علماؤنا: هذا يدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله؛ لاحتمال أن يكون تصنعاً، ومن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى، كما قال حكيم:

إذا اشتبكت دموع في حدود ... تبين من بكى ممن تباكى

٣٠٢ - تفسير ابن كثير " (٢ / ٣٨١)

٣٠٣ - مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين " (٨ / ٢٢٢)

والأصح عندي أن الأمر مشتبه، وأن من الخلق في الأكثر من يقدر من التطبع على ما يشبه

الطبع. اهـ ((٣٠٤))

-وقال الجصاص-رحمه الله-: روي أن الشعبي كان جالسا للقضاء فجاءه رجل يبكي ويدعي أن رجلا ظلمه فقال رجل بحضرتة يوشك أن يكون هذا مظلوما فقال الشعبي إخوة يوسف خانوا وظلموا كذبوا وجاءوا أباهم عشاء يبكون فأظهروا البكاء لفقد يوسف ليبرئوا أنفسهم من الخيانة وأوهموه أنهم مشاركون له في المصيبة. اهـ (٣٠٥)

-قوله تعالى: { قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) }

من هذه الآية استدل علمائنا الأفاضل علي مشروعية السبق كما ذكر ابن العربي في احكامه فقال ما مختصره وبتصرف يسير: علموا وفقكم الله أن المسابقة شرعة في الشريعة، وخصلة بديعة، وعون على الحرب، وقد فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - بنفسه وبخيله؛ فروي «أنه سابق عائشة فسبقها، فلما كبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سابقها فسبقته، فقال لها: هذه بتلك». (٣٠٦)

ثم أضاف- رحمه الله: وفي ذلك في الفوائد رياضة النفس والدواب، وتدريب الأعضاء على التصرف، ولا مسابقة إلا بين الخيل والإبل خاصة وزاد رحمه الله وبين بعضاً من أحكام السبق فقال: يجوز الاستباق من غير سبق يجعل، ويجوز بسبق، فإن أخرج أحد المتسابقين سبقاً على أن يأخذه الآخر إن سبق، وإن سبق هو أخذه الذي يليه، فإنه جائز عند أكثر العلماء. وقال مالك. وروى ابن مزيد عن مالك أن يأخذه من حضر، فذلك أيضاً جائز، وإن كان على أن يأخذه الخارج إن سبق ففيه ثلاث روايات: كرهه مالك، وقال ابن القاسم: لا خير فيه، وجوزه ابن وهب، وبه أقول؛ لأنه لا غرر فيه، ولا دليل يجرمه.

٣٠٤ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣٩/٣)

٣٠٥ -انظر أحكام القرآن للجصاص- (٤ / ٨٣٢)

٣٠٦ - يشير المصنف لحديث أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها:

أما كانت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، قالت: فسابقته، فسبقته على رجلي. فلما حملت اللحم؛ سابقته فسبقني، فقال: " هذه بتلك السبقة ". وانظر صحيح أبو داود للألباني برقم/ ٢٣٢٣- باب في السَّبَقِ على الرجل وصحيح الجامع

حديث/ ٧٠٠٧ - ٢٣٤٤

قال علماؤنا: وهذا إن كان بينهما محلل، على أنه إن سبق أخذ منهما أو من أحدهما، وإن سبق لم يكن عليه شيء جاز، جوزه ابن المسيب ومالك في أحد قوليه ومنعه في الآخر، ولا يشترط فيه معرفة أحد بحال فرس صاحبه، بل يجوز على الجهالة ولهما حكم القدر، ومسائل السباق في الفروع مستوفاة. اهـ (٣٠٧)

قلت: والمسابقة بين الخيل جائزة شرعاً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا سَبَقَ إِلَّا فِي نَصْلِ أَوْ خُفِّ أَوْ حَافِرٍ (٣٠٨)) (٣٠٩)

وهذا الحديث يدل على جواز بذل المال في مسابقة الخيل، سواء كان المال من أحد المتسابقين أو منهما معا على الراجح من أقوال العلماء، أو من طرف خارجي لزيادة المنافسة وتسجيعها وقطعا لا يدخل في ذلك المراهنات علي من يفوز فذلك محرم شرعا بل هو قمار.

- قال الشيخ ابن باز في فتوي له عن الرهان فقال- رحمه الله: إن كان مراده الرهن الوثيقة التي تجعل في الثمن، إذا اشترى شيء بدين يجعل فيه وثيقة، أو أقرضه جعل له وثيقة يسمى الرهن، كما في قوله تعالى: فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ (٢٨٣) سورة البقرة. هذا لا بأس به، أما إن كان مراده المراهنة وهي ما يكون من عند المسابقة بالأقدام، أو المسابقة بالسلاح، أو المسابقة في بيع السلع من كذا وكذا يعطى كذا وكذا، فهذا له معنى آخر، لا يجوز الرهان إلا في مسائل ثلاث: في الخيل والإبل والمسابقة على الرمي، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر". هذا يجوز له المراهنة بالمال، يعني جعل مال لمن سبق بالرمي من أصاب الهدف أول، أو بالخيل أو بالإبل، من سبق يكون له كذا وكذا، هذا فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- سابق بين الخيل وأعطى السبق، أما المسابقة بالأقدام أو بالمطارحة أو ما أشبه ذلك، هذا ما يجوز هذا يسمى قمار، ما يجوز، وكذلك لو جعل -مثلاً- من أصاب رقم كذا أو كذا يعطى سيارة أو يعطى كذا أو يعطى كذا، على أن يقدم كل واحد عشرين ريال أو خمسين ريال أو مئة ريال يقيد عندهم فمن أصاب الرقم الفلاني أخذ السيارة أو أخذ شيء آخر من المال هذا من القمار ما يجوز هذا، هذا من جنس نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر، داخل في قوله جل وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّمَّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ (٩٠) سورة المائدة. فالميسر هو القمار، هي المعاملات الخطيرة التي ما فيها ضبط، بل قد ينجح وقد يخسر، ما هو بمضمون، أن يبذل ماله فيما أن ينجح وإما أن يخسر فهذا هو القمار ما يجوز إلا في المسابقة على الخيل والإبل والرمي فقط، لقوله

٣٠٧ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٠/٣)

٣٠٨ - والسبق: العوض أو الجائزة. والنصل: السهم. والخف: المقصود به البعير (الإبل). والحافر: الخيل.

٣٠٩ - أخرجه أبو داود (٢٥٧٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

-صلى الله عليه وسلم" :- لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر". للتمرين على أعمال الجهاد، و ...
الراكب للجهاد، والرمي في الجهاد أباح الله -جل وعلا- المسابقة في ذلك حتى يستعد المسلمون للجهاد
على الخيل والإبل، وحتى يستعد المسلم على الرمي وحتى يتمرن عليه. اهـ (٣١٠)
-قوله تعالى { فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ
(٧٠) }.

-قال ابن العربي في أحكامه: إنما جعل السقاية حيلة في الظاهر لأخذ الأخ منهم؛ إذ لم يكن ذلك ممكنا
له ظاهرا من غير إذن من الله ولم يمنع الحيلة]، والله قادر على الظاهر والباطن، حكيم في تفصيل الحالين.
فإن قيل كيف رضي يوسف أن ينسب إليهم السرقة ولم يفعلوها؟ قيل: عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن القوم
كانوا سرقوه من أبيه وباعوه، فاستحقوا هذا الاسم بذلك الفعل.
الثاني: أنه أراد أيتها العير حالكم حال السراق. المعنى: إن شيئا لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا
علمه. الثالث:

وهو التحقيق أن هذا كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه وفصله عنه إليه، وهو ضرر دفعه بأقل منه. اهـ
(٣١١)

-وأضاف ابن القيم-رحمه الله - واستخلص من الآية فوائد وأحكام فقال: وقد ذكروا في تسميتهم سارقين
وجهين:

أحدهما: أنه من باب المعارض وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه حيث غيبوه عنه بالحيلة التي
احتالوا عليه، وخانوه فيه، والخائن يسمى سارقا، وهو من الكلام المرموز، ولهذا يسمى خونة الدواوين
لصوصا. الثاني: أن المنادي هو الذي قال ذلك من غير أمر يوسف.
قال القاضي أبو يعلى وغيره: أمر يوسف بعض أصحابه أن يجعل الصواع في رحل أخيه، ثم قال بعض
الموكلين وقد فقدوه ولم يدر من أخذه: {أيتها العير إنكم لسارقون} [يوسف: ٧٠]
على ظن منهم أنهم كذلك، من غير أمر يوسف لهم بذلك، أو لعل يوسف قد قال للمنادي: هؤلاء سرقوا،
وعنى أنهم سرقوه من أبيه، والمنادي فهم سرقة الصواع فصدق يوسف في قوله، وصدق المنادي، وتأمل
حذف المفعول في قوله: {إنكم لسارقون} [يوسف: ٧٠] ليصح أن يضمن سرتهم ليوسف فيتم
التعريض، ويكون الكلام صدقا، وذكر المفعول في قوله: {نفقد صواع الملك} [يوسف: ٧٢] وهو صادق
في ذلك، فصدق في الجملتين معا تعريضا وتصريحا، وتأمل قول يوسف: {معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا

٣١٠ -انظر فتاوي نور علي الدرب لابن باز-(٢٠١/١٩)-رقم ١١٩ حكم الرهن

٣١١ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٦٢/٣)

متاعنا عنده { [يوسف: ٧٩] ولم يقل إلا من سرق، وهو أخصر لفظاً، تحرياً للصدق، فإن الأخ لم يكن

سارقاً بوجه، وكان المتاع عنده حقاً؛ فالكلام من أحسن المعارض وأصدقها. اهـ (٣١٢)

-قوله تعالى { فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ

لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) }

في هذه الآية الكريمة فوائد وأحكام جلييلة منها:

-قوله تعالى { فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ .. } فهذا

من الحيلة التي تجوز شرعاً وقد ذكر ابن العربي في بيانها أسبابها وحكمها فقال قوله: { كذلك كدنا

ليوسف } [يوسف: ٧٦] فيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل؛ إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً،

خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل، وإن خالفت الأصول، وخرمت التحليل؛ سمعت أبا بكر محمد بن الوليد

الفهري وغيره يقول: كان شيخنا قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني صاحب عشرات

آلاف من المال، فإذا جاء رأس الحول دعا بنيه فقال لهم: قد كبرت سني، وضعفت قوتي، وهذا مال لا

أحتاجه، فهو لكم. ثم يخرجهم، ويحتمله الرجال على أعناقهم إلى دور بنيه، فإذا جاء رأس الحول، ودعا بنيه

لأمر قالوا: يا أبانا؛ إنما أملنا حياتك، وأما المال فأبي رغبة لنا فيه ما دمت حياً، أنت ومالك لنا، فخذ

إليك. ويسير الرجال به حتى يضعوه بين يديه، فيرده إلى موضعه يريد بتبديل الملك إسقاط الزكاة على رأي

أبي حنيفة في التفريق بين المجتمع، والجمع بين المفترق، وهذا خطب عظيم بيناه في شرح الحديث، وقد

صنف البخاري عليه في جامعه كتاباً مقصوداً.

ثم ذكر -رحمه الله- في سياق احكامه عن الآية حكم السرقة فقال: أن الإسلام نسخ هذا بجد السرقة

فقال: أن القطع في السرقة ناسخ لما تقدم من الشرائع؛ إذ كان في شرع يعقوب استرقاق السارق كما تقدم،

ولا نعلم ما نفذ به الحكم في شرع يعقوب هل كان مخصوصاً بعين مسروقة دون عين أم عاماً في كل عين؟

والأول أصح؛ لأنه ثبت في الصحيح «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إن بني إسرائيل كانوا إذا

سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة

بنت محمد سرت لقطعت يدها». وهذا نص في الغرض، موضح للمقصود، فافهموه. اهـ (٣١٣)

ما جاء في فتنة المال والاولاد

٣١٢ - انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم-الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت (١٦٨/٣)

٣١٣ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٧٧/٣)

-قوله تعالي { وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ } (١٩)

قلت: في قوله تعالي { هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً } فوائد فمن المعلوم أن الغلام في معاجم اللغة جمع أَعْلَمَةٌ
وَعِلْمَانٌ وَعِلْمَةٌ : وهو الصبي حين يولد إلى أن يشب أو حين يقارب سن البلوغ ، ويطلق على الرجل مجازاً
:- { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } - { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ } لهذا -ذهب ابن العربي
أنه غلام فقال رحمه الله- مبيناً ذلك في أحكامه فقال ما مختصره:

قال ابن وهب: حدثني مالك قال: طرح يوسف في الجب وهو غلام، وكذلك روى ابن القاسم عنه يعني أنه
كان صغيراً. والدليل عليه قوله تعالي:

{ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ } [يوسف: ١٠] ولا يلتقط الكبير. وقوله:
{ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ } [يوسف: ١٣] وذلك أمر يختص بالصغار؛ فمن هاهنا أخذ مالك وغيره أنه
غلام.

وأضاف- رحمه الله- عن قوله تعالي { وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً } قال- رحمه الله:

قيل: الضمير في ("أسروه") يرجع إلى الملتقطين. وقيل: يرجع إلى الإخوة، فإن رجع إلى الإخوة كان معنى
الكلام أنهم كتموا أخوته، وأظهروا مملوكيته، وقطعوه عن القرابة إلى الرق. وإن عاد الضمير إلى الملتقطين كان
معنى الكلام أنهم أخفوه عن أصحابهم، وباعوه دون علمهم بضاعة اقتطعوها عنهم، وجحدوها منهم؛

وساعد يوسف على ذلك كله تحت التخويف والتهديد. اهـ (٣١٤)

-قوله تعالي { وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ } (٢٠)

من هذه الآية استنبط منها العلماء فوائد وأحكام، فمن الأحكام حكم اللقيط .

قال ابن العربي- رحمه الله:

وروي عن الحسن بن علي أنه قضى بأن اللقيط حر، وقرأ: { وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ } [يوسف:
٢٠].

وكذلك يروى عن علي وجماعة. وقال إبراهيم: إن نوى رقه فهو مملوك، وإن نوى الحسبة فيه فهو حر.
وقد روى الزهري قال: كنت عند سعيد بن المسيب فحدثه سنين أبو جميلة قال: وجدت منبوزاً على عهد
عمر، فأخذته فانطلق عريفي، فذكره لعمر، فدعاني عمر والعريف عنده، فلما رأني مقبلاً قال: عسى الغوير
أبؤسا. قال الزهري: مثل كان أهل المدينة يضربونه. قال عريفي: يا أمير المؤمنين، إنه لا يتهم به. فقال لي:
علام أخذت هذا؟ قلت: وجدته نفساً بمضيعة، فأحببت أن يأجرني الله. قال: هو حر وولأوه لك ورضاعته
علينا.

وقال- رحمه الله-أنما كان أصل اللقيط الحرية، لغلبة الأحرار على العبيد، فيقضى بالغالب، كما حكم بأنه مسلم أخذًا بالغالب. فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون فقال ابن القاسم: يحكم بالأغلب. وقال غيره: لو لم يكن فيها إلا مسلم واحد قضى للقيط بالإسلام، تغليبًا لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يعلو عليه.

وذكر- رحمه الله- حكم وفائدة من قوله تعالى: {دراهم معدودة} [يوسف: ٢٠] فقال: وذلك يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عددا لا وزنا، وأصل النقدين الوزن لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة إلا وزنا بوزن؛ فمن زاد أو ازداد فقد أربى» (٣١٥). ولأنه لا فائدة فيها إلا المقدار؛ فأما عينها فلا منفعة فيه، ولكن جرى فيها العدد تخفيفًا عن الخلق؛ لكثرة المعاملة، فيشق الوزن، حتى لو ضربت مثاقيل ودراهم لجاز بيع بعضها ببعض عددا إذا لم يكن فيها نقصان ولا رجحان؛ لأن خاتم الله عليها في التقدير حتى ينقص وزنها من نقص، ويفض خاتم الله من فض؛ فيعود الأمر إلى الوزن، ولأجل ذلك كان كسرها أو قرضها من الفساد في الأرض، حين كان حكم جريانها العدد. اهـ (٣١٦)

قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٢١)

هذه الآية الكريمة أشار الله تعالى إلي قول العزيز {أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا} وهي تدل علي اباحة هذا في شرع غيرنا بل وقد كان مباح في الجاهلية كما في قصة زيد - رضي الله عنهما- أما في أحكام شريعتنا فثبت بالقرآن والسنة تحريم التبني فقد قال تعالى وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم، فأخوانكم في الدين ومواليك} {الأحزاب: ٤-٥}

وذلك لأن البعض يستحل التبني ويسمي الطفل الذي ليس من صلبه باسمه وهذا حرام شرعا فلا ينشئ التبني للطفل علاقة دم أو قرابة أو مصاهرة أو رضاع بمن تنبهه وأهله بل قد يؤدي لمخالفات شرعية كثيرة، بل مثل تلك العادات فيها تخريب البيوت واختلاط الانساب .

-قال ابن العربي في أحكامه عن شرع من كانوا قبلنا:

٣١٥- أخرج نحوه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- برقم/ ٢١٧٥- بَابُ الرِّبَا وَمَتْنُهُ «لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَلَا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ، إِلَّا وَزْنًا بِوِزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ» وفي رواية من حديث أبي هريرة- رض الله عنه «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوِزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَزْنًا بِوِزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلِ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَرَادَ فَهُوَ رِبَا» برقم/ ١٥٨٨.

٣١٦- انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٤/ ٣)

قوله: { أو نتخذهُ ولداً } [يوسف: ٢١] هذا يدلُّك على أن النبي كان أمراً معتاداً عند الأمم. اهـ (٣١٧)

ما جاء في العلم والحكمة

- قوله تعالى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُحْسِنِينَ } (٢٢)

في هذه الآية ذكر الله البلوغ والشدة والحكمة والعلم وفيها فوائد وأحكام منها:

- ما ذكره ابن العربي - رحمه الله - في أحكامه قال :

الحكم هو العمل بالعلم، والعمل بمقتضى العلم إنما يكون بعد البلوغ، وما قبله في زمان عدم التكليف فإنه فيه معدوم إلا في النادر. قال الله تعالى في يحيى بن زكريا: { وآتيناه الحكم صبياً } [مریم: ١٢]. قال المفسرون: قيل له، وهو صغير: ألا تذهب تلعب؟ قال: ما خلقت للعب. وهذا إنما بين الله به حال يوسف من حين بلوغه بأنه آتاه العلم، وآتاه العمل بما علم؛ وخبر الله صادق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أناب إلى المراودة بحكم المراودة؛ بل أدبر عنها، وفر منها؛ حكمة خص بها، وعملاً بمقتضى ما علمه الله سبحانه؛ وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء، بل أبرئه مما برأه منه، فقال: { ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً } [يوسف: ٢٢]، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الذين استخلصناهم. والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة، فما ألم بشيء ولا أتى بفاحشة.

فإن قيل: فقد قال الله: { ولقد هممت به وهم بها } [يوسف: ٢٤].

وإنما الذي كان منه الهم، وهو فعل القلب، فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثاً، ويقولون: فعل، وفعل؟ والله إنما قال: هم بها، لا أقالهم ولا أقاتهم الله ولا عالهم.

كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية، وأي إمام، يعرف بابن عطاء، تكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته من مكروه ما نسب إليه، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كان طائفة، فقال له: يا سيدي، فإذا يوسف هم وما تم. فقال: نعم؛ لأن العناية من ثم. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره، واستيفائه. ولذلك قال علماء

الصوفية: إن فائدة قوله: {ولما بلغ أشده آتياه حكما وعِلما} [يوسف: ٢٢] أن الله أعطاه العلم والحكمة

إبان غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة. اهـ (٣١٨)

-قلت ومن فوائد الآية أن الشدة هنا بعد كمال العقل واتيان الحكمة والعلم وليس المقصود بها الشدة عند البلوغ، وقد بين الله تعالي في سورة الأحقاف أن بلوغ الشدة والحكمة عند بلوغ الأربعين سنة كما قال تعالي: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الأحقاف/١٥

فاختصاص سن الأربعين بالذكر في هذه الآية الكريمة دليل على أنه سن يكتمل فيه العقل والفهم والأدراك ، وهي مرحلة مختلفة على بلوغ الأشد الذي يتم ببلوغ الحلم ،

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: { حتى إذا بلغ أشده } أي : قوي وشب وارتحل (وبلغ أربعين سنة) أي : تنهى عقله وكمل فهمه وحلمه ، ويقال : إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين ، وقال مسروق : إذا بلغت الأربعين فخذ حذرک ، (قال رب أوزعني) أي : ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) أي : في المستقبل (وأصلح لي في ذريتي) أي : نسلي وعقبني ، (إني تبت إليك وإني من المسلمين) ، وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة

والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها. اهـ (٣١٩)

-ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله :

(بلغ أشده) قيل : بلغ عمره ثماني عشرة سنة ، وقيل : الأشد الحلم ، قاله الشعبي وابن زيد . وقال الحسن : هو بلوغ الأربعين ، والأول أولى ؛ لقوله : (وبلغ أربعين سنة) فإن هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد ، قال المفسرون : لم يبعث الله نبيا قط إلا بعد أربعين سنة ، وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات " . اهـ (٣٢٠)

-قوله تعالي { وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) }

٣١٨ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٤٧/٣)

٣١٩ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير " (٧/٢٨٠-٢٨١)

٣٢٠ - فتح القدير - (٥/٢٢)

في هذه الآية بين أهل العلم حكم السجود لغير الله وحرمة حتى لو كان تحية وعادة من ذلك ما ذكره ابن العربي في أحكامه قال - رحمه الله - ما مختصره:

قال العلماء: كان هذا سجود تحية لا سجود عبادة، وهكذا كان سلامهم بالتكبير وهو الانحناء، وقد نسخ الله في شرعنا ذلك، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء والقيام. ومنه الحديث: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا أصبح ابن آدم كفرت أعضاؤه اللسان، تقول له: اتق الله فينا، فإنك إن استقمتم استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» (٣٢١). فإن قيل: فما تقول في الإشارة بالإصبع؟ قلنا: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن اللسان يكفي في السلام، وأما حركة البدن أو شيء منه فلم يشرع في السلام، لا تحريك يد ولا قدم ولا قيام بدن.

الثاني: أن رد السلام فرض، وابتدأه سنة في مشهور الأقوال، ولكن يجوز القيام للرجل الكبير بداءة إذا لم يؤثر ذلك في نفسه، كما «قال النبي لجلسائه حين جاء سعد: قوموا إلى سيدكم» (٣٢٢)؛ فإن أثر فيه لم يجز عونه على ذلك، لما روي: «من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» (٣٢٣). الثالث: أنه يجوز الإشارة بالإصبع إذا بعد عنك لتعين له أو به وقت السلام، فإن كان دانيا فلا بأس بالمصافحة، فقد «صافح النبي - صلى الله عليه وسلم - جعفرا، حين قدم من الحبشة»، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما» (٣٢٤) خرجه الترمذي وغيره. اهـ

وذكر ابن العثيمين في شرحه لرياض الصالحين فائدة أخرى عن التحية في ديننا فقال : وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك أنحنى قال لا قال السائل أيلتزمه ويعانقه قال لا فإذا لاقاه فإنه لا يلتزم أي لا يضمه إليه ولا يعانقه ولا ينحنى له والانحناء أشد وأعظم لأن فيه نوعا من الخضوع لغير الله عز وجل يمثل ما يفعل الله في الركوع فهو منهى عنه ولكنه يصفحه وهذا

٣٢١ - انظر صحيح الجامع للألباني برقم / ٣٥١

٣٢٢ - جزء من حديث أخرجه البخاري برقم / ٣٠٤٣ - بَابُ إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ
من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَمَامُ مَتْنِهِ " قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى جِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فُؤُومُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ» فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَخُكُّمُ أَنْ تُقَاتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَنْ تُسَبَّ الدُّرِّيَّةُ، قَالَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ» -

برقم / ٣٠٤٣ - بَابُ إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ

٣٢٣ - صحح الألباني إسناده في صحيح الجامع برقم / ٥٩٥٧ والسلسلة الصحيحة برقم / ٣٥٧.

٣٢٤ - حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم / ٥٧٧٧ وانظر السلسلة الصحيحة برقم / ٥٢٥.

كاف إلا إذا كان هناك سبب فإن المعانقة أو التقبيل لا بأس به كأن كان قادما من سفر أو نحو ذلك فإن قال قائل كيف يكون قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينحني له مع قول الله تعالى في إخوة يوسف لما دخلوا عليه {وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا} فالجواب عن هذا أنه في شريعة سابقة وشريعتنا الإسلامية قد نسخته ومنعت منه فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد وإن لم يرد بذلك العبادة أو ينحني فإن الانحناء منع منه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قابلك أحد يجهل هذا الأمر وانحني لك فانصحه وأرشده قل له هذا ممنوع لا تنحن ولا تخضع إلا لله وحده وتقبيل اليد لا بأس به إذا كان الرجل أهلا لذلك والله الموفق. اهـ (٣٢٥)

ما جاء في فتنة النساء وكيدهن

قال تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (٢٤)

في هذه الآية فوائد وأحكام من ذلك:

- ما ذكره الجصاص - رحمه الله - قال: روى عن الحسن به بالعزيمة وهم بها من جهة الشهوة ولم يعزم وقيل هما جميعا بالشهوة لأن الهم بالشيء مقارنته من غير واقعة والدليل على أن هم يوسف بها لم يكن من جهة العزيمة وإنما كان من جهة دواعي الشهوة قوله {معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي} وقوله كذلك {لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} فكان ذلك إخبارا ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية. اهـ (٣٢٦)

- وللعلامة ابن العثيمين في شرحه لرياض الصالحين ذكر فائدة واستشهد بالآية ليدل علي سلامة من لا يخرج عن حدود الله ويلتزم حدوده فقال ما مختصره: إذا فالشرع فيه ثقل على النفوس، كاجتناب المحرمات، فبعض الناس يهوى أشياء محرمة عليه كالزنا وشرب الخمر وما أشبه ذلك فتثقل عليه، ومن الناس من ينشرح صدره لذلك ويتعد عما حرم الله، وانظر إلى يوسف عليه الصلاة والسلام لما دعت امرأة العزيز بعد أن غلقت الأبواب وقالت: هيت لك وتهيأت له بأحسن ملبس وأحسن صورة، والمكان آمن أن يدخل أحد، غلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله، استعاذ بربه لأن هذه حال حرجة، شاب وامرأة العزيز، ومكان خالٍ وآمن، والإنسان بشر ربما تسول له نفسه أن يفعل ولهذا قال: {ولقد همت به وهم بها لولا أن

٣٢٥ - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين - (٤ / ٤٤٨) - باب سلام الرجا علي زوجته

٣٢٦ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٣٨٥)

رأى برهان ربه { [يوسف: ٧٤] . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (٣٢٧) ، والشاهد من هذا قوله: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله» فشرح الصدر للحكم الشرعي معناه قبول الحكم الشرعي والرضا به وامثاله، وأن يقول القائل سمعنا وأطعنا. اهـ (٣٢٨)

قال تعالى: { قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) } في هاتين الآيتين الكريمتين فوائد وحكم منها:

- ما ذكره ابن العربي - رحمه الله - في قوله تعالى { قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } فقال عن شهادة الشاهد: قال علماؤنا: ليست هذه الشهادة من شهادات الأحكام التي تفيد الإعلام عند الحكم، ويتفرد بعلمها الشاهد فيطلع عليها الحاكم، وإنما هي بمعنى أخبر عن علم ما كان عنه القوم غافلين؛ وذلك أن القميص جرت العادة فيه أنه إذا جذب من خلفه تمزق من تلك الجهة، وإذا جذب من قدام تمزق من تلك الجهة، ولا يجذب القميص من خلف اللابس إلا إذا كان مدبراً، وهذا في الأغلب، وإلا فقد يتمزق القميص بالقلب من ذلك إذا كان الموضع ضعيفاً.

ثم ذكر فائدة من ذلك في سياق بيانه لأحكام الآيتين فقال: قال علماؤنا: في هذا دليل على العمل بالعرف والعادة لما ذكر من أخذ القميص مقبلاً ومدبراً، وما دل عليه الإقبال من دعواها، والإدبار من صدق يوسف؛ فإن قيل: هذا شرع من قبلنا. قلنا: عنه جوابان: أحدهما: أن شرع من قبلنا شرع لنا. وقد بيناه في غير موضع. الثاني: أن المصالح والعادات لا تختلف فيها الشرائع. أما أنه يجوز أن يختلف وجود المصالح فيكون في وقت دون وقت، فإذا وجدت فلا بد من اعتبارها.

٣٢٧ - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - برقم / ٦٦٠ - باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَّلَ الْمَسَاجِدَ

٣٢٨ - انظر تفسير جزء عم لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض (ص/١٤٢)

ثم أضاف: وليس هذا بمنافض لقوله عليه السلام «البينة على المدعي واليمين على من أنكر». والبينة إنما هي البيان، ودرجات البيان تختلف بعلامة تارة، وبأمانة أخرى؛ وبشاهد أيضاً، وبشاهدين ثم بأربع. اهـ (٣٢٩)

-وأضاف الجصاص في أحكامه: من يحتج بهذه الآية في الحكم بالعلامة في اللقطة إذا ادعاها مدع ووصفها وقد اختلف الفقهاء في مدعي اللقطة إذا وصف علامات فيها فقال أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر ومحمد والشافعي لا يستحقها بالعلامة حتى يقيم البينة ولا يجبر الملتقط على دفعها إليه بالعلامة ويسعه أن يدفعها وإن لم يجبر عليه في القضاء وقال ابن القاسم في قياس قول مالك يستحقها بالعلامة ويجبر على دفعها إليه فإن جاء مستحق فاستحقها ببينة لم يضمن الملتقط شيئاً. اهـ (٣٣٠)

قلت وقد ذهب ابن العثيمين - رحمه الله في شرحه لرياض الصالحين الي أخذ القرينة فقال: ولهذا اخذ العلماء - رحمهم الله - من سورة يوسف فوائد كثيرة، في أحكام شرعية في القضاء وغيره، واخذوا منها: العمل بالقرائن عند الحكم، لقوله تعالى: (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (يوسف: الآية ٢٧، ٢٦) ، فقالوا: هذه قرينة، لأنه إذا كان القميص قد من قبل فالرجل هو الذي طلبها فقدت قميصه، وإذا كان من دبر - من الخلف - فهي التي طلبته وقدت قميصه حتى انقذ، فهذه قرينة ثبت بها الحكم ، والعلماء

اعتمدوا هذه القرينة وان كان في السنة ما يدل علي الحكم بالقرائن في غير هذه المسألة. لكن القول الراجح في ((شرع من قبلنا ما لم يرد شرعنا بخلافه)) ، وللرسل - عليهم الصلاة والسلام - علينا: إن نحبهم، وان نعظمهم بما يستحقون، وان نشهد بأنهم في الطبقة العليا من طبقات أهل الخير والصلاح، كما قال الله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٦٩). اهـ (٣٣١)

ومما جاء من أحكام وفوائد جلييلة في الآية هو ما قيل عن الشاهد في قوله تعالي { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا } وقد اختلف أهل العلم في هذا الشاهد ذكر ابن العربي الأقوال ثم رجح الرأي الذي رأي أنه صواب فقال ما مختصره:

يتكلم الناس في هذا الشاهد من أربعة أوجه: الأول: الشاهد هو القميص.

٣٢٩ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٤٨/٣)

٣٣٠ - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤/٣٨٥)

٣٣١ - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين - (١/٤٥٣)

الثاني: أنه كان ابن عمها.

الثالث: أنه كان من أصحاب العزيز.

الرابع: أنه كان صبيبا في المهدي.

فأما إذا قلنا إنه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدير مقاله؛ فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال في بعض الأمور، وقد تضيف العرب الكلام إلى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات، ومن أجله قول بعضهم: قال

الحائط للوتد: لم تشقني. قال: سل من يدقني، ما تركني ورأيي هذا الذي ورائي، ولكن قوله بعد ذلك: {من أهلها} [يوسف: ٢٦] في صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص.

وأما من قال: إنه ابن عمها أو رجل آخر من أصحاب العزيز، فإنه محتمل؛ لكن قوله: {من أهلها} [يوسف: ٢٦] يعطي اختصاصا من جهة القرابة.

وأما من قال: إنه كان صغيرا فهو الذي يروى عن ابن عباس وأنه قد تكلم في المهدي أربعة: "عيسى ابن مريم، وابن ماشطة فرعون (٣٣٢)، وشاهد يوسف، وصاحب جريج،" ونقصهم اثنان: أحدهما: وهو الذي «ذكر النبي في قصة أصحاب الأخدود أنهم لما حفرت لهم الأرض، ورمي فيها بالحطب وأوقدت النار عليها، وعرض عليهم أن يقعوا فيها أو يكفروا الحديث بطوله. فوقف امرأة منهم، وكان في ذراعها صبي فقال لها: يا أمه، إنك على الحق.» (٣٣٣).

٣٣٢ - وحديثها ضعيف وسيأتي قول الألباني - رحمه الله - بعدها

٣٣٣ - يشير المصنف لحديث صهيب - رضي الله عنه - عن أصحاب الأخدود الذي أخرجه مسلم برقم/٣٠٠٥ - باب قصة أصحاب الأخدود والساجر والراهب والغلام - وتمام متنه "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاجِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَعَدَّ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاجِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاجِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاجِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاجِرَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاجِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاجِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسَ، فَرَمَاهَا فَفَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَيْتِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ حَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِحَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَيْتِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ،

والثاني: ما روي أن امرأة كانت ترضع صبيا في حجرها، فمر بها رجل له شارة وحوله حفدة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الصبي الثدي، وقال: اللهم لا تجعلني مثله، ومر بامرأة وهم يضربونها ويقولون: سرقت ولم تسرق وزنيت ولم تزن. فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الصبي الثدي، وقال: اللهم اجعلني مثلها.

وأوحى إلى نبي ذلك الزمان أن الأول لا خير فيه، وأن هذه يقولون فعلت وهي لم تفعل. هذا معنى الحديث.

فالذي صح فيمن تكلم في المهد أربعة: صاحب الأحدود، وصاحب جريج وعيسى ابن مريم، وهذا الصبي الذي تكلم في حجر المرأة بالرد على أمه فيما اختارته وكرهه.
المسألة الثالثة:

قال بعض العلماء المفسرين: لو كان هذا المشاهد طفلا لكان في كلامه في المهد وشهادته آية ليوسف، ولم يحتاج إلى ثوب ولا إلى غيره. وهذا ضعيف فإنه يحتمل أن يكون الصبي يتكلم في المهد منبها لهم على هذا الدليل الذي كانوا عنه غافلين، وكانت آية، كما قال: تبينت بها براءة يوسف من الوجهين: من جهة نطق الصبي، ومن جهة ذكر الدليل. اهـ (٣٣٤)

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ [ص: ٢٣٠٠] حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمُشَارِ، فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَن دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرُحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ بِمِثْيِ إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي فُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّيْفِينَةُ فَعَرِفُوا، وَجَاءَ بِمِثْيِ إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِبَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِبَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكٌ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَّكَ، فَخَدَّتْ وَأَضْرَمَ النَّبْرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: افْتَحِمِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّةَ اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ "

قلت ولكن الألباني ذهب إلي عدم صحة ما ذكره ابن العربي انفاً عن احتمال أن يكون صبياً فضلاً عن تضعيفه لروايات تخالف الصحيح الثابت من أن عدد من تكلم في المهدي ثلاثة فقط وليست أربعة مثل رواية الحاكم في "المستدرک" (2 / 295)، ولفظه: "لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيْج، وابن ماشطة بنت فرعون."

فقال - رحمه الله - مُختصراً وبتصرُّف: في "السلسلة الضعيفة والموضوعة": (2 / 271) " هذا الحديث بهذا الإسناد باطل عندي؛ وذلك لأمرين:

الأول: أنه حَصَرَ المتكلمين في المهدي في ثلاثة، ثم عند التفصيل ذكرهم أربعة! والثاني: أن الحديث رواه البخاري في "صحيحه" من الطريق التي عند الحاكم تماماً، إلا أنه خالفه في اللفظ، فقال: "لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة."

ثم قال - رحمه الله -: ولم أجد في حديث صحيح ما ينافي هذا الحصر الوارد في حديث الصحيحين، إلا ما في قصة غلام الأحدود.

ثم قال - رحمه الله:

"ثم إن ظاهر القرآن في قصة الشاهد أنه كان رجلاً لا صبياً في المهدي؛ إذ لو كان طفلاً، لكان مجرد قوله: إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً؛ لأنه من المعجزات، ولما احتجج أن يقول: {من أهلها}، ولا أن يأتي بدليل حَيٍّ على براءة يوسف - عليه السلام - وهو قوله: {إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ {

وقد روى ابن جرير بإسناد رجاله ثقات عن ابن عباس أن الشاهد كان رجلاً ذا حية، وهذا هو الأرجح، والله أعلم. اهـ

تفسير سورة الرعد

سورة الرعد هي السورة الثالثة عشرة في القرآن، وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية، وهي سورة مكية وقيل مدنية وقيل مكية إلا قوله: { وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا }، وقوله: " وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا (٣١) } والعلم عند الله تعالى .

وقد رد تسمية هذه السورة بإضافتها إلى {الرعد}، لورود ذكر {الرعد} فيها بقوله تعالى: { وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) }

فضائل سورة الرعد

لم يثبت في فضائل سورة الرعد علي وجه الخصوص شيء صحيح

تنبيهات هامة:

هناك أحاديث ضعيفة عن فضل سورة الرعد وأشهرها:

- حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل السور ومما جاء فيه عن فضل سورة الرعد قوله: عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال :

" من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى و كل سحاب يكون إلى يوم القيامة و كان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى. " (٣٣٥)

وهناك غيره والصواب لا يصح في فضائل سورة الرعد شيء والله أعلم وأحكم.

أسباب النزول: وسوف نبينها حسب موقعها في التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

{ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) }

إعراب مفردات الآية (٣٣٦)

٣٣٥ - قال علمائنا: هذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٥٨٨/٧)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٠/١)، وقال بعده: (قد فرّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث محال.. وأضاف- رحمه الله- نفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفذ السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى

(٣٣٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٨٥)

(المر) حروف مقطعة لا محل لها «٣٣٧»، (تلك) اسم إشارة مبني على السكون الظاهر على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل رفع مبتدأ، والاشارة إلى آيات القرآن كلها أو إلى آيات السورة... و (اللام) للبعد و (الكاف) للخطاب (آيات) خبر مرفوع (الكتاب) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (الذي) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ (أنزل) فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو (إلى) حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أنزل)، (من ربك) جارّ ومجرور متعلق ب (أنزل) «٣٣٨»، و (الكاف) ضمير مضاف إليه (الحق) خبر المبتدأ الموصول «٣٣٩» (الواو) عاطفة (لكن) حرف استدراك ونصب- ناسخ- (أكثر) اسم لكن منصوب (الناس) مضاف إليه مجرور (لا) نافية (يؤمنون) مضارع مرفوع... و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ }

- قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: يخبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين، لأن أخباره صدق، وأوامره ونواهيها عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحق، الذي يوجب لهم علمهم العمل بما أحب الله.

{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } بهذا القرآن، إما جهلا وإعراضا عنه وعدم اهتمام به، وإما عنادا وظلما، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع. اهـ (٣٤٠)

- وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها: وقوله: {ولكن أكثر الناس لا يؤمنون} كقوله: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف: ١٠٣] أي: مع هذا البيان والجلاء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق. اهـ (٣٤١)

{ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) }

٣٣٧ - وانظر الآية الأولى من سورة البقرة.

٣٣٨ - يجوز أن يكون حالا من الحق- نعت تقدّم على المنعوت

٣٣٩ - يجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو... وحينئذ يعرب (الذي أنزل...) معطوف على آيات الكتاب الذي هو بدل من تلك- أو نعت له-، وجملة هو الحق خبر المبتدأ (تلك).

٣٤٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٠١)

٣٤١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٢٨)

(الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (الذي) موصول خبر «٣٤٣» ، (رفع) ، فعل ماضٍ، والفاعل هو (السموات) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الكسرة (بغير) جازّ ومجرور حال من السموات أي خالية عن عمد «٣٤٤» ، (عمد) مضاف إليه مجرور (ترونها) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل، و (ها) ضمير مفعول به «٣٤٥» ، (ثم) حرف عطف (استوى) مثل رفع والفتح مقدّر على الألف (على العرش) جازّ ومجرور متعلّق ب (استوى) ، (الواو) عاطفة في الموضعين (سخر الشمس) مثل رفع السموات (القمر) معطوف على الشمس بالواو منصوب (كلّ) مبتدأ مرفوع «٣٤٦» ، (يجري) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء، والفاعل هو (لأجل) جازّ ومجرور متعلّق ب (يجري) ، (مسمّى) نعت لأجل مجرور، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (يدبّر) مضارع مرفوع، والفاعل هو أي الله (الأمر) مفعول به منصوب (يفصل الآيات) مثل يدبّر الأمر، وعلامة نصب المفعول الكسرة (لعلكم) حرف ترجّ ونصب- ناسخ- و (كم) ضمير في محلّ نصب اسم لعلّ (بلقاء) جازّ ومجرور متعلّق ب (توقنون) ، (رئكم) مضاف إليه مجرور.. و (كم) ضمير مضاف إليه (توقنون) مضارع مرفوع... و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }

-قال الشنقيطي- رحمه الله- في تفسيره ما مختصره: ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أن السماء مرفوعة على عمد، ولكننا لا نراها، ونظير هذه الآية قوله أيضا في أول سورة «لقمان»: { خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم } [٣١ \ ١٠] .
واختلف العلماء في قوله: ترونها على قولين:

أحدهما: أن لها عمدا ولكننا لا نراها، كما يشير إليه ظاهر الآية، وممن روي عنه هذا القول ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد، كما قاله ابن كثير.

(٣٤٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٨٦)

٣٤٣ - يجوز أن يكون نعتا للفظ الجلالة.. وجملة يدبّر الأمر خبرا للفظ الجلالة.

٣٤٤ - أو غير معتمدة على شيء.

٣٤٥ - وهو إما أن يعود على السموات أو على العمدة.. وحيثذ يختلف إعراب جملة ترونها بحسب عودة الضمير.

٣٤٦ - النكرة هنا دالة على عموم، والمضاف إليه مقدّر أي كلّ كوكب.

وروي عن قتادة أيضا أن المعنى أنها مرفوعة بلا عمد أصلا، وهو قول إياس بن معاوية، وهذا القول يدل عليه تصريحه تعالى في سورة «الحج» أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض في قوله: {ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه} [٢٢ \ ٦٥].

قال ابن كثير: فعلى هذا يكون قوله: ترونها تأكيدا لنفي ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة. اهـ.

قال مقيده عفا الله عنه: الظاهر أن هذا القول من قبيل السالبة لا تقتضي وجود الموضوع، والمراد أن المقصود نفي اتصاف المحكوم عليه بالمحكوم به، وذلك صادق بصورتين:

الأولى: أن يكون المحكوم عليه موجودا، ولكن المحكوم به منتف عنه، كقولك ليس الإنسان بحجر، فالإنسان موجود والحجرية منتفية عنه.

الثانية: أن يكون المحكوم عليه غير موجود فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر الموجودي، وهذا النوع من أساليب اللغة العربية، كما أوضحناه في كتابنا «دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، ومثاله في اللغة قول امرئ القيس (٣٤٧):

على لاحب لا يهتدي بمناره ... إذا سافه العود النباطي جرجرا

أي لا منار له أصلا حتى يهتدي به، وقوله:

لا تنزع الأرنب أهواها ... ولا ترى الضب بما ينحجر

يعني: لا أرنب فيها ولا ضباب.

وعلى هذا فقوله: بغير عمد ترونها، أي: لا عمد لها حتى تروها، والعمد: جمع عمود على غير قياس. اهـ (٣٤٨)

٣٤٧ - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمانى الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان.

وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا! اليوم خمر، وغدا أمر! ونحض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا. وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فابتعد، وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح. فأقام إلى أن مات في أنقرة. -نقلا عن الأعلام للزركلي مختصراً

٣٤٨ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٢١)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في تفسير: قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} فقال: تقدم تفسير ذلك في سورة "الأعراف" وأنه يمرر كما جاء من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل، تعالى الله علوا كبيرا. اهـ (٣٤٩)

{ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ }
-قال السعدي في بيانه إجمالاً ما نصهم {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، {كُلًّا} من الشمس والقمر {يَجْرِي} بتدبير العزيز العليم، {لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طي الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الآخرة التي هي دار القرار، فعند ذلك يطوي الله السماوات ويبدلها، ويغير الأرض ويبدلها. فتكور الشمس والقمر، ويجمع بينهما فيلقين في النار، ليرى من عبدهما أنهما غير أهل للعبادة؛ فيتحسر بذلك أشد الحسرة وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وقوله {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ} هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفف ويرفع، ويقل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل بيانها وإيضاحها وتمييزها، {لَعَلَّكُمْ} بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، {بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وأیضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثا، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم. اهـ (٣٥٠)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: {وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى} فقال: قيل: المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة، كما في قوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} [يس: ٣٨].

وقيل: المراد إلى مستقرهما، وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك، يكونون أبعد ما يكون عن العرش؛ لأنه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة، قبة مما يلي

٣٤٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٣٠)

٣٥٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٢/)

العالم من هذا الوجه، وليس بمحيط كسائر الأفلاك؛ لأنه له قوائم وحملة يحملونه. ولا يتصور هذا في الفلك المستدير، وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة، والله الحمد والمنة. وذكر الشمس والقمر؛ لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة، التي هي أشرف وأعظم.

من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه، فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى، كما نبه بقوله تعالى: { لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون } [فصلت: ٣٧] مع أنه قد صرح بذلك بقوله {والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [الأعراف: ٥٤]. اهـ (٣٥١)

{ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا لِتُحْمَلْنَ بِهَا لِللَّيْلِ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) }

إعراب مفردات الآية (٣٥٢)

(الواو) عاطفة (هو الذي مَدَّ الأرض) مثل الله الذي رفع السموات.. (الواو) عاطفة (جعل) مثل رفع (في) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (جعل) ، (رواسي) مفعول به منصوب (أنهاراً) معطوف على رواسي بالواو (الواو) عاطفة (من كلّ) جارّ ومجرور متعلّق ب (جعل) «٣٥٣» ، (الثمرات) مضاف إليه مجرور (جعل) مثل رفع (فيها) مثل الأول متعلّق ب (جعل) ، (زوجين) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء (اثنين) نعت لزوجين منصوب مثله وهو ملحق بالمشقّي (يغشي) مضارع، مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة، والفاعل هو أي الله (الليل) مفعول به «٣٥٤»

منصوب (النهار) مفعول به ن (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (في) حرف جرّ (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر إنّ.. و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (اللام) للتوكيد (آيات) اسم إنّ منصوب، وعلامة النصب الكسرة (لقوم) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لآيات (يتفكّرون) مثل توقنون.

روائع البيان والتفسير

{ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا لِتُحْمَلْنَ بِهَا لِللَّيْلِ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

٣٥١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٣٠)

(٣٥٢)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٨٧)

٣٥٣- يجوز أن يكون متعلّقاً بحال من اثنين- نعت تقدّم على المنعوت.

٣٥٤- أو منصوب على نزع الخافض والتقدير يغشي النهار بالليل.

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: {وهو الذي مد الأرض} أي: جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل زوجين اثنين، أي: من كل شكل صنفان.

{يغشي الليل النهار} أي: جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضا في الزمان كما تصرف في المكان والسكان.

{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} أي: في آلاء الله وحكمته ودلائله. اهـ (٣٥٥)

-وزاد أبو جعفر الطبري في تفسيره لقوله تعالى {ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين} من صلة (جعل) الثاني لا الأول.

ومعنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات. وعنى ب (زوجين اثنين): من كل ذكر اثنان، ومن كل أنثى اثنان، فذلك أربعة، من الذكور اثنان، ومن الإناث اثنان في قول بعضهم.

وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمي الاثنين: (زوجين)، والواحد من الذكور "زوجا" لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة "زوجا" و"زوجة" لذكرها، وأضاف- رحمه الله-:

ويزيد ذلك إيضاحا قول الله عز وجل: {وأنة خلق الزوجين الذكر والأنثى} [سورة النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأنثى (زوجين).

وإنما عني بقوله: (زوجين اثنين)، نوعين وضريين.

ثم زاد بيانا- رحمه الله -لقوله تعالى: {إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} فقال ما نصه: ، يقول تعالى ذكره:

إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء، لدلالات وحججا وعظات، لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا لشيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى وأن القدرة التي أبداع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعه بها. اهـ (٣٥٦)

{وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقُضٌ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْمَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)}

إعراب مفردات الآية (٣٥٧)

٣٥٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٣١)

٣٥٦- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٣٢٩ / ٢٠٠٦٥)

(٣٥٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان-دمشق(١٣/٨٨)

(الواو) عاطفة (في الأرض) جازّ ومجرور متعلّق بخبر محذوف (قطع) مبتدأ مؤخّر مرفوع (متجاورات) نعت لقطع مرفوع (الواو) عاطفة في المواضع الأربعة الآتية (جَنَاتٍ، زُرُوعٍ، نَخِيلٍ) ألفاظ معطوفة على قطع بحروف العطف مرفوعة (من أعناب) جازّ ومجرور متعلّق بنعت لجَنَاتٍ (صنوان) نعت لنخيل مرفوع (غير) معطوف على صنوان بالواو مرفوع (صنوان) مضاف إليه مجرور (يسقى) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي ما ذكر من الجَنَاتِ والزروع والنخيل (بماء) جازّ ومجرور متعلّق ب (يسقى) ، (واحد) نعت لماء مجرور (الواو) عاطفة (نفضّل) مضارع مرفوع، والفاعل نحن للتعظيم (بعضها) مفعول به منصوب و (ها) مضاف إليه (على بعض) جازّ ومجرور متعلّق ب (نفضّل) ، (في الأكل) جازّ ومجرور متعلّق بحال من بعضها (إنّ في ذلك ... يعقلون) مثل إن في ذلك ... يتفكّرون.

روائع البيان والتفسير

{ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ }
 - قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الجزئية من الآية: وقوله: { وفي الأرض قطع متجاورات } أي: أراض تجاور بعضها بعضاً، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً. هكذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.
 وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات. فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو، ولا رب سواه. اهـ (٣٥٨)
 - وأضاف السعدي - رحمه الله - في تفسيرها: ومن الآيات على كمال قدرته وبديع صنعته أن جعل { في الأرض قطع متجاورات } فيها أنواع الأشجار { مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ } وغير ذلك، والنخيل التي بعضها { صِنَوَانٌ } أي: عدة أشجار في أصل واحد، { وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ } بأن كان كل شجرة على حدتها، والجميع { يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ } وأرضه واحدة { وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ } لونا وطعماً ونفعاً ولذّة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكأ والعشب الكثير والأشجار والزروع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كأ ولا تمسك ماء، وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكأ وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكأ وهذه الثمرة حلوة وهذه مرة وهذه بين ذلك.

فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟. اهـ (٣٥٩)

- وزاد ابن كثير - رحمه الله - في بيان قوله تعالى: { ونخيل صنوان وغير صنوان } فقال ما مختصره وبتصرف: -

٣٥٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٣١)

٣٥٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٢)

وقوله: {صنوان وغير صنوان} الصنوان: هي الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين وبعض النخيل، ونحو ذلك. وغير الصنوان: ما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه، كما جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: "أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟" (٣٦٠).

وقال البراء، رضي الله عنه: الصنوان: هي النخلات في أصل واحد، وغير الصنوان: المتفرقات. وقاله ابن

عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. اهـ (٣٦١)

{وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }

قال السعدي- رحمه الله- في بيانها: {وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ} لونا وطعما ونفعا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكأ والعشب الكثير والأشجار والزرع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كأ ولا تمسك ماء، وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكأ وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكأ وهذه الثمرة حلوة وهذه مرة وهذه بين ذلك.

فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم ويعقلون عن الله وصاياه وأوامره ونواهيته، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي

غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربه سبيلا ولا يعون له قبيلا. اهـ (٣٦٢)

{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) }

إعراب مفردات الآية (٣٦٣)

(الواو) استثنائية (إن) حرف شرط جازم (تعجب) مضارع مجزوم فعل الشرط، والفاعل أنت (الفاء) رابطة لجواب الشرط (عجب) خبر مقدم مرفوع (قولهم) مبتدأ مؤخر مرفوع.. و (هم) ضمير مضاف إليه (الهمزة) للاستفهام (إذا) ظرف للزمن المستقبل غير متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف تقديره أنبعث- أو- أنحشر- (كنّا) فعل ماض ناقص.. و (نا) ضمير اسم كان (ترابا) خبر منصوب (الهمزة) مثل الأولى (إننا) حرف توكيد ونصب- ناسخ- و (نا) ضمير في محل نصب اسم إن (اللام) للتوكيد (في خلق) جازر ومجرور متعلق بخبر إن

٣٦٠ - انظر صحيح - ((الإرواء)) (٨٥٧)، ((الصحيحة)) (٨٠٦): للألباني.

٣٦١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٣١)

٣٦٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٢/)

(٣٦٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٩١)

(جديد) نعت لخلق مجرور (أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و (الكاف) حرف خطاب (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع خبر (كفروا) فعل ماض وفاعله (برهّم) جازّ ومجرور متعلّق ب (كفروا) .. و (هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (أولئك) مثل الأول (الأغلال) مبتدأ ثان مرفوع (في أعناقهم) جازّ ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ الثاني.. و (هم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (أولئك) مثل الأول (أصحاب) خبر أولئك مرفوع (النار) مضاف إليه مجرور (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (في) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خالدون) وهو خبر المبتدأ هم مرفوع وعلامة الرفع (الواو)

روائع البيان والتفسير

{ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَكُنَّا أَوْلِيَّكَ الْذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلِيَّكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }

-قال القرطبي-رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى { وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا } : أي إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين فأعجب منه تكذيبهم بالبعث، والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه ، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون. وقيل المعنى: أي إن عجبت يا محمد من إنكارهم الإعادة مع إقرارهم بأي خالق السماوات والأرض والثمار المختلفة من الأرض الواحدة فقولهم عجب يعجب منه الخلق، لأن الإعادة في معنى الابتداء. وقيل: الآية في منكري الصانع، أي إن تعجب من إنكارهم الصانع مع الأدلة الواضحة بأن المتغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب، ونظم الآية يدل على الأول والثاني، لقوله: (إذا كنا ترابا) أي أنبعث إذا كنا ترابا؟! اهـ(٣٦٤)

-واضاف السعدي- حمه الله- في تفسيرها: يحتمل أن معنى قوله { وَإِنْ تَعْجَبَ } من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيدهِ، فإن العجب -مع هذا- إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم { إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَكُنَّا أَوْلِيَّكَ الْذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ } : أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما كانوا ترابا، أن الله يعيدهم، فإنهم -من جهلهم- قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.

فلما رأوا هذا ممتنعاً في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئاً.

ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات، ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك فإن قوله من العجائب. ولكن ذلك لا يستغرب على { الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ } وجحدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلهاها، { وَأَوْلِيَّكَ الْأَغْلَالُ } المانعة لهم من الهدى { فِي أَعْنَاقِهِمْ } حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم

يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفقدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، { وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } لا يخرجون منها أبدا. اهـ (٣٦٥)

قوله تعالى: { وَإِن تَعْجَب فَعَجَب قَوْلِهِمْ } أي إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين فأعجب منه تكذيبهم بالبعث، والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون. وقيل المعنى: أي إن عجبت يا محمد من إنكارهم الإعادة مع إقرارهم بأني خالق السماوات والأرض والشمس المختلفة من الأرض الواحدة فقولهم عجب يعجب منه الخلق، لأن الإعادة في معنى الابتداء. وقيل: الآية في منكري الصانع، أي إن تعجب من إنكارهم الصانع مع الأدلة الواضحة بأن المتغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب، ونظم الآية يدل على الأول والثاني، لقوله: { إِذَا كُنَّا تَرَابًا } أي أنبعث إذا كنا ترابا؟!

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّنَا لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ }
{ وَإِنَّ رَبَّنَا لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) }

إعراب مفردات الآية (٣٦٦)

(الواو) عاطفة (يستعجلون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (الكاف) ضمير مفعول به (بالسيئة) جارّ ومجرور متعلّق ب (يستعجلون) ، (قبل) ظرف زمان منصوب متعلّق بحال من السيئة (الحسنة) مضاف إليه مجرور (الواو) واو الحال (قد) حرف تحقيق (خلت) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدرّ على الألف المحذوفة لالتقاء سكون التاء مع سكون الألف.. و (التاء) للتأنيث (من قبلهم) جار ومجرور متعلّق ب (خلت) .. و (هم) ضمير متّصل مضاف إليه (المثلاث) فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (إنّ) حرف توكيد ونصب - ناسخ- (ربك) اسم إنّ منصوب.. و (الكاف) مضاف إليه (اللام) المزلحقة للتوكيد (ذو) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو (مغفرة) مضاف إليه مجرور (لنّاس) جارّ ومجرور متعلّق ب (مغفرة) ، (على ظلمهم) جارّ ومجرور حال من الناس عاملها مغفرة.. و (هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (إنّ) ... لشديد) مثل إنّ ... لذو (العقاب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ }

-قال الشنقيطي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى : { ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثالات } ما مختصره وبتصرف يسير:

المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة أي: قبل العافية، وقبل الإيمان، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الكفار يطلبون منه صلى الله عليه وسلم أن يعجل لهم العذاب الذي يخوفهم به إن تمادوا على الكفر،

٣٦٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٣)

(٣٦٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٩٣)

وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: {ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده} [٢٢ \ ٤٧] ،
 وكقوله: {ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون} [٢٩ \
 ٥٣] ، وكقوله: {يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} [٢٩ \ ٥٤] ، وقوله: {يستعجل
 بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق} [] ، إلى غير ذلك من الآيات.
 ثم أضاف - رحمه الله - وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاذب
 فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه، كما قال تعالى: {ولئن أحرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما
 يجسه} [١١ \ ٨] ، وكقوله: {فقعروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من
 المرسلين} [٧ \ ٧٧] ، وقوله: {قالوا يانوح قد جادلنا فأكثررت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين
 } [١١ \ ٣٢] ، كما تقدمت الإشارة إلى هذا. اهـ (٣٦٧)

-وزاد أبو جعفر الطبري - رحمه الله - بياناً فقال: يقول تعالى ذكره: (ويستعجلونك) يا محمد، مشركو قومك
 بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ
 مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة الأنفال: ٣٢] وهم يعلمون ما حلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي
 عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، فمن بين أمة مسخت قرده وأخرى خنازير، ومن
 بين أمة أهلكت بالرجفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو (المثلاث) التي قال الله جل ثناؤه. {وقد خلعت من
 قبلهم المثلاث} .

و (المثلاث) ، العقوبات المنكّلات، والواحدة منها: "مثلة" بفتح الميم وضم الثاء، ثم تجمع "مُثَلَّات" ، كما
 واحدة "الصَّدَقَات" "صَدَقَةٌ" ، ثم تجمع "صَدَقَات" . وذكر أن تميماً من بين العرب تضم الميم والثاء جميعاً
 من "المُثَلَّات" ، فالواحدة على لغتهم منها: "مثلة" ، ثم تجمع "مُثَلَّات" ، مثل "عُرْفَةٌ" و"عُرْفَات" ، والفعل منه: "مَثَلْتُ
 به أمثُلُ مثلاً" بفتح الميم وتسكين الثاء، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت: "أمثلته من صاحبه أمثُلُهُ
 إمثالا وذلك إذا أقصصته منه. اهـ (٣٦٨)

{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ }

قال الشنقيطي - رحمه الله - ما مختصره:

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب، فجمع بين الوعد
 والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد ؛ لأن مطامع العقلاء محصورة
 في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله

٣٦٧ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٢٢)

٣٦٨ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ٣٥٠

تعالى: { فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين } [٦ \ ١٤٧] ، وقوله: { إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم } [٦ \ ١٥٦ و ٧ \ ١٦٧] ، وقوله جل وعلا: { نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم } [١٥ \ ٤٩ ، ٥٠] ، وقوله: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، إلى غير ذلك من الآيات. اهـ (٣٦٩)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: أي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلاً إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعداً.

يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يجرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويجب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعائب { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم }

{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } على من لم يزل مصراً على الذنوب، قد أبي التوبة والاستغفار والالتجاء إلى

العزير الغفار، فليحذر العباد عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد. اهـ (٣٧٠)

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) }

إعراب مفردات الآية (٣٧١)

(الواو) عاطفة (يقول) مضارع مرفوع (الذين) موصول مبني في محل رفع فاعل (كفروا) فعل ماضٍ وفاعله (لولا) حرف تحضيض بمعنى هلاً (أنزل) فعل ماضٍ مبني للمجهول (على) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أنزل) (آية) نائب الفاعل مرفوع (من ربه) جارّ ومجرور متعلق بنعت لآية.. و (الهاء) مضاف إليه (إنما) كافة ومكفوفة (أنت) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ (منذر) خبر مرفوع (الواو) عاطفة (لكل) جارّ ومجرور متعلق بخبر مقدم (قوم) مضاف إليه مجرور (هاد) مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف المحذوفة، فهو اسم منقوص «٣٧٢» .

روائع البيان والتفسير

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }

-قال ابن كثير- رحمه الله - في تفسيره للآية ما مختصره: يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعناداً: لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الأولون، كما تعتنوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يزيل عنهم

٣٦٩ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٢٢)

٣٧٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٣)

(٣٧١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٩٤)

٣٧٢ - وهو نعت لمنعوت محذوف أي نبي هاد.

الجبال، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً، قال الله تعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً} [الإسراء: ٥٩] .

قال الله تعالى: {إنما أنت منذر} أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها، {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة: ٢٧٢] .

وقوله: {ولكل قوم هاد} قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، أي: ولكل قوم داع.

وقال العوفي، عن ابن عباس في تفسيرهما: يقول الله تعالى: أنت يا محمد منذر، وأنا هادي كل قوم، وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبیر، والضحاك.

وعن مجاهد: {ولكل قوم هاد} أي: نبي. كما قال: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤] وبه قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد.

ثم أضاف -رحمه الله- وقال أبو العالية: الهادي: القائد، والقائد: الإمام، والإمام: العمل.

وعن عكرمة، وأبي الضحى: {ولكل قوم هاد} قالوا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال مالك: {ولكل قوم هاد} من يدعوهم إلى الله، عز وجل. اهـ (٣٧٣)

-قلت: وبين هذه الأقول كلها - أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في تفسيره للآية وقال ما نصه: وقد بينت معنى "الهداية"، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم. فإذا كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلقه ويتبع خلقه هداً ويأتمون بأمره ونهيه.

وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته.

وجائز أن يكون إماماً من الأئمة يؤتم به، ويتبع منهج وطريقته أصحابه.

وجائز أن يكون داعياً من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍ.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمداً هو المنذر

من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هادياً يهديهم فيبتعونه ويأتمون به. اهـ (٣٧٤)

-قلت ولقد رجح الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى {ولكل قوم هاد} بأن الهادي هو الرسول المرسل لكل أمة من الله تعالى واستشهد بآيات القرآن للدلالة على ذلك فقال ما مختصره: أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة أن المراد بالقوم الأمة، والمراد بالهادي الرسول، كما يدل له قوله تعالى: {ولكل أمة رسول

٣٧٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٣٤)

٣٧٤ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٣٥٨

{ الآية [١٠ \ ٤٧] ، وقوله: { وإن من أمة إلا خلا فيها نذير } [٣٥ \ ٢٤] ، وقوله: { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا } الآية [١٦ \ ٣٦] . اهـ (٣٧٥)

{ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) }

إعراب مفردات الآية (٣٧٦)

(الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (يعلم) مضارع مرفوع، والفاعل هو (ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به «٣٧٧» ، والعائد محذوف (تحمل) مثل يعمل (كلّ) فاعل مرفوع (أنثى) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (ما تغيض الأرحام وما تزداد) مثل ما تحمل كلّ أنثى، وفاعل تزداد ضمير تقديره هي (الواو) عاطفة (كلّ) مبتدأ مرفوع (شيء) مضاف إليه مجرور (عنده) ظرف منصوب متعلّق بنعت لكلّ أو لشيء «٣٧٨» و (الهاء) ضمير مضاف إليه (بمقدار) جازّ ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ كلّ.

روائع البيان والتفسير

{ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ }

- قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: يخبر تعالى بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء فقال: { اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ } من بني آدم وغيرهم، { وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ } أي: تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل أو يضمحل { وَمَا تَزْدَادُ } الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } لا يتقدم عليه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه. اهـ (٣٧٩)

- وزاد ابن القيم- رحمه الله- بيانا لقوله تعالى { وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } فقال ما مختصره: قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تغيض الأرحام من التسعة أشهر وما تزداد: ما تزيد فيها، ووافقه على هذا أصحابه، كمجاهد وسعيد بن جبير.

وقال مجاهد أيضا: إذا حاضت المرأة على ولدها كان نقصانا من الولد، وما تزداد، قال: إذا زادت على تسعة أشهر كان ذلك تماما لما نقص من ولدها.

٣٧٥ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٢٣)

(٣٧٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٩٥)

٣٧٧ - يجوز أن يكون حرفا مصدرّيّا، والمصدر المؤوّل مفعول به.. وأجازوا أن يكون اسم استفهام معمولاً لفعل تحمل- مفعولا به- وجملة تحمل معمولة للعلم المعلق بالاستفهام.

٣٧٨ - أو متعلّق بمحذوف حال من مقدار أو متعلّق بالاستقرار الذي هو خبر.

٣٧٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤١٤)

وقال أيضا: ما رأت الحامل من الدم في حملها فهو نقصان من الولد، والزيادة ما زاد على تسعة أشهر، وهو تمام النقصان.

وقال الحسن: ما تغيض الأرحام: ما كان من سقط، وما تزداد: تلد المرأة لعشرة أشهر.

وقال عكرمة: ما تغيض الأرحام: الحيض بعد الحمل، فكل يوم رأت فيه الدم حاملا ازدادته في الأيام طاهرا، فما حاضت يوما إلا ازدادت في الحمل. أنزله حياة الأرض بالنبات. وشبه القلوب بالأودية. فقلب كبير. يسع علما عظيما. كواد كبير يسع ماء كثيرا. وقلب صغير إنما يسع بحسبه، كواد صغير، فسالت أودية بقدرها. واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، وكما أن السيل إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات، ليقلعها ويذهبها، كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه، فيتكدر بها شاربه، وهي من تمام نفع الدواء. فإنه إنما أثارها ليذهب بها، فإنه لا يجامعها ولا يشاركها. وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

ثم ذكر المثل الناري فقال: وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد، فتخرجه النار وتميزه، وتفصله من الجوهر الذي ينتفع به، فيرمى وي طرح ويذهب جفاء، وكذلك الشهوات والشبهات يرميها العلم والهدى من قلب المؤمن وي طرحها. ويجفوها، كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يستسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم. كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره. ومن لم يفقه هذين المثلين ولم يتدبرهما، ويعرف ما يراد منهما فليس من أهلها. والله الموفق. اهـ (٣٨٠)

{عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩)}

إعراب مفردات الآية (٣٨١)

(عالم) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو «٣٨٢»، (الغيب) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (الشهادة) معطوف على الغيب مجرور (الكبير) خبر ثان مرفوع (المتعال) خبر ثالث مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء المحذوفة للتخفيف أو لمناسبة فواصل الآي.

روائع البيان والتفسير

{عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ}

٣٨٠ - تفسير القرآن الكريم. لابن القيم - (ص ٣٣٥)

(٣٨١) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٩٧/١٣)

٣٨٢ - أو مبتدأ خبره الكبير.

- قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: فإنه {عَالِمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ} في ذاته وأسمائه وصفاته {الْمُتَعَالِ} على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره. اهـ (٣٨٣)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- فقال: أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء. {الكبير} الذي هو أكبر من كل شيء، {المتعال} أي: على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل شيء، فخفضت له الرقاب ودان له العباد، طوعاً وكرهاً. اهـ (٣٨٤)

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)}

إعراب مفردات الآية (٣٨٥)

(سواء) خبر مقدم «٣٨٦» مرفوع (من) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلق بحال من الضمير في سواء الذي هو بمعنى مستو (من) اسم موصول مبتدأ مؤخر في محلّ رفع (أسرّ) فعل ماض، والفاعل هو، وهو العائد (القول) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (من جهر) مثل من أسرّ ومعطوف عليه (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (جهر) ، (الواو) عاطفة (من) مثل الأول ومعطوف عليه (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (مستخف) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء المحذوفة فهو اسم منقوص منون (بالليل) جازّ ومجرور متعلق ب (مستخف) (الواو) عاطفة (سارِب) مثل مستخف بالليل.

روائع البيان والتفسير

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}

-قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالي {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} : إسرار القول: ما حدث به المرء نفسه، والجهر ما حدث به غيره، والمراد بذلك أن الله سبحانه يعلم ما أسرّه الإنسان من خير وشر، كما يعلم ما جهر به من خير وشر. و" منكم" يحتمل أن يكون وصفاً ل" سواء" التقدير: سر من أسر وجهر من جهر سواء منكم، ويجوز أن يتعلق " بسواء" على معنى: يستوي منكم، كقولك: مررت بزيد. ويجوز أن يكون على تقدير: سر من أسر منكم وجهر من جهر منكم. ويجوز أن يكون التقدير: ذو سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، كما تقول: عدل زيد وعمرو أي ذوا عدل. وقيل: " سواء" أي مستو، فلا يحتاج إلى تقدير حذف مضاف. اهـ (٣٨٧)

٣٨٣ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص/٤١٤)

٣٨٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/٤٣٧)

(٣٨٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٩٨)

٣٨٦ - أو مبتدأ موصوف بقوله (منكم) ، والخبر من أسرّ.

٣٨٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٩/٢٨٩)

-وأضاف ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، سواء منهم من أسر قوله أو جهر به، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كما قال: {وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى} [طه: ٧] وقال: {ويعلم ما تخفون وما تعلنون} [النمل: ٢٥] وقالت عائشة، رضي الله عنها: "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في جنب البيت، وإنه ليخفى علي بعض كلامها، فأنزل الله: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير} [المجادلة: ١]" (٣٨٨).

وقوله: {ومن هو مستخف بالليل} أي: محتف في قعر بيته في ظلام الليل، {وسارب بالنهار} أي: ظاهر ماش في بياض النهار وضياؤه، فإن كليهما في علم الله على السواء، كما قال تعالى: {ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون} [هود: ٥] وقال تعالى: {وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين} [يونس: ٦١].. اهـ (٣٨٩)

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)}

إعراب مفردات الآية (٣٩٠)

(اللام) حرف جرّ و (الماء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (معقّبات) مبتدأ مؤخّر مرفوع (من بين) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لمعقّبات (يديه) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء، و (الماء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (من خلفه) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به الجارّ السابق فهو معطوف عليه.. و (الماء) مثل الأخير (يحفظون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل و (الماء) ضمير مفعول به (من أمر) جار ومجرور متعلّق ب (يحفظون) ، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه (إنّ) حرف توكيد ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (لا) نافية (يعيّر) مضارع مرفوع، والفاعل هو (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (يقوم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول (حتّى) حرف غاية وجرّ (يعيّر) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى وعلامة النصب حذف النون.. و (الواو) فاعل (ما بأنفسهم) مثل ما يقوم.. و (هم) ضمير مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن يعيّر) في محلّ جرّ ب (حتّى) متعلّق ب (يعيّر) .

٣٨٨ - أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣). وصححه الألباني في الإرواء (١٧٥/٧)، وأخرج البخاري نحوه- باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ١٣٤] (١١٧/٩) ومنته "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسَّعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} -المجادلة: ١

٣٨٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٢٧)

(٣٩٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٩٩/١٣)

(الواو) عاطفة (إذا) ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمضمون الجواب « ٣٩١ » ، (أراد) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (يقوم) جازّ ومجرور متعلق بحال من (سوءاً) وهو مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب الشرط (لا) نافية للجنس (مردّ) اسم لا مبني على الفتح في محل نصب (له) مثل الأول متعلق بخبر لا (الواو) عاطفة (ما) حرف ناف (لهم) مثل له متعلق بخبر مقدّم (من دونه) مثل من خلفه متعلق بحال من وال (من) حرف جرّ زائد (وال) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الياء المحذوفة فهو اسم منقوص.

روائع البيان والتفسير

{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }

- قال القرطبي في تفسيرها-رحمه الله-: قوله تعالى: { له معقبات } أي لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار. وقال: "معقبات" والملائكة ذكران لأنه جمع معقبة، يقال: ملك معقب، وملائكة معقبة، ثم معقبات جمع الجمع. وقرأ بعضهم "له معاقب من بين يديه ومن خلفه". ومعاقب جمع معقب، وقيل للملائكة معقبة على لفظ الملائكة. وقيل: أنث لكثرة ذلك منهم، نحو نسابة وعلامة وراوية، قال الجوهري وغيره. والتعقب العود بعد البدء، قال الله تعالى: { ولي مدبراً ولم يعقب } [النمل: ١٠] أي لم يرجع، وفي الحديث "معقبات لا يخيب قائلهن - أوفاعلهن" () فذكر التسبيح والتحميد والتكبير. قال أبو الهيثم: سمين "معقبات" لأنهن عادت مرة بعد مرة، فعل من عمل عملاً ثم عاد إليه فقد عقب. والمعقبات من الإبل اللواتي يقمن عند أعجاز الإبل المعتزكات على الحوض، فإذا انصرفت ناقة دخلت مكانها أخرى. وقوله: { من بين يديه } أي المستخفي بالليل والسارب بالنهار. (٣٩٢)

- واضاف ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف يسير: وقوله: { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله } أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين و عن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكتبان، كما جاء في الصحيح: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصلدون إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم:

٣٩١ - وتقدير الكلام: إذا أراد الله يقوم سوءاً وقع أو لم يردّ- بالبناء للمجهول

٣٩٢-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٩١/٩)

كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون" (٣٩٣).

وأضاف - رحمه الله - وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة.

وقال عكرمة، عن ابن عباس: {يحفظونه من أمر الله} قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه.

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} قال: ذلك ملك من ملوك الدنيا، له حرس من دونه حرس.

وقال العوفي، عن ابن عباس: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه} يعني: ولي الشيطان، يكون عليه الحرس. ثم قال - رحمه الله -: عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة". قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: "وإياي، ولكن أعانني الله عليه فلا يأمرني إلا بخير". (٣٩٤)

وقوله: {يحفظونه من أمر الله} قيل: المراد حفظهم له من أمر الله. رواه علي بن أبي طلحة، وغيره، عن ابن عباس. وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وغيرهم.

وقال قتادة: {يحفظونه من أمر الله} قال: وفي بعض القراءات: "يحفظونه بأمر الله".

وقال كعب الأحبار: لو تجلّى لابن آدم كل سهل وحزن، لرأى كل شيء من ذلك شياطين لولا أن الله وكل بكم ملائكة عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم، إذا لتخطفتهم.

وقال أبو أمامة ما من آدمي إلا ومعه ملك يزود عنه، حتى يسلمه للذي قدر له.

وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي، رضي الله عنه، وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناسا من مراد يريدون قتلك. فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة. اهـ (٣٩٥)

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوهُمَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ }

٣٩٣ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه برقم / ٧٤٢٩ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: ٤]

٣٩٤ - أخرجه مسلم برقم / ٢٨١٤ - بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا

٣٩٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٣٧)

- قال الشنقيطي - رحمه الله - في بيان قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } فقال بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يغير ما يقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا.

والمعنى: أنه لا يسلب قوما نعمة أنعمها عليهم حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: { ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } الآية [٨ \ ٥٣] ، وقوله: { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } [٤٢ \ ٣٠] .
وقد بين في هذه الآية أيضا: أنه إذا أراد قوما بسوء فلا مرد له، وبين ذلك أيضا في مواضع أخر، كقوله: { ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين } [٦ \ ١٤٧] ، ونحوها من الآيات، وقوله في هذه الآية الكريمة: حتى يغيروا ما بأنفسهم، يصدق بأن يكون التغيير من بعضهم كما وقع يوم أحد بتغيير الرماة ما بأنفسهم فعمت البلية الجميع، وقد سئل صلى الله عليه وسلم: «أهلك وفيينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث» (٣٩٦) . والله تعالى أعلم. اهـ (٣٩٧)

- وقال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ } من النعمة والإحسان ورغد العيش { حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها.
وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، { وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا } أي: عذابا وشددة وأمرًا يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.
{ ف } إنه { لا مَرَدَّ لَهُ } ولا أحد يمنعهم منه، { وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } يتولى أمورهم فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين. اهـ (٣٩٨)

{ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) }

٣٩٦ - أخرجه البخاري من حديث زينب بنت جحش - رضي الله عنها - برقم / ٣٣٤٦ - بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ - وتام متنه " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرَجَا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِلَّا لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ افْتَرَبَ، فُتِيحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْهَلِكُ وَفِيْنَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْثُ»

٣٩٧ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٣٧)

٣٩٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٤)

(هو) ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول مبني في محل رفع خبر (يريكُم) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء.. و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (البرق) مفعول به ثان منصوب (خوفا) مصدر في موضع الحال من المفعول في (يريكُم) «٤٠٠»، (الواو) عاطفة (طمعا) معطوف على (خوفا) منصوب (الواو) عاطفة (ينشئ) مثل يري (السحاب) مفعول به منصوب (الثقال) نعت للسحاب منصوب.

روائع البيان والتفسير

{ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ }

- قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا } : ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي يري خلقه البرق خوفا وطمعا، قال قتادة: خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله، وعن الحسن: الخوف لأهل البحر، والطمع لأهل البر، وعن الضحاك: الخوف من الصواعق، والطمع في الغيث.

وبين في موضع آخر: أن إراءته خلقه البرق خوفا وطمعا من آياته جل وعلا الدالة على أنه المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له. وذلك في قوله: { ومن آياته يريكُم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء } الآية [٣٠ \ ٢٤]. اهـ (٤٠١)

- واضاف أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى { وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } فقال: و"السحاب" في هذا الموضع، وإن كان في لفظ واحد، فإنها جمع، واحدها "سحابة"، ولذلك قال: "الثقال"، فنعتها بنعت الجمع، ولو كان جاء: "السحاب" الثقيل كان جائزا، وكان توحيداً للفظ السحاب، كما قيل: { الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا } [سورة يس: ٨٠]. اهـ (٤٠٢)

(٣٩٩) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٠٢)

٤٠٠ - أي يريكُم البرق خائفين.. وقد جعله العكبري مفعولا لأجله، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الفاعل بين الفعل والمصدر، ففاعل الفعل هو الله، وفاعل المصدر هو الناس

٤٠١ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٣٧)

٤٠٢ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٣٨٧ / ٢٠٢٥٣)

-وزاد ابن كثير -رحمه الله- في تفسيرها فقال: {وينشئ السحاب الثقال} أي: ويخلقها منشأة جديدة، وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة إلى الأرض. قال مجاهد: والسحاب الثقال: الذي فيه الماء. اهـ (٤٠٣)

{وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)}

إعراب مفردات الآية (٤٠٤)

(الواو) عاطفة (يسبغ) مضارع مرفوع (الرعد) فاعل مرفوع (بحمده) جارّ ومجرور متعلّق ب (يسبغ) «٤٠٥» ، و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (الملائكة) معطوف على الرعد مرفوع (من خيفته) جارّ ومجرور متعلّق ب (يسبغ) ، ومن سببته و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (يرسل الصواعق) مثل ينشئ السحاب (الفاء) عاطفة (يصيب) مثل يسبغ (الباء) حرف عطف و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يصيب) ، (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به عامله يصيب (يشاء) مثل يسبغ، ومفعول يشاء محذوف تقديره إصابته، وفاعل يشاء الله (الواو) واو الحال (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يجادلون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (في الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يجادلون) ، (الواو) واو الحال (هو) مثل هم (شديد) خبر مرفوع (المحال) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ }

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو الشهير بالبزار (٤٠٦) كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٥٤ عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى

٤٠٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٤٠)

(٤٠٤) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣/١٠٢)

٤٠٥ - أو متعلّق بحال من الرعد.

٤٠٦ - هو أحمد بن عمرو الحافظ، أبو بكر البزار، صاحب المسند الكبير. صدوق مشهور. قال أبو أحمد الحاكم: يخطئ في الإسناد والمتن، يروى عن الفلاس، وبندار، والطبقة. وقال الحاكم: سألت الدارقطني عنه، فقال: يخطئ في الإسناد والمتن، حدث بالمسند بمصر حفظاً، ينظر في كتب الناس، ويحدث من حفظه، ولم يكن منه كتب فأخطأ في أحاديث كثيرة.

جرحه النسائي. وهو ثقة يخطئ كثيراً. وقال ابن يونس: حافظ للحديث. توفي بالرملة سنة / اثنتين وتسعين ومائتين. -انظر ميزان الاعتدال للذهبي برقم/ ٥٠٥

الله تبارك وتعالى فقال أيش ربك الذي تدعوني إليه من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره فأعاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الثانية. فقال مثل ذلك. فأرسله إليه الثالثة. فقال مثل ذلك. فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقتة فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقتة". فنزلت هذه الآية: {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}. اهـ (٤٠٧)

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} وهو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، {و} تسبح {الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} أي: خشعا لربهم خائفين من سطوته، {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} وهي هذه النار التي تخرج من السحاب، {فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} من عباده بحسب ما شاءه وأراده وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب.

٤٠٧ - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي- رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/ ١٢١) بتصرف: الحديث أخرجه أبي عاصم في كتاب السنة ج ١ ص ٣٠٤ فقال: حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا ديلم بن غزوان به. وأخرجه الإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى رحمه الله ج ٦ ص ٨٧ فقال حدثنا محمد بن أبي بكر وغيره قالوا حدثنا ديلم بن غزوان به.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله في كتاب الأسماء والصفات ص ٢٧٨ أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو العباس الأصم نا يحيى بن أبي طالب أنا يزيد بن هارون أنا ديلم بن غزوان به.

وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٤٢ رواه أبو يعلى والبزار بنحوه إلا أنه قال إلى رجل من فراعنة العرب وقال الصحابي فيه يا رسول الله إنه أعتى من ذلك. وقال سحابة جبال فرعدت وأبرقت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه. وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط وقال فرعدت وأبرقت. ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف. ا. هـ.

قال أبو عبد الرحمن أبو يعلى رواه من طريقين من الطريق التي ليس فيها علي بن أبي سارة وقد أشرت إليها ومن طريق علي بن أبي سارة ج ٦ ص ١٨٣.

وأخرجه النسائي في التفسير ج ١ ص ٩٩ وعلي بن أبي سارة شديد الضعف قال الحافظ الذهبي في الميزان قال أبو داود تركوا حديثه وقال البخاري فيه نظر وقال أبو حاتم ضعيف ثم ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله أن هذا الحديث مما أنكر عليه. فعلى هذا فالاعتماد على الطريق الأولى وهي ترتقي إلى الحجية والله أعلم.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة - فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. اهـ (٤٠٨)

-وزاد القرطبي- رحمه الله- في بيان معني قوله تعالي: { وهو شديد المحال } فقال ما مختصره: قال ابن الأعرابي: "المحال" المكر، والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق. النحاس: المكر من الله إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر. ثم أضاف - رحمه الله -:

وأقويل الصحابة والتابعين بمعناها، وهي ثمانية: أولها- شديد العداوة، قاله ابن عباس. وثانيها- شديد الحول، قاله ابن عباس أيضا. وثالثها- شديد الأخذ، قاله علي بن أبي طالب. ورابعها- شديد الحقد، قاله ابن عباس. وخامسها- شديد القوة، قاله مجاهد. وسادسها- شديد الغضب، قاله وهب بن منبه. وسابعها- شديد الهلاك بالمحل، وهو القحط، قاله الحسن أيضا. وثامنها- شديد الحيلة، قاله قتادة. وقال أبو عبيدة معمر (٤٠٩): المحال والمماحلة المماكرة والمغالبة اهـ (٤١٠)

{ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) }

إعراب مفردات الآية (٤١١)

(له دعوة) مثل له معقبات «٤١٢»، (الحق) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ (يدعون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (من دونه) جارّ ومجرور متعلق بحال من مفعول

٤٠٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٤)

٤٠٩ - الإمام العلامة البحر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري النحوي صاحب التصانيف. ولد في سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري. ولم يكن صاحب حديث وإنما أوردته لتوسعه في علم اللسان وأيام الناس. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. وقال يحيى بن معين: ليس به بأس. قال المبرد: كان هو، والأصمعي متقاربين في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم. فقيل: مات سنة تسع ومائتين وقيل: مات سنة عشر.

قلت: قد كان هذا المرء من مجور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا البصير بالفقه، واختلاف أئمة الاجتهاد بلى، وكان معاني من معرفة حكمة الأوائل، والمنطق وأقسام الفلسفة وله نظر في المعقول، ولم يقع لنا شيء من عوالي روايته. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي - ١٤٨١

٤١٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٩٩ / ٩)

(٤١١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٠٥)

٤١٢ - في الآية (١١) من هذه السورة

يدعون المقدّر و (الهاء) مضاف إليه (لا) نافية (يستحيون) مثل يدعون (اللام) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يستحيون) (بشيء) جارّ ومجرور متعلّق ب (يستحيون) على معنى يجيئون (إلا) أداة حصر (كباسط) جارّ ومجرور «٤١٣» متعلّق بمحذوف مفعول مطلق أي: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه «٤١٤» ، فهو على حذف مضاف (كفيه) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.. و (الهاء) مضاف إليه (إلى الماء) جارّ ومجرور متعلّق ب (باسط) (اللام) للتعليل (يلغ) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل هو أي الماء (فاه) مفعول به منصوب وعلامة النصب الألف.. و (الهاء) مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (أن يبلغ..) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (باسط) .

(الواو) واو الحال (ما) نافية عاملة عمل ليس (هو) ضمير منفصل اسم ما في محلّ رفع (الباء) زائدة (بالغة) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما..

و (الهاء) مثل الأخير (الواو) استثنائية (ما) نافية مهملة (دعاء) مبتدأ مرفوع (الكافرين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء (إلا) أداة حصر (في ضلال) جارّ ومجرور خبر المبتدأ.

روائع البيان والتفسير

{ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ }

- قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها: قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: { له دعوة الحق } قال: التوحيد. رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس، وقتادة، ومالك عن محمد بن المنكدر: { له دعوة الحق } قال: لا إله إلا الله.

{ والذين يدعون من دونه } أي: ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله. { كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه } قال علي بن أبي طالب: كمثّل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده، وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه؟ وقال مجاهد: { كباسط كفيه } يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً.

وقيل: المراد كقابض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء، كما قال الشاعر:

فإني وإياكم وشوقاً إليكم ... كقابض ماء لم تسقه أنامله ...

وقال الآخر:

فأصبحت مما كان بيني وبينها ... من الود مثل القابض الماء باليد ...

٤١٣ - يجوز أن تكون الكاف اسماً بمعنى مثل فهي في محلّ نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه صفة

٤١٤ - وهو تخريج الزمخشري وتبعه في ذلك أبو البقاء العكبري.. وثمة توجيهات أخرى كثيرة في تفسير الآية يرجع إليها في كتب التفسير.

ومعنى الكلام: أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء، إما قابضا وإما متناولاً له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة. اهـ (٤١٥)

{ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ }

- قال السعدي في بيانها ما نصه: لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقاً متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى: {إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}. اهـ (٤١٦)

{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلَاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥) }

إعراب مفردات الآية (٤١٧)

(الواو) عاطفة (لله) جازّ ومجرور متعلّق ب (يسجد) وهو مضارع مرفوع (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل (في السموات) جازّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور (طوعاً) مصدر في موضع الحال أي طائعا (كرها) معطوف على (طوعاً) بالواو منصوب (الواو) عاطفة (ظلالهم) معطوف على الموصول من مرفوع.. و (هم) ضمير مضاف إليه (بالغدوّ) جازّ ومجرور متعلّق ب (يسجد) ، (الآصال) معطوف على الغدوّ بالواو مجرور مثله.

روائع البيان والتفسير

{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلَاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً: يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء. ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً من المشركين، {وظلالهم بالغدو} أي:

٤١٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٤٦)

٤١٦ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٥)

(٤١٧) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٠٥)

البكر والآصال، وهو جمع أصيل وهو آخر النهار، كما قال تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتغيأ ظلالة عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخرون﴾ [النحل: ٤٨]. اهـ (٤١٨)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله- في تفسيرها بياناً فقال ما مختصره:

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يسجد له أهل السماوات والأرض طوعا وكرها وتسجد له ظلالم بالغدو والآصال، وذكر أيضا سجود الظلال وسجود أهل السماوات والأرض في قوله ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتغيأ ظلالة عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخرون والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ [١٦ \ ٤٨، ٤٩] إلى قوله ﴿يؤمنون﴾ [١٦ \ ٥٠] ، واختلف العلماء في المراد بسجود الظل وسجود غير المؤمنين، فقال بعض العلماء: سجود من في السماوات والأرض من العام المخصوص، فالمؤمنون والملائكة يسجدون لله سجودا حقيقيا، وهو وضع الجبهة على الأرض، يفعلون ذلك طوعا، والكفار يسجدون كرها، أعني المنافقين لأنهم كفار في الباطن ولا يسجدون لله إلا كرها، كما قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس﴾ الآية [٤ \ ١٤٢] ، وقال تعالى: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ [٩ \ ٥٤] ، والدليل على أن سجود أهل السماوات والأرض من العام المخصوص، قوله تعالى في «سورة الحج»: ﴿لم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ [٢٢ \ ١٨] ، فقوله: ﴿وكثير من الناس﴾ [٢٢ \ ١٨] دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود المذكور، وهذا قول الحسن، وفتادة، وغيرهما، وذكره الفراء، وقيل الآية عامة. والمراد بسجود المسلمين طوعا انقيادهم لما يريد الله منهم طوعا، والمراد بسجود الكافرين كرها انقيادهم لما يريد الله منهم كرها؛ لأن إرادته نافذة فيهم وهم منقادون خاضعون لصنعه فيهم ونفوذ مشيئته فيهم، وأصل السجود في لغة العرب: الذل والخضوع، ومنه قول زيد الخيل (٤١٩):

٤١٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٤٦)

٤١٩ - زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن مالك بن نابل بن نبهان واسمه سودان بن عمرو بن الغوث الطائي النبهاي المعروف بزيد الخيل، وكان من المؤلفلة قلوبهم، ثم أسلم وحسن إسلامه، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد طيء سنة تسع، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال: " ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون الصفة غيرك ". وأقطعه أرضين.

وكان يكنى أبا مكنف، وكان له ابنان: مكنف، وحرث، أسلما وصحبا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد.

وكان زيد الخيل شاعرا محسنا، خطيبا لسنا، شجاعا كريما، وكان بينه وبين كعب بن زهير مهاجاة، لأن كعبا اتهمه بأخذ فرس له.

بجمع تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم فيها سجدا للحواضر
ومنه قول العرب: أسجد: إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور:

فلما لوين على معصم ... وكف خضيب وأسوارها

فضول أزمتهما أسجدت ... سجود النصرى لأخبارها

وعلى هذا القول فالسجود لغوي لا شرعي، وهذا الخلاف المذكور جار أيضا في سجود الظلال، ف قيل:
سجودها حقيقي، والله تعالى قادر على أن يخلق لها إدراكا تدرك به وتسجد لله سجودا حقيقيا، وقيل:
سجودها ميلها بقدره الله أول النهار إلى جهة المغرب، وآخره إلى جهة المشرق، وادعى من قال هذا أن الظل
لا حقيقة له؛ لأنه خيال فلا يمكن منه الإدراك.

ونحن نقول: إن الله جل وعلا قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكا يسجد به لله تعالى
سجودا حقيقيا، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي: حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من
كتاب أو سنة، ولا يخفى أن حاصل القولين:

أن أحدهما: أن السجود شرعي وعليه فهو في أهل السماوات والأرض من العام المخصوص.

والثاني: أن السجود لغوي بمعنى الانقياد والذل والخضوع، وعليه فهو باق على عمومته، والمقرر في الأصول
عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على
الشرعية، وهو التحقيق، خلافا لأبي حنيفة في تقدم اللغوية، ولمن قال يصير اللفظ مجملا لاحتمال هذا وذاك،
وعقد هذه المسألة صاحب «مراقي السعود» بقوله:

واللفظ محمول على الشرعي ... إن لم يكن فمطلق العربي

فاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب وقيل: المراد بسجود الكفار كرها سجود ظلالهم
كرها، وقيل: الآية في المؤمنين فبعضهم يسجد طوعا؛ لخفة امتثال أوامر الشرع عليه، وبعضهم يسجد كرها
؛ لثقل مشقة التكليف عليه مع أن إيمانه يحمله على تكلف ذلك. والعلم عند الله تعالى. اهـ (٤٢٠)

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)}

إعراب مفردات الآية (٤٢١)

ولما انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم أخذته الحمى، فلما وصل إلى أهله مات، وقيل: بل توفي آخر خلافة عمر،
وكان في جاهليته قد أسر عامر بن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة برقم/ ١٨٧٧

٤٢٠ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ١٣٨)

(٤٢١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٠٨)

(قل) فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (من) اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (ربّ) خبر مرفوع (السموات) مضاف إليه مجرور (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور (قل) مثل الأول (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع، والخبر محذوف تقديره ربّ السموات (قل) مثل الأول (الهمزة) للاستفهام (الفاء) عاطفة (اتَّخَذْتُمْ) فعل ماض مبنيّ على السكون.. و (تم) ضمير في محلّ رفع فاعل (من دونه) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من أولياء- نعت تقدّم على المنعوت- و (الهاء) مضاف إليه (أولياء) مفعول به منصوب (لا يملكون لأنفسهم) مثل لا يستجيبون لهم «٤٢٢» (نفعاً) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (ضراً) معطوف على (نفعاً) منصوب مثله (قل) مثل الأول (هل) حرف استفهام (يستوي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء (الأعمى) فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (البصير) معطوف على الأعمى بالواو مرفوع (أم) بمعنى بل للإضراب (هل تستوي.. النور) مثل هل يستوي... البصير (أم) مثل الأول وبعده همزة مقدّرة (جعلوا) فعل ماض وفاعله (الله) جارّ ومجرور متعلّق بحال من (شركاء) وهو مفعول جعلوا منصوب (خلقوا) مثل جعلوا (كخلقه) جار ومجرور نعت لمحذوف هو مفعول به «٤٢٣» - و (الهاء) مضاف إليه (الفاء) عاطفة (تشابه) فعل ماض (الخلق) فاعل مرفوع (على) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تشابه) ، (قل الله) مثل السابقة (خالق) خبر المبتدأ مرفوع (كلّ) مضاف إليه مجرور (شيء) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (الواحد) خبر مرفوع (القهار) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا }
 - قال أبو جعفر الطبري- ر حمه الله- في تفسيرها: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ومدبرها، فإنهم سيقولون الله. وأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول: "الله"، فقال له: قل، يا محمد: ربّها، الذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله. ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أفاتَّخَذْتُمْ من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعاً تجلبه إلى نفسها، ولا ضرراً تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فمن ملكه لغيرها أبعُدْ فعبدتموها، وتركتم عبادة من بيده النفع والضرر والحياة والموت وتديبر الأشياء كلها..(هـ) (٤٢٤)

٤٢٢ - في الآية (١٤) من هذه السورة.

٤٢٣ - يكون الخلق اسم جمع أو بمعنى المخلوق.. أو هو مفعول مطلق يكون الخلق مصدراً.

٤٢٤ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٤٠٥

-وأضاف القرطبي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: {قل أفأتخذتم من دونه أولياء} هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق وإلا لم يكن للاحتجاج بقوله: {قل أفأتخذتم من دونه أولياء} معنى، دليhle قوله: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله} [الزمر: ٣٨] أي فإذا اعترفتم فلم تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر، وهو إلزام صحيح. اهـ(٤٢٥)

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ}

-قال القرطبي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: {قل هل يستوي الأعمى والبصير} فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق، والمشرك الذي لا يبصر الحق. وقيل: الأعمى مثل لما عبده من دون الله، والبصير مثل الله تعالى: {أم هل تستوي الظلمات والنور} أي الشرك والإيمان. اهـ(٤٢٦)

{ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }

-قال ابن كثير- رحمه الله-: أي: أحعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتمثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنه لا يشابهه شيء ولا يمثله، ولا ند له ولا عدل له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة له عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: ٣] فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له} [سبأ: ٢٣] ، {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم: ٢٦] وقال: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعددهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا} [مریم: ٩٣- ٩٥] فإذا كان الجميع عبيدا، فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع؟ ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وخالفوهم، فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة، {ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف: ٤٩]. اهـ(٤٢٧)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله فقال ما مختصره:

٤٢٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٠٣/٩)

٤٢٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٠٣/٩)

٤٢٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤٤٧/٤)

أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ؛ لأنه هو الخالق ولا يستحق من الخلق أن يعبدوه إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم إلى الوجود ؛ لأن المقصود من قوله: {أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم} [١٣ \ ١٦] إنكار ذلك وأنه هو الخالق وحده بدليل قوله بعده: {قل الله خالق كل شيء} [١٣ \ ١٦] أي: وخالق كل شيء هو المستحق لأن يعبد وحده، ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم} الآية [٢ \ ٢١] ، وقوله: {واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون} [٢٥ \ ٣].. إلى غير ذلك من الآيات ؛ لأن المخلوق محتاج إلى خالقه فهو عبد مربوب مثلك يجب عليه أن يعبد من خلقه وحده، كما يجب عليك ذلك، فأنتما سواء بالنسبة إلى وجوب عبادة الخالق وحده لا شريك له. اهـ(٤٢٨)

{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ مَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)}

إعراب مفردات الآية (٤٢٩)

(أنزل) فعل ماضٍ، والفاعل هو (من السماء) جازّ ومجرور متعلّق ب (أنزل) «٤٣٠» ، (ماء) مفعول به منصوب (الفاء) عاطفة (سالت) فعل ماضٍ.. و (الناء) للتأنيث (أودية) فاعل مرفوع (بقدرها) جازّ ومجرور متعلّق ب (سالت) «٤٣١» و (ها) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (احتمل) مثل أنزل (السيّل) فاعل مرفوع (زيدا) مفعول به منصوب (رابيا) نعت للمفعول منصوب (الواو) عاطفة (من) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (يوقدون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (على) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يوقدون) ، (في النار) جازّ ومجرور متعلّق بحال من الضمير في (عليه) «٤٣٢» ، (ابتغاء) مفعول لأجله «٤٣٣» ، (حلية) مضاف إليه مجرور (أو) حرف عطف (متاع) معطوف على حلية مجرور (زيد) مبتدأ مؤخر مرفوع (مثله) نعت لزبد مرفوع.. و (الهاء) مضاف إليه (الكاف) حرف جرّ وتشبيهه (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ

٤٢٨ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان(٢ / ٢٣٩)

(٤٢٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١١١)

٤٣٠ - أو متعلّق بمحذوف حال من ماء- نعت تقدّم على المنعوت.

٤٣١ - أو متعلّق بمحذوف نعت لأودية.

٤٣٢ - أو متعلّق ب (يوقدون) .

٤٣٣ - أو مصدر في موضع الحال أي مبتغين حلية

جزّ متعلّق بمحذوف مفعول مطلق عامله يضرب، والإشارة إلى المذكور المتقدّم و (اللام) للبعد و (الكاف) للخطاب (يضرب) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الحقّ) مفعول به منصوب على حذف مضاف أي مثل الحقّ (الباطل) معطوف على (الحقّ) بالواو منصوب (الفاء) عاطفة تفرّيعيّة (أما) حرف شرط وتفصيل (الزيد) مبتدأ مرفوع (الفاء) رابطة لجواب الشرط (يذهب) مثل يضرب، والفاعل هو (جفاء) حال منصوبة (الواو) عاطفة (أما) مثل الأول (ما) اسم موصول في محلّ رفع مبتدأ (ينفع الناس) مثل يضرب.. الحقّ، والفاعل هو وهو العائد، (فيصمكث) مثل فيذهب (في الأرض) جازّ ومجورر متعلّق ب (يمكث) ، (كذلك يضرب الله الأمثال) مثل كذلك ... الحقّ.

روائع البيان والتفسير

{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ }

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله-: وهذا مثل ضربه الله للحقّ والباطل، والإيمان به والكفر. يقول تعالى ذكره: مثل الحقّ في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض {فسالت أوديةً بقدرها}، يقول: فاحتملت الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره {فاحتمل السيل زبداً رابياً}، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبداً عاليًا فوق السيل. فهذا أحدٌ مثلي الحقّ والباطل، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزيد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثل الآخر: {ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية} يقول جل ثناؤه: ومثلٌ آخر للحقّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به، {زيد مثله} ، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زيد مثله، يعني: مثل زيد السَّيْل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزيد السَّيْل ويذهب باطلا. ورفع "الزيد" بقوله: {ومما يوقدون عليه في النار} .

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زيدٌ مثلُ زيد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة. اهـ(٤٣٤)

-وزاد ابن القيم-رحمه الله- بياناً لهذه الجزئية من الآية فقال: هذا هو المثل المائي. شبه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب بالماء الذي أنزله من السماء. وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحاملة للسيل، فقلب كبير يسع

علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا، وقلب صغير كواد صغير يسع علما قليلا، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها، كما سالت الأودية بقدرها.

ولما كانت الأودية مجاري السيول فيها الغناء ونحوه مما يمر عليه السيل، فيحتمله السيل، فيطفو على وجه الماء زيدا عاليا يمر عليه متراكما، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغناء إلى جنبتيه حتى لا يبقى ذلك منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغناء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب والغناء يذهب جفاء يجفى ويطرح على شفير الوادي، فكذلك العلم والإيمان، الذي أنزله في القلوب، فاحتملته، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غناء الشهوات وزيد الشبهات الباطلة. فيطفو في أعلاها. واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلوب. فلا يزال ذلك الغناء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئا فشيئا حتى يزول كله. ويبقى العلم النافع، والإيمان الخالص في هذا القلب، يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون. اهـ (٤٣٥)

{ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }

-قال السعدي في بيانها إجمالاً ما نصه: ذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق { إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } وقال هنا: { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال. اهـ (٤٣٦)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال: { كذلك يضرب الله الحق والباطل } أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: { فأما الزبد فيذهب جفاء } أي: لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك حثب الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به؛ ولهذا قال: { وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال } كما قال تعالى: { وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون } [العنكبوت: ٤٣].

٤٣٥- تفسير القرآن الكريم. لابن القيم-) (ص / ٣٣٦)

٤٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٥)

قال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: {وما يعقلها إلا العالمون}. اهـ (٤٣٧)

{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) }

إعراب مفردات الآية (٤٣٨)

(اللام) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم «٤٣٩» (استجابوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ..

و (الواو) فاعل (لربّهم) جارّ ومجرور متعلّق ب (استجابوا) ، و (هم) ضمير مضاف إليه (الحسنى) مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (الذين) موصول في محلّ رفع مبتدأ «٤٤٠» ، (لم) حرف نفي وجزم (يستجيبوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. و (الواو) فاعل (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يستجيبوا) ، (لو) حرف شرط غير جازم (أنّ) حرف توكيد ونصب - ناسخ- (لهم) مثل له متعلّق بخبر أنّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب اسم أنّ (في الأرض) جار ومجرور متعلّق بمحذوف صلة ما (جميعاً) حال منصوبة من ضمير الاستقرار الذي هو خبر.

والمصدر المؤوّل (أنّ لهم ما في الأرض) في محلّ رفع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت.. وهو فعل الشرط. و (الواو) عاطفة (مثله) معطوف على محلّ ما منصوب.. و (الهاء) مضاف إليه (معه) ظرف منصوب متعلّق بحال من مثله.. و (الهاء) مثل الأخير (اللام) واقعة في جواب لو (افتدوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (الواو) فاعل (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (افتدوا) ، (أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و (الكاف) حرف خطاب (لهم) مثل له متعلّق بخبر مقدّم (سوء) مبتدأ مؤخر مرفوع (الحساب) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (مأواهم) مبتدأ مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف.. و (هم) ضمير مضاف إليه (جهنّم) خبر مرفوع، وامتنع من التنوين للعلميّة والتأنيث (الواو) واو الحال (بئس) فعل ماض جامد لإنشاء الذمّ (المهاد) فاعل مرفوع.. والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره هي أو جهنّم.

٤٣٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٤٧)

(٤٣٨)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١١٥/١٣)

٤٣٩ - أو متعلّق ب (يضرب) في الآية السابقة- على رأي الزمخشريّ- و (الحسنى) هو مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه صفة أي: استجابوا الاستجابة الحسنى.

٤٤٠ - أو هو في محلّ جرّ معطوف على الموصول الأول (للذين) .

{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُمُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: لما بيّن تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه فقال: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربه فيما يريد منهم، فلهم {الحُسْنَى} أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} بعد ما ضرب لهم الأمثال وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، ف {لَوْ أَنَّ هُمُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} من ذهب وفضة وغيرها، {وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ} من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وأنى لهم ذلك؟!!!

{أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ} وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم وقالوا: {يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا} {و} بعد هذا الحساب السيئ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب {وَبِئْسَ الْمِهَادُ} أي: المقر والمسكن مسكنهم. اهـ (٤٤١)

{أَقْمَنُ يَعْلَمُ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩)}

إعراب مفردات الآية (٤٤٢)

(الهمزة) للاستفهام الإنكاريّ (الفاء) استئنافية (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يعلم) مضارع مرفوع، والفاعل هو وهو العائد (أنّ) حرف توكيد ونصب (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب اسم أنّ (أنزل) فعل ماض مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وهو العائد (إلى) حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أنزل) ، (من ربّك) جارّ ومجرور متعلّق ب (أنزل) ، و (الكاف) مضاف إليه (الحقّ) خبر أنّ مرفوع (الكاف) حرف جرّ (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بخبر الموصول من (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (أعمى) خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (إنّما) كافّة ومكفوفة (يتذكّر) مثل يعلم (أولو) فاعل مرفوع، وعلامة الرفع (الواو) فهو ملحق بجمع المذكّر (الألباب) مضاف إليه مجرور.

٤٤١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص/ ٤١٥)

(٤٤٢)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ١١٨)

{ أَفْمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره للآية: يقول تعالى: لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي { أنزل إليك } يا محمد { من ربك } هو { الحق } أي: الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضا، لا يضاد شيء منه شيئا آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيها عدل، كما قال تعالى: { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا } [الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له، ولا صدقه ولا اتبعه، كما قال تعالى: { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون } [الحشر: ٢٠] وقال في هذه الآية الكريمة: { أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى } أي: أفهذا كهذا؟ لا استواء.

وقوله: { إنما يتذكر أولو الألباب } أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله منهم بفضله وكرمه . اهـ (٤٤٣)

{ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) }

إعراب مفردات الآية (٤٤٤)

(الذين) اسم موصول مبني في محل رفع نعت - (أولو) «٤٤٥» (يوفون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون.. و (الواو) فاعل (بعهد) جازر ومجرور متعلق ب (يوفون) ، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (لا) نافية (ينقضون) مثل يوفون (الميثاق) مفعول به منصوب

{ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) }

قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قوله تعالى: { الذين يوفون بعهد الله } هذا من صفة ذوي الألباب، أي إنما يتذكر أولو الألباب الموفون بعهد الله. والعهد اسم الجنس، أي بجميع عهود الله، وهي أوامره ونواهيها التي وصى بها عباده، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي. وقوله: { ولا ينقضون الميثاق } يحتمل أن يريد به جنس المواثيق، أي إذا عقدوا في طاعة الله عهدا لم ينقضوه. قال قتادة: تقدم الله إلى عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين آية، ويحتمل أن يشير إلى ميثاق بعينه،

٤٤٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٥٠)

(٤٤٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١١٩)

٤٤٥ - أو بدل منه.. أو مبتدأ خبره (أولئك لهم عقبي الدار) .. أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم.. أو مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح.

هو الذي أخذته الله على عباده حين أخرجهم من صلب أبيهم آدم. وقال القفال: هو ما ركب في عقولهم من دلائل التوحيد والنبوات. اهـ (٤٤٦)

-وقال ابن كثير- رحمه الله:-

{الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق} وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان. اهـ (٤٤٧)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- {لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأيمان والندور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها. اهـ (٤٤٨)

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} (٢١)

إعراب مفردات الآية (٤٤٩)

(الواو) عاطفة (الذين يصلون) مثل الذين يوفون ومعطوف عليه (ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به (أمر) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أمر) ، (أن) حرف مصدرّي ونصب (يوصل) مضارع مبني للمجهول منصوب، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

والمصدر المؤول (أن يوصل) في محل جرّ بدل من الضمير في (به) .

(الواو) عاطفة (يخشون ربهم) مثل ينقضون الميثاق .. و (هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (يخافون سوء) مثل ينقضون الميثاق (الحساب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} (٢١)

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه:

{والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل} من صلة الأرحام، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، وبذلك المعروف، {ويخشون ربهم} أي: فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء

٤٤٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٠٧ / ٩)

٤٤٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤٥٠ / ٤)

٤٤٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٥)

(٤٤٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٢٠)

الحساب في الدار الآخرة. فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية. اهـ (٤٥٠)

-وزاد السعدي بياناً فقال-رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوبتهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولاً وفعلًا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملاً موفراً من الحقوق الدينية والدينية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلاً ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: {وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} أي: يخافونه،

فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به خوفاً من العقاب ورجاء للثواب. اهـ (٤٥١)

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)}

إعراب مفردات الآية (٤٥٢)

واو) عاطفة (الذين) مثل الأول ومعطوف عليه (صبروا) فعل ماضٍ مبني على الضم.. و (الواو) فاعل (ابتغاء) مفعول لأجله منصوب «٤٥٣»، (وجه) مضاف إليه مجرور (رَبِّهِمْ) مضاف إليه مجرور و (هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أقاموا) مثل صبروا (الصلاة) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (أنفقوا) مثل صبروا (من) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (أنفقوا)، (رزقنا) فعل ماضٍ مبني على السكون.

٤٥٠ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٥٠)

٤٥١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٥)

(٤٥٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٢١)

٤٥٣ - أو مصدر في موضع الحال أي مبتغين.

و (نا) فاعل و (هم) ضمير مفعول به (سرًا) مصدر في موضع الحال «٤٥٤»، (علانية) معطوف على (سرًا) بالواو منصوب (يدرءون) مثل يوفون (بالحسنة) جازّ وجرور متعلّق ب (يدرءون) ، (السيئة) مفعول به منصوب (أولئك لهم عقبي الدار) مثل أولئك لهم سوء الحساب «٤٥٥».

روائع البيان والتفسير

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}

- قال السعدي في بيانها إجمالاً ما نصه: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا} على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلّة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر {ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يجس به العبد نفسه، طلباً لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة.

{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهراً وباطناً، {وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} دخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرا وعلانية، {وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله، بل قابلوه بالإحسان إليه.

فيعطون من حرمهم، ويعفون عن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء!؟

{أُولَئِكَ} الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة {لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} فسرهما بقوله: {جَنَاتٍ عَدْنٍ} أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا ييغون عنها حولاً؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات. اهـ (٤٥٦)

وأضاف القرطبي - رحمه الله في بيان قوله تعالى: { وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } أي يدفعون بالعمل لصالح السيئ من الأعمال، قاله ابن عباس. ابن زيد: يدفعون الشر بالخير. سعيد بن جبير: يدفعون المنكر بالمعروف. الضحاك: يدفعون الفحش بالسلام. جوير: يدفعون الظلم بالعفو. ابن شجرة:

٤٥٤ - أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي يسترونه سرًا.

٤٥٥ - في الآية (١٨) من هذه السورة.

٤٥٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٦/)

يدفعون الذنب بالتوبة. القتيبي: يدفعون سفه الجاهل بالحلم، فالسفه السيئة، والحلم الحسنة. وقيل: إذا هموا بسيئة رجعوا عنها واستغفروا. وقيل: يدفعون الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله، فهذه تسعة أقوال، معناها كلها متقارب، والأول يتناولها بالعموم، ونظيره: {إن الحسنات يذهبن السيئات} [هود: ١١٤] ومنه قول عليه السلام لمعاذ: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" (٤٥٧). قوله تعالى: {وأولئك لهم عقي دار {الدار} أي عاقبة الآخرة، وهي الجنة بدل النار، والدار غدا داران: الجنة للمطيع، والنار للعاصي، فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة. وقيل: عني بالدار دار الدنيا، أي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا. اهـ (٤٥٨)

{جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} (٢٣)

إعراب مفردات الآية (٤٥٩)

{جَنَاتٌ} بدل من عقي «٤٦٠» مرفوع (عدن) مضاف إليه مجرور (يدخلون) مثل يوفون و (ها) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (من) اسم موصول مبني في محل رفع معطوف على ضمير الفاعل في (يدخلونها) «٤٦١» (صلح) فعل ماضٍ، والفاعل هو وهو العائد (من آبائهم) جارٌّ ومجرور متعلق بحال من الضمير العائد.. و (هم) مضاف إليه (أزواجهم) معطوف على آبائهم بالواو مجرور فهو مثله، وكذلك (ذريّاتهم) ، (الواو) استئنافية (الملائكة) مبتدأ مرفوع (يدخلون) مثل يوفون (عليهم) مثل لهم متعلق ب (يدخلون) ، (من كلِّ) جارٌّ ومجرور متعلق ب (يدخلون) ، (باب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} - قال ابن كثير في تفسيره ما مختصره: {جَنَاتٌ عَدْنٍ} والعدن: الإقامة، أي: جَنَاتٌ إقامة يخلدون فيها. وقال الضحاك في قوله: {جَنَاتٌ عَدْنٍ} مدينة الجنة، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، والناس حولهم بعد والجَنَاتِ حولها.

٤٥٧ - حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم/ ٩٧

٤٥٨ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣١١ / ٩)

(٤٥٩) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٢١ / ١٣)

٤٦٠ - أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي... أو مبتدأ خبره جملة يدخلونها، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها خصت بالإضافة.

٤٦١ - الذي سوغ العطف من غير تأكيد الضمير بضمير منفصل وجود الفاصل وهو ضمير المفعول.

وقوله: {ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم} أي: يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته، بل امتنانا من الله وإحسانا، كما قال تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين} [الطور: ٢١]. اهـ (٤٦٢)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في بيانها: {جَنَّاتٍ عَدْنٍ} أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات. ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم {يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ} من الذكور والإناث {وَأَزْوَاجِهِمْ} أي الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} يهنئوهم بالسلامة وكرامة الله لهم. اهـ (٤٦٣)

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (٢٤)

إعراب مفردات الآية (٤٦٤)

(سلام) مبتدأ مرفوع «٤٦٥» (عليكم) مثل لهم متعلق بمحذوف خبر (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «٤٦٦» ، (صبرتم) فعل ماض وفاعله. والمصدر المؤول (ما صبرتم) في محلّ جرّ بالباء متعلق بالاستقرار الذي تعلّق به (عليكم) «٤٦٧» ، (الفاء) عاطفة (نعم) فعل ماض جامد لإنشاء المدح (عقبى) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (الدار) مضاف إليه مجرور، والمخصوص بالمدح محذوف أي الجنة، أو عقباهم.

روائع البيان والتفسير

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}

-قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب.

٤٦٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٥١)

٤٦٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٦)

(٤٦٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٢١)

٤٦٥ - الذي سوغ البدء بالكرة كونها دعاء.

٤٦٦ - أو اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة صلة، والعائد محذوف تقديره له، وفي هذا التخرّيج ضعف بسبب التأويل.

٤٦٧ - يجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هذا الثواب بسبب صبركم.

{بِمَا صَبَرْتُمْ} أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، والجنان العالية، {فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ} فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فيعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون. اهـ (٤٦٨)

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)}

إعراب مفردات الآية (٤٦٩)

(الواو) استثنائية (الذين) موصول مبتدأ في محل رفع (ينقضون) مثل (يوفون) ، (عهد) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (من بعد) جارّ ومجرور متعلّق ب (ينقضون) ، (ميثاقه) مضاف إليه مجرور ..

و (الماء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (يقطعون ما ... أن يوصل) مثل يصلون ما ... أن يوصل (الواو) عاطفة (يفسدون) مثل يوفون (في الأرض) جارّ ومجرور متعلّق ب (يفسدون) ، (أولئك لهم اللعنة، ولهم سوء الدار) مثل أولئك لهم عقبي الدار.

روائع البيان والتفسير

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً : هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر مآلهم في الدار الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء {ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض} كما ثبت في الحديث: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" (٤٧٠) وفي رواية: "وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" (٤٧١).

٤٦٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٤١٦ /)

(٤٦٩) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٢٢/١٣)

٤٧٠ - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - برقم / ٣٣ - بابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، ومسلم برقم / ٥٩ - بابُ بَيَانِ حِصَالِ الْمُنَافِقِ

٤٧١ - أخرجه البخاري أيضاً برقم / ٣٤ - من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - وتام متنه " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصَلَةٌ مِّنَ التَّقِيهِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "

ولهذا قال: { أولئك لهم اللعنة } وهي الإبعاد عن الرحمة، { ولهم سوء الدار } وهي سوء العاقبة والمآل، ومأواهم جهنم وبئس القرار.

وقال أبو العالية في قوله: { والذين ينقضون عهد الله } الآية، قال: هي ست خصال في المنافقين إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أحلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض. وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أحلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا. اهـ (٤٧٢)

{ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } (٢٦)

إعراب مفردات الآية (٤٧٣)

(الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (بيسط) مضارع مرفوع، والفاعل هو (الرزق) مفعول به منصوب (اللام) حرف جرّ (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (بيسط) ، (يشاء) مثل يبسط (الواو) عاطفة (يقدر) مثل يبسط (الواو) استئنافية (فرحوا) فعل ماض وفاعله، ويعود إلى الذين ينقضون عهد الله.. (بالحياة) جارّ ومجرور متعلّق ب (فرحوا) ، (الدنيا) نعت للحياة مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) واو الحال (ما) نافية مهمل (الحياة) مبتدأ مرفوع (الدنيا) مثل الأول، مرفوع (في الآخرة) جار ومجرور حال من الحياة الدنيا أي مقيسة في جنب الآخرة.. وفيه حذف مضاف (إلا) أداة حصر (متاع) خبر المبتدأ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: أي: هو وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء ويقدره ويضيقه على من يشاء، { وَفَرِحُوا } أي: الكفار { بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فرحا أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم، { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ } أي: شيء حقير يتمتع به قليلا ويفارق أهله وأصحابه ويعقبهم ويلا طويلا. اهـ (٤٧٤)

-وزاد ابن كثير في بيان قوله تعالى: { وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع } فقال ما مختصره ويتصرف يسير: ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة كما قال: { قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا } [النساء: ٧٧] وقال { بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى } [الأعلى: ١٦، ١٧] .

٤٧٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٥٣)

(٤٧٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ١٢٣)

٤٧٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤١٧/)

وعن المستورد(٤٧٥) أحخي بني فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه في اليم، فلينظر بم ترجع" وأشار بالسبابة. (٤٧٦)

وفي الحديث الآخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت -والأسك الصغير الأذنين - فقال: "والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين ألقوه". (٤٧٧). اهـ(٤٧٨)

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ } (٢٧)

إعراب مفردات الآية (٤٧٩)

(الواو) استئنافية (يقول) مضارع مرفوع (الذين) موصول في محلّ رفع فاعل (كفروا) فعل ماض وفاعله (لولا) حرف تحضيض (أنزل) فعل ماض مبني للمجهول (على) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أنزل) ، (آية) نائب الفاعل مرفوع (من ربّه) جارّ ومجرور نعت لآية «٤٨٠» ..

و (الهاء) مضاف إليه (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (إنّ) حرف توكيد ونصب - ناسخ- (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (يضلّ) مثل يقول، والفاعل هو (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (يشاء) مثل يقول، والفاعل هو أي الله (الواو) عاطفة (يهدي) مثل يقول (إليه) مثل عليه متعلّق ب (يهدي) ، (من) مثل الأول (أناب) فعل ماض، والفاعل هو وهو العائد.

روائع البيان والتفسير

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ }

٤٧٥ - المستورد بن شداد بن عمرو بن حسل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري المكيّ. زيل الكوفة، له ولأبيه صحبة. روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وحديثه في الصحيح والترمذي وغيرهما.

قال محمد بن الربيع الجيزي: له في مسند الصحابة الذين دخلوا مصر: شهد فتح مصر، واختلط بها، ولأهل مصر عنه أحاديث، ولم يرو عنه إلا أهل مصر فيما أعلم، إلا قيس بن أبي حازم، فإن له عنه رواية. قال ابن يونس: توفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين من الهجرة. - نقلا عن الإصابة لابن حجر مختصرا برقم/ ٧٩٤٦

٤٧٦ - انظر صحيح الجامع برقم/ ٧١٠٠

٤٧٧ - أخرج مسلم نحوه برقم/ ٢٩٥٧ عن طريق عبد الله بن مسلمة، وتتمة متنه: "قالوا: ما نُحِبُّ أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: والله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم".

٤٧٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/ ٤٥٣)

(٤٧٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ١٢٤)

٤٨٠ - أو متعلّق بفعل أنزل

- قال السعدي- رحمه الله في تفسيره للآية ما نصه: يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله يتعتنون على رسول الله، ويقترحون ويقولون: {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ} ويزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا فأجابهم الله بقوله: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ} أي: طلب رضوانه، فليست الهداية والضلال بأيديهم حتى يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون، {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون} ولا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها ويقترحونها، بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به من الحق، كفى ذلك وحصل المقصود، وكان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها، فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا فلم يؤمنوا بما لعاجلهم العذاب. اهـ (٤٨١)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله- في تفسيره: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم الإتيان بآية ينزلها عليه ربه، وبين هذا المعنى في مواضع متعددة كقوله {فليأتنا بآية كما أرسل الأولون} [٢١ \ ٥] ، إلى غير ذلك من الآيات، وبين تعالى في موضع آخر أن في القرآن العظيم كفاية عن جميع الآيات، في قوله: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم} [٢٩ \ ٥١] ، وبين في موضع آخر حكمة عدم إنزال آية كناقاة صالح ونحوها، بقوله {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة} الآية [١٧ \ ٥٩]. اهـ (٤٨٢)

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (٢٨)

إعراب مفردات الآية (٤٨٣)

(الذين) موصول في محل نصب بدل من الموصول الثاني (من) - أو عطف بيان «٤٨٤» (آمنوا) مثل كفروا (الواو) عاطفة (تطمئنن) مثل يقول (قلوبهم) فاعل مرفوع.. و (هم) ضمير مضاف إليه (بذكر) جارّ ومجرور متعلق ب (تطمئنن) «٤٨٥» ، (الله) مضاف إليه مجرور (ألا) أداة تنبيه (بذكر الله تطمئنن القلوب) مثل تطمئنن قلوبهم

روائع البيان والتفسير

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }

٤٨١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٧)

٤٨٢ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان(٢ / ٢٤٠)

(٤٨٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٢٤)

٤٨٤ - ويجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هم.

٤٨٥ - أو متعلق بمحذوف حال من قلوبهم.

- {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله} أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيراً؛ ولهذا قال: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} أي: هو حقيق بذلك. -قاله ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره. اهـ (٤٨٦)

- وأضاف ابن القيم- رحمه الله في بيانه لمعني الطمأنينة في قوله تعالى { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } فقال: الطمأنينة: سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه. ومنه الأثر المعروف «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونا إليه. والكذب يوجب اضطرابا وارتيابا. ثم قال- رحمه الله-: وفي «ذكر الله» هاهنا قولان.

أحدهما: أنه ذكر العبد ربّه، فإنه يطمئن إليه قلبه، ويسكن. فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

ثم اختلف أصحاب هذا القول فيه. فمنهم من قال: هذا في الحلف واليمين، إذا حلف المؤمن على شيء سكنت قلوب المؤمنين إليه، واطمأنت. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. ومنهم من قال: بل هو ذكر العبد ربه بينه وبينه، يسكن إليه قلبه، ويطمئن. والقول الثاني: أن ذكر الله هاهنا القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين. فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين.

ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن. فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه. والقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام. فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به. وهذا القول هو المختار. اهـ (٤٨٧)

{الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)}

إعراب مفردات الآية (٤٨٨)

(الذين) موصول مبتدأ (آمَنُوا) فعل ماض وفاعله (الواو) عاطفة (عملوا) مثل آمنوا (الصالحات) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الكسرة (طوبى) مبتدأ مرفوع «٤٨٩»، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف (اللام) حرف جرّ

٤٨٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٥٥)

٤٨٧- تفسير القرآن الكريم. لابن القيم- (ص / ٣٣٧)

(٤٨٨)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٢٦)

٤٨٩- الذي سَوَّغَ الابتداء به وهو نكرة على الظاهر، إمّا كونه علما بعينه وإمّا كون النكرة جاءت على معنى الدعاء كسلام عليك، وويل له.

جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر المبتدأ طوبى (الواو) عاطفة (حسن) معطوف على طوبى مرفوع (مآب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}

-قال السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها. {طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن.

وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة (٤٩٠). اهـ (٤٩١)

-وأضاف ابن كثير-رحمه الله- في بيان قوله تعالي: { طوبى لهم وحسن مآب } ما مختصره وبتصرف: قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: فرح وقرّة عين. وقال عكرمة: نعم ما لهم.

وقال الضحاك: غبطة لهم. وقال إبراهيم النخعي: خير لهم.

وقال قتادة: هي كلمة عربية يقول الرجل: "طوبى لك"، أي: أصبت خيرا. وقال في رواية: {طوبى لهم} حسنى لهم. {وحسن مآب} أي: مرجع. وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: {طوبى لهم} قال: هي أرض الجنة بالحبشية.

وقال سعيد بن مسجوح: طوبى اسم الجنة بالهندية. وكذا روى السدي، عن عكرمة: {طوبى لهم} أي: الجنة. وبه قال مجاهد.

ثم قال- رحمه الله-: وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، ومغيث بن سمى، وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف: أن طوبى شجرة في الجنة، في كل دار منها غصن منها.

وذكر- رحمه الله -أدلة من السنة عن ذلك منها قوله:

٤٩٠ - يشير المصنف لحديث "في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" وسيأتي تخريجه في سياق تفسير

ابن كثير هنا..

٤٩١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٧)

وفي صحيح البخاري، عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله: ﴿وظل ممدود﴾ [الواقعة: ٣٠] قال: "في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها". (٤٩٢). اهـ (٤٩٣)

{ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) }

إعراب مفردات الآية (٤٩٤)

(الكاف) حرف جرّ وتشبيه «٤٩٥»، (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف مفعول مطلق عامله أرسلناك، والإشارة إلى إرسال الرسل، و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (أرسلنا) فعل ماض مبنيّ على السكون.. و (نا) فاعل و (الكاف) ضمير مفعول به (في أمة) جارّ ومجرور متعلّق ب (أرسلناك) أي إلى أمة (قد) حرف تحقيق (خلت) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (التاء) للتأنيث، (من قبلها) جارّ ومجرور متعلّق ب (خلت) .. و (ها) ضمير مضاف إليه (أمم) فاعل خلت مرفوع (اللام) للتعليل (تتلو) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (على) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تتلو)، (الذي) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (أوحينا) مثل أرسلنا (إليك) مثل عليهم متعلّق بفعل أوحينا. والمصدر المؤوّل (أن تتلو..) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (أرسلناك) .

(الواو) واو الحال (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يكفرون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (بالرحمن) جارّ ومجرور متعلّق ب (يكفرون)، (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (هو) مثل هم (ربّي) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (لا) نافية للجنس (إله) اسم لا مبنيّ على الفتح في محلّ نصب.. وخبر لا محذوف تقديره موجود (إلا) أداة استثناء (هو) ضمير منفصل في محلّ رفع بدل من الضمير المستكنّ في الخبر (عليه) مثل عليهم متعلّق ب (توكّلت) فعل ماض وفاعله (الواو) عاطفة (إليه) مثل عليهم متعلّق بخبر مقدّم (متاب) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف..

و (الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه أي متاب.

٤٩٢ - أخرجه البخاري برقم/٤٨٨١- باب قَوْلِهِ: { وَظِلٌّ مَّمْدُودٌ } [الواقعة: ٣٠]

٤٩٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٥٥)

(٤٩٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٢٨)

٤٩٥ - اختلف المفسّرون والمعربون في تعليق الكاف، فقيل هي متعلّقة بالمعنى الذي في قوله:

{ يضلّ من يشاء ويهدي } أي كما هدى الله من أناب كذلك أرسلناك.. وعلّق العكبري الكاف بخبر لمبتدأ مقدّر أي: كذلك الأمر أرسلناك.

{ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ }
- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ } إلى قومك تدعوهم إلى الهدى { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ } أرسلنا فيهم رسلنا، فلست بدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكي النفوس.

والحال أن قومك يكفرون بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه -التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا- بالقبول والشكر بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم. اهـ (٤٩٦)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لقوله: { وهم يكفرون بالرحمن } فقال ما مختصره: أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛ ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا "بسم الله الرحمن الرحيم" وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم. قاله قتادة، والحديث في صحيح البخاري (٤٩٧) وقد قال الله تعالى: { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى } [الإسراء: ١١٠]. اهـ (٤٩٨)

{ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ }

-أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو، { عليه توكلت } أي: في جميع أموري، { وإليه متاب } أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه. قاله ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره. اهـ (٤٩٩)

٤٩٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٧/)

٤٩٧- وأخرجه مسلم أيضا برقم / ١٧٨٤- بَابُ صَلَاحِ الْحَدِيثِ فِي الْحَدِيثِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ-رضي الله عنه- وتمام متنه "أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ : أَكْتُبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا بِسْمِ اللَّهِ ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فَقَالَ : أَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَاتَّبَعْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ تَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِمَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْكُتُبُ هَذَا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا . "

٤٩٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦٠)

٤٩٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦٠)

-وأضاف السعدي- رحمه الله-: {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} وهذا متضمن للتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} في جميع أموري {وَالَيْهِ مَتَاب} أي:

أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي. اهـ (٥٠٠)

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَأَسَّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)}

إعراب مفردات الآية (٥٠١)

(الواو) استثنائية (لو) حرف شرط غير جازم (أَنَّ) حرف توكيد ونصب- ناسخ- (قرآنا) اسم أن منصوب (سيّرت) فعل ماض مبني للمجهول، و (التاء) للتأنيث (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (سيّرت) و (الجبال) نائب الفاعل مرفوع (أو) حرف عطف في الموضعين (قطّعت به الأرض، كلّم به الموتى) مثل سيّرت به الجبال..

وعلامة الرفع في الموتى الضمّة المقدّرة على الألف.

والمصدر المؤوّل (أَنَّ قرآنا ...) في محلّ رفع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت.

(بل) حرف إضراب (لله) جارّ ومجرور متعلّق بخبر مقدّم (الأمر) مبتدأ مؤخّر مرفوع (جميعا) حال منصوبة من الأمر، والعامل فيه معنى الاستقرار (الهمزة) للاستفهام (الفاء) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (بيئس) مضارع مجزوم (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل (آمنوا) فعل ماض وفاعله (أن) مخفّفة من الثقيلة «٥٠٢» ، واسمها ضمير الشأن محذوف (لو) مثل الأولى (يشاء) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (اللام) واقعة في جواب لو (هدى) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف، والفاعل هو (الناس) مفعول به منصوب (جميعا) حال من الناس منصوبة.

والمصدر المؤوّل (أنه) لو يشاء.. في محلّ نصب مفعول به لفعل بيئس بتضمينه معنى يعلم «٥٠٣» .

٥٠٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤١٨/)

(٥٠١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣٠/١٣)

٥٠٢ - هذا قول الجمهور.. واختار أبو حيان أن تكون (أن) زائدة في صدر جملة جواب القسم المقدّر، والتقدير: أقسم أن لو يشاء الله لهدى.

٥٠٣ - وقالوا هي لغة هوازن أو حيّ من النخع بمعنى يعلم.

(الواو) استئنافية (لا) نافية (يزال) مضارع ناقص - ناسخ - (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع اسم لا يزال (كفروا) فعل ماض وفاعله (تصبيهم) مضارع مرفوع.. و (هم) ضمير مفعول به (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «٥٠٤» ، (صنعوا) مثل كفروا (قارعة) فاعل تصبيهم مرفوع (أو) حرف عطف (تحلّ) مثل تصيب، والفاعل: إمّا القارعة وإمّا ضمير الخطاب الموجه إلى الرسول عليه السلام (قريباً) ظرف مكان منصوب متعلّق ب (تحلّ) - وهو صفة لموصوف محذوف أي مكاناً قريباً- (من دارهم) جارّ ومجرور متعلّق ب (قريباً) .. و (هم) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (ما صنعوا) في محلّ جرّ بالباء متعلّق ب (تصيب) .

(حتّى) حرف غاية وجرّ (يأتي) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى (وعد) فاعل مرفوع (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه والمصدر المؤوّل (أن يأتي..) في محلّ جرّ ب (حتّى) ، متعلّق ب (تحلّ) .

(إنّ) حرف توكيد ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (لا) نافية (بخلف) مضارع مرفوع، والفاعل هو (الميعاد) مفعول به منصوب.

روائع البيان والتفسير

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا}

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها مانصه: يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} من الكتب الإلهية {سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} عن أماكنها {أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} جنانا وأهبارا {أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَىٰ} لكان هذا القرآن. {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، فما بال

المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟. اهـ (٥٠٥)

-وزاد أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيانها فقال بعد طرح اقوال أهل التفسير: فتأويل الكلام إذاً: ولو أنّ قرآنًا سوى هذا القرآن كان سيّرت به الجبال، لسيّر بهذا القرآن، أو قُطعت به الأرض لُقطعت بهذا، أو كُتِبَ به الموتى، لكُتِبَ بهذا، ولكن لم يُفعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفعل بهذا {بل لله الأمر جميعاً}، يقول ذلك: كله إليه وبيده، يهدى من يشاء إلى الإيمان فيوقّقه له، ويُضِلُّ من يشاء فيخذله، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله إذ طمِعوا في إجابتي من سأل نبيهم ما سألهم من تسيير الجبال عنهم، وتقريب أرض الشام عليهم، وإحياء موتاهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان به من غير إيجاد آية، ولا إحداث شيء مما سألوا

٥٠٤ - أو اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة بعده صلة، والعائد محذوف أي: بما صنعوه.

٥٠٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤١٨/)

إحداثه؟ يقول تعالى ذكره: فما معنى محبتهم ذلك، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليّ وبيدي، أنزلت آيةً
أو لم أنزلها؛ أهدي من أشياء بغير إنزال آية، وأضلّ من أردت مع إنزالها. اهـ (٥٠٦)

{ أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره: وقوله: { أفلم ينبأ الذين آمنوا } أي: من إيمان جميع الخلق
ويعلموا أو يتبينوا { أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا } فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في
النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبل لرأته خاشعا متصدعا من خشية الله. وثبت في
الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر، وإنما كان
الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" () معناه: أن معجزة كل نبي
انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع
منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله
الله. اهـ (٥٠٧)

{ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في بيانها ما مختصره: يقول تعالى ذكره: { ولا يزال } يا محمد { الذين كفروا }
، من قومك { تصيبهم بما صنعوا } من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك، وإخراجهم لك من بين أظهرهم { قارعة }
، وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم، بالقتل أحيانا، وبالحراب أحيانا، والقحط أحيانا { أو تحل }
أنت يا محمد، يقول: أو تنزل أنت { قريبا من دارهم } بجيشك وأصحابك. اهـ (٥٠٨)

- وأضاف ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الجزئية من الآية ما مختصره: أي: بسبب تكذيبهم، لا تزال
القوارع تصيبهم في الدنيا، أو تصيب من حولهم ليتعضوا ويعتبروا، كما قال تعالى: { ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون } [الأحقاف: ٢٧] وقال { أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها أفهم الغالبون } [الأنبياء: ٤٤] .

قال قتادة، عن الحسن: { أو تحل قريبا من دارهم } أي: القارعة. وهذا هو الظاهر من السياق.

٥٠٦ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٤٥٥)
(٢٠٤١٧ /

٥٠٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦١)

٥٠٨ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٤٥٦)
(٢٠٤١٧ /

وقال العوفي، عن ابن عباس: {تصيبهم بما صنعوا قارعة} قال: عذاب من السماء ينزل عليهم {أو تحل قريباً من دارهم} يعني: نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم.

وكذا قال مجاهد، وقتادة، وقال عكرمة في رواية عنه، عن ابن عباس: {قارعة} أي: نكبة. اهـ (٥٠٩)

{حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ}

- قال القرطبي - رحمه الله - : {حتى يأتي وعد الله} في فتح مكة، قاله مجاهد وقتادة. وقيل: نزلت بمكة، أي تصيبهم القوارع، وتخرج عنهم إلى المدينة يا محمد، فتحل قريباً من دارهم، أو تحل بهم محاصراً لهم، وهذه المحاصرة لأهل الطائف، ولقلاع خيبر، ويأتي وعد الله بالإذن لك في قتالهم وقهرهم. وقال الحسن: وعد الله يوم القيامة. اهـ (٥١٠)

- وأضاف السعدي في تفسيرها إجمالاً: {حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ} الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ} وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم. اهـ (٥١١)

{وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)}

إعراب مفردات الآية (٥١٢)

(الواو) استئنافية (اللام) لام القسم لقسم مقدّر (قد) حرف تحقيق (استهزئ) ماض مبني للمجهول (برسل) جارّ ومجرور نائب الفاعل (من قبلك) جارّ ومجرور متعلّق ب (استهزئ) ... و (الكاف) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (أمليت) فعل ماض وفاعله (اللام) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (أمليت) ، (كفروا) فعل ماض وفاعله (ثمّ) حرف عطف (أخذتهم) مثل أمليت.. و (هم) ضمير مفعول به (الفاء) عاطفة (كيف) اسم استفهام فيه معنى الوعيد والتقرير خبر (كان) الناقص (عقاب) اسم كان مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف، ولفاصلة الآي.. و (الياء) المحذوفة ضمير مضاف إليه.

روائع البيان والتفسير

{وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}

٥٠٩ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦٢)

٥١٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٢١)

٥١١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٨)

(٥١٢) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٣٣)

- قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها : يقول تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: {ولقد استهزئ برسل من قبلك} أي: فلك فيهم أسوة، {فأمليت للذين كفروا} أي: أنظرتهم وأجلت لهم، {ثم أخذتهم} أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟ كما قال تعالى: {وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير} [الحج: ٤٨] وفي الصحيحين: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" (٥١٣)، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢] . اهـ (٥١٤)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيانه لقوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} فقال: كان عقابا شديدا وعذابا أليما، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بإمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك. اهـ (٥١٥)

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلَىٰ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)}

إعراب مفردات الآية (٥١٦)

(الهمزة) للاستفهام الإنكاريّ (الفاء) استئنافية (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، وخبره محذوف تقديره كمن ليس كذلك..
(هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (قائم) خبر مرفوع (على كلّ) جارّ ومجرور متعلّق ب (قائم) (نفس) مضاف إليه مجرور (بما كسبت) مثل بما صنعوا «٥١٧» ، والفاعل هي عائد على النفس (الواو) استئنافية «٥١٨» ، (جعلوا) مثل كفروا «٥١٩» ، (الله) جارّ ومجرور متعلّق بحال من (شركاء) وهو مفعول به منصوب قل فعل أمر والفاعل أنت (سموهم) فعل أمر مبني على حذف النون..

٥١٣ - أخرجه البخاري برقم /٤٦٨٦- بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢]

٥١٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ /٤٦٢)

٥١٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤١٨)
(٥١٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ /١٣٤)

٥١٧ - في الآية (٣١) من هذه السورة.

٥١٨ - أو حاليّة، والجملة بعدها في محلّ نصب حال.

٥١٩ - في الآية السابقة (٣٢) .

و (الواو) فاعل، و (هم) ضمير مفعول به (أم) هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة (تنبئون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل، و (الهاء) ضمير مفعول به (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (تنبئون) ، (لا) حرف نافية (يعلم) مضارع مرفوع، والفاعل هو، وهو العائد (في الأرض) جار ومجرور متعلّق بمحذوف مفعول به ثان لفعل يعلم «٥٢٠» ، (أم) مثل الأول (بظاهر) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف تقديره تسموئهم (من القول) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (ظاهر) ، (بل) للإضراب (زَيْن) فعل ماض مبنيّ للمجهول (للذين كفروا) مَرّ إعرابها «٥٢١» ، والجار متعلّق ب (زَيْن) ، (مكرهم) نائب الفاعل مرفوع.. و (هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (صدّوا) فعل ماض مبنيّ للمجهول، مبنيّ على الضمّ.. و (الواو) نائب فاعل. (عن السبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (صدّوا) ، (الواو) استثنائية (من) اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ نصب مفعول به مقدّم (يضلل) مضارع مجزوم فعل الشرط وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (الله) فاعل مرفوع (الفاء) رابطة لجواب الشرط (ما) نافية (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (من) حرف جرّ زائد (هاد) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر، أو هو اسم ما العاملة عمل ليس مؤخر، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على آخره لأنه اسم منقوص، وحذفت الياء لمناسبة التنوين.

روائع البيان والتفسير

{ أَفْمَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ }

- قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لهذه الجزئية من الآية: قول تعالى: { أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت } أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، { وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } [يونس: ٦١] وقال تعالى: { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } [الأنعام: ٥٩] وقال { وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } [هود: ٦] وقال { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار } [الرعد: ١٠] وقال { يعلم السر وأخفى } [طه: ٧] وقال { وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير } [الحديد: ٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: { وجعلوا لله شركاء } أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

٥٢٠ - والمفعول الأول محذوف أي لا يعلمه موجودا في الأرض.

٥٢١ - في الآية السابقة (٣٢) .

{قل سموهم} أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: {أم تبعونه بما لا يعلم في الأرض} أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية. {أم بظاهر من القول} قال مجاهد: بظن من القول. وقال الضحاك وقتادة: باطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، {إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى} [النجم: ٢٣]. اهـ (٥٢٢)

{ بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله {وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ} أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، {وَمَن يُضِلِّ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ} لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ} من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، {وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ} يقيهم من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه. اهـ (٥٢٣)

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ (٣٤)}

إعراب مفردات الآية (٥٢٤)

(لهم عذاب) مثل إليه متاب «٥٢٥»، (في الحياة الدنيا) مرّ إعرابها «٥٢٦»، والجارّ متعلّق بنعت لعذاب (الواو) عاطفة (اللام) للابتداء تفيد التوكيد (عذاب) مبتدأ مرفوع (الآخرة) مضاف إليه مجرور (أشق) خبر مرفوع.

٥٢٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/ ٤٦٣)

٥٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤١٨/)

(٥٢٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٣٨)

٥٢٥ - في الآية (٣٠) من هذه السورة.

٥٢٦ - في الآية (٢٦) من هذه السورة.

(الواو) عاطفة (ما لهم من واق) مثل ماله من هاد «٥٢٧» ، (من الله) جارّ ومجرور متعلق ب (واق)
«٥٢٨» .

روائع البيان والتفسير

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ }

-قال القرطبي- رحمه الله-: {لهم عذاب في الحياة الدنيا} أي للمشركين الصادين، بالقتل والسبي والإسار، وغير ذلك من الأسقام والمصائب. {ولعذاب الآخرة أشق} أي أشد، من قولك: شق علي كذا يشق. اهـ. (٥٢٩)

-وأضاف أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيانها : وقوله: {وما لهم من الله من واق} ، يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء الكفار من أحدٍ يقبهم من عذاب الله إذا عذبهم، لا حَمِيمٌ ولا وليٌّ ولا نصيرٌ، لأنه جل جلاله لا يعاذه أحدٌ فيقهره، فيتخلّصه من عذابه بالقهر، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه. اهـ. (٥٣٠)

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)}

إعراب مفردات الآية (٥٣١)

(مثل) مبتدأ مرفوع (الجنة) مضاف إليه مجرور.. والخبر محذوف تقديره كائن في ما نقصه أو نتلوه (التي) اسم موصول مبني في محلّ جرّ نعت للجنة (وعد) فعل ماض مبني للمجهول (المتقون) نائب الفاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو، والعائد محذوف أي وعد بها (تجري) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء (من تحتها) جارّ ومجرور متعلّق ب (تجري) «٥٣٢».. و (ها) ضمير مضاف إليه مجرور (الأنهار) فاعل مرفوع (أكلها) مبتدأ مرفوع.. و (ها)

٥٢٧ - في الآية (٣٣) السابقة.

٥٢٨ - أو متعلّق بالخبر المتقدّم.

٥٢٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٤ / ٩)

٥٣٠ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر : مؤسسة الرسالة (١٦ / ٤٦٨)

(٢٠٤٥٣ /

(٥٣١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٣٩)

٥٣٢ - أو محذوف حال من الأنهار.

مثل الأخير (دائم) خبر مرفوع (الواو) عاطفة (ظَلَّهَا) معطوف على أكلها «٥٣٣» ، (تلك) اسم إشارة مبني على السكون الظاهر على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب، والإشارة إلى الجنة (عقبى) خبر مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف (الذين) موصول في محل جر مضاف إليه (اتَّقُوا) فعل ماض مبني على الضم المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و (الواو) فاعل (الواو) عاطفة (عقبى) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع كالأول (الكافرين) مضاف إليه مجرور، وعلامة الجرّ الياء (النار) خبر مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره ما نصه: يقول تعالى: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ } الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } أنهار العسل، وأنهار الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أهدود، فتسقى تلك البساتين والأشجار فتحمل من

جميع أنواع الثمار. اهـ (٥٣٤)

{ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الجزئية من الآية ما مختصره: قوله: { أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا } أي: فيها المطاعم والفواكه والمشارب، لا انقطاع لها ولا فناء.

وفي الصحيحين، من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف، وفيه قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكت فقال: "إني رأيت الجنة - أو: رأيت الجنة - فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا". (٥٣٥)

وأضاف - رحمه الله -

وقد قال تعالى: { وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة } [الواقعة: ٣٢، ٣٣] وقال { ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً } [الإنسان: ١٤] .

٥٣٣ - أو هو مبتدأ، والخبر محذوف، والعطف من عطف الجمل.

٥٣٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٩ /)

٥٣٥ - أخرجه البخاري رقم / ٧٤٨ - بَابُ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ وَاللَّفْظُ لَهُ. ومسلم برقم / ٩٠٧ - بَابُ مَا عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بزيادة في متنه وقامه " .. وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ»، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِ الْعَشِيرِ، وَبِكُفْرِ الْإِحْسَانِ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِخْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ".

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا} [النساء: ٥٧].
وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة، يسير الراكب المجد الجواد المضمهر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها" (٥٣٦)، ثم قرأ: {وظل ممدود} [الواقعة: ٣٠]

وكثيرا ما يقرب الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذر من النار؛ ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر، قال بعده: {تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار} كما قال تعالى: {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون} [الحشر: ٢٠]. اهـ (٥٣٧)
-وأضاف السعدي- رحمه الله-: {تلك عقبى الَّذِينَ اتَّقَوْا} أي: عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون، {وَعَقِبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ} فكم بين الفريقين من الفرق المبين!!؟ اهـ (٥٣٨)

{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مآبِ (٣٦)}

إعراب مفردات الآية (٥٣٩)

(الواو) استثنائية (الذين) موصول في محل رفع مبتدأ (آتيناهم) فعل ماض مبني على السكون.. و (نا) فاعل، و (هم) ضمير مفعول به (الكتاب) مفعول به ثان منصوب (يفرحون) مضارع مرفوع..
و (الواو) فاعل (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبني في محل جرّ متعلق ب (يفرحون) ، (أنزل) فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وهو العائد (إلى) حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أنزل) ، (الواو) عاطفة (من الأحزاب) جارّ ومجرور متعلق بخبر مقدّم (من) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر (ينكر) مضارع مرفوع، والفاعل هو وهو العائد (بعضه) مفعول به منصوب.. و (الهاء) مضاف إليه (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (إنما) كآفة ومكفوفة (أمرت) مثل أنزل.. و (التاء) نائب الفاعل (أن) حرف مصدرّي (أعبد) مضارع منصوب، والفاعل أنا (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (لا) نافية (أشرك) مثل أعبد ومعطوف عليه (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أشرك) .

٥٣٦ - سبق تخرجه

٥٣٧ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦٥)

٥٣٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤١٩)

(٥٣٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٤١)

والمصدر المؤول (أن أعبد..) في محل نصب مفعول به عامله أمرت.
 (إليه) مثل به متعلق ب (أدعو) وهو مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الواو (الواو) عاطفة
 (إليه) مثل به متعلق بخبر مقدم (مآب)
 مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف.. و (الياء) المحذوفة ضمير
 مضاف إليه.

روائع البيان والتفسير

{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ
 وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مآبٍ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيره: لقوله تعالى: {والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك} أي
 بعض من أوتي الكتاب يفرح بالقرآن، كابن سلام وسلمان، والذين جاءوا من الحبشة، فاللفظ عام، والمراد
 الخصوص. وقال قتادة: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بنور القرآن، وقاله مجاهد وابن زيد.
 وعن مجاهد أيضا أنهم مؤمنو أهل الكتاب. وقيل: هم جماعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى يفرحون بنزول
 القرآن لتصديقه كتبهم. اهـ (٥٤٠)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها إجمالاً فقال: يقول تعالى: {والذين آتيناهم الكتاب} وهم قائلون
 بمقتضاه {يفرحون بما أنزل إليك} أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما
 قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون}
 [البقرة: ١٢١] وقال تعالى: {قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون
 للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا} [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي: إن كان ما
 وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لحقا وصدقا مفعولا لا محالة، وكائنات، فسبحانه ما
 أصدق وعده، فله الحمد وحده، {ويخرون للأذقان ليكون ويزيدهم خشوعا} [الإسراء: ١٠٩].
 وقوله: {ومن الأحزاب من ينكر بعضه} أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك.
 وقال مجاهد: {ومن الأحزاب} اليهود والنصارى، من ينكر بعضه ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد
 الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا
 يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب} [آل عمران: ١٩٩].

{ قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به { أي: إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي، { إليه أَدْعُو } أي: إلى سبيله أَدْعُو الناس، { وإليه مآب } أي: مرجعي ومصيري. اهـ (٥٤١)

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ { (٣٧)

إعراب مفردات الآية (٥٤٢)

(الواو) استثنائية (كذلك أنزلناه) مثل كذلك أرسلناك «٥٤٣» ، (حكما) حال منصوبة من الضمير الغائب الغائب أي حاكما (عربياً) نعت ل (حكما) منصوب «٥٤٤» ، (الواو) استثنائية، (اللام) موطئة للقسم (إن) حرف شرط جازم (اتَّبَعْتَ) فعل ماضٍ مبني على السكون في محلِّ جزم فعل الشرط.. و (التاء) فاعل (أهواءهم) مفعول به منصوب.. و (هم) ضمير مضاف إليه (بعد) ظرف زمان منصوب متعلق ب (اتَّبَعْتَ) ، (ما) اسم موصول مبني في محلِّ جرِّ مضاف إليه (جاءك) فعل ماضٍ.. و (الكاف) مفعول به، والفاعل هو وهو العائد (من العلم) جارٌّ ومجرور حال من العائد (مالك) مالِك... ولا واق) مرَّ إعراب نظيرها «٥٤٥» ، و (لا) زائدة لتأكيد النفي (واق) معطوف على وليّ يأخذ إعرابه.

روائع البيان والتفسير

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ {
- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا توعد رسوله -مع أنه معصوم- ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ { البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، { مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ { يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، { وَلَا وَاقٍ { يقيك من الأمر المكروه. اهـ (٥٤٦)

٥٤١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٦٧)

(٥٤٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٤٤٣)

٥٤٣ - في الآية (٣٠) من هذه السورة.

٥٤٤ - أو حال ثانية منصوبة- الجمل في حاشيته-

٥٤٥ - في الآية (٣٣) من هذه السورة.

٥٤٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٩)

-وأضاف ابن كثير- في بيان قوله تعالى { ما لك من الله من ولي ولا واق } فقال: أي: من الله تعالى. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة الحمديّة، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام. اهـ (٥٤٧)

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) }

إعراب مفردات الآية (٥٤٨)

(الواو) استثنائية (اللام) لام القسم لقسم مقدّر (قد) حرف تحقيق (أرسلنا) فعل ماضٍ وفاعله (رسلاً) مفعول به منصوب (من قبلك) جارٌّ ومجرور متعلّق بـ (أرسلنا) ، و (الكاف) مضاف إليه (الواو) عاطفة (جعلنا) مثل أرسلنا (اللام) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـ (جعلنا) «٥٤٩» ، (أزواجاً) مفعول به منصوب (ذريّة) معطوف على (أزواجاً) بالواو منصوب (الواو) عاطفة (ما) نافية (كان) فعل ماضٍ ناقص - ناسخ- (لرسول) جارٌّ ومجرور خبر كان (أن يأتي) مثل أن أعبد «٥٥٠» ، (بآية) جارٌّ ومجرور متعلّق بـ (يأتي) ، (إلا) استثناء (يأذن) جارٌّ ومجرور متعلّق بمحذوف مستثنى من أعمّ الأحوال (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

والمصدر المؤوّل (أن يأتي..) في محلّ رفع اسم كان.

(لكلّ) جارٌّ ومجرور متعلّق بخبر مقدّم (أجل) مضاف إليه مجرور (كتاب) مبتدأ مؤخّر مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيره للآية إجمالاً ما نصه: أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك، { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً } فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلا شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك

٥٤٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٦٧)

(٥٤٨)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٤٤)

٥٤٩ - أو متعلّق بمحذوف مفعول به ثانٍ لـ (جعلنا)

٥٥٠ - في الآية (٣٦) من هذه السورة.

كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء. اهـ (٥٥١)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانه لقوله تعالى:

{ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } ما نصه: أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله، عز وجل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

{ لكل أجل كتاب } أي: لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، { ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير } [الحج: ٧٠].

وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: { لكل أجل كتاب } أي: لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يحو ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها

بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه. اهـ (٥٥٢)

{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) }

إعراب مفردات الآية (٥٥٣)

(يمحو) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الواو (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به (يشاء) مضارع مرفوع، والفاعل هو (الواو) عاطفة (يثبت) مثل يشاء (الواو) عاطفة (عنده) ظرف منصوب متعلق بمحذوف خبر مقدم..

و (الهاء) مضاف إليه (أم) مبتدأ مؤخر مرفوع (الكتاب) مضاف إليه.

روائع البيان والتفسير

{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }

-قال ابن كثير- رحمه الله في تفسيره ما مختصره وبتصرف: وقوله: { يمحوا الله ما يشاء ويثبت } اختلف المفسرون في ذلك عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت. وفي رواية: { يمحوا الله ما يشاء ويثبت } قال: كل شيء إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما.

وقال مجاهد: { يمحوا الله ما يشاء ويثبت } إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

٥٥١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٩)

٥٥٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٦٨)

(٥٥٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٤٥)

وقال منصور: سألت مجاهدا فقلت: رأيت دعاء أحدنا يقول: اللهم، إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان في الأشقياء فاحمه عنهم واجعله في السعداء. فقال: حسن. ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر، فسألته عن ذلك، فقال: {إننا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم} [الدخان: ٣، ٤] قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابت لا يغير.

ثم قال- رحمه الله-: عن ابن مسعود أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضا. وقال ابن جرير: أن كعبا قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنباتك بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}

ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء. اهـ (٥٥٤) -وزاد السعدي- رحمه الله -بيانا في تفسيرها فقال ما نصه: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ { من الأقدار } وَيُثَبِّتُ { ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: { وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم واللييلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب

قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. اهـ (٥٥٥)

{ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) }

إعراب مفردات الآية (٥٥٦)

(الواو) استئنافية (إن) حرف شرط جازم أدغم مع ما و (ما) زائدة (نريد) مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، و (النون) للتوكيد و (الكاف) ضمير مفعول به، والفاعل نحن للتعظيم (بعض) مفعول به ثان منصوب (الذي) اسم موصول مبني في محل جر مضاف إليه (نعدهم) مضارع مرفوع.. و (هم) ضمير مفعول به، والفاعل نحن للتعظيم (أو) حرف عطف (نتوفيتك) مثل نريدك ومعطوف عليه (الفاء) تعليلية (إنما) كافة ومكفوفة (على)

٥٥٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٦٩)

٥٥٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤١٩/ ٤)

(٥٥٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٤٦)

حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (البلاغ) مبتدأ مؤخّر مرفوع (الواو) عاطفة (علينا الحساب) مثل عليك البلاغ.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها: قول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعجل عليهم بإصابتهم ما يوعدون به من العذاب، فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به، {إِنَّمَا نُرِيَنَّكَ} إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، {أو نتوفينك} قبل إصابتهم فليس ذلك شغلا لك {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} والتبيين للخلق.

{ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونثيبهم أو نعاقبهم. اهـ (٥٥٧)
- وأضاف ابن كثير - رحمه الله في بيان قوله تعالى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} فقال: أي: إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد بلغت ما أمرت به، {وعلينا الحساب} أي: حسابهم وجزاؤهم، كما قال تعالى: {فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم} [الغاشية: ٢١ - ٢٦]. اهـ (٥٥٨)

{ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) }

إعراب مفردات الآية (٥٥٩)

(الهمزة) للاستفهام الإنكاري (الواو) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (يروا) مضارع مجزوم، وعلامة الجزم حذف النون.. و (الواو) فاعل (أتا) حرف توكيد ونصب.. و (نا) اسم أن (نأتي) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء والفاعل نحن للتعظيم (الأرض) مفعول به منصوب (ننقضها) مثل نأتي.. و (ها) مفعول به (من أطرافها) جارّ ومجرور متعلّق ب (ننقضها) ، و (ها) ضمير مضاف إليه (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (يحكم) مضارع مرفوع، والفاعل هو (لا) نافية للجنس (معقّب) اسم لا مبنيّ على الفتح في محلّ نصب (لحكمه) جارّ ومجرور متعلّق بخبر لا..
و (الماء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (سريع) خبر مرفوع (الحساب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

٥٥٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤١٩)

٥٥٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٧٢)

(٥٥٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٤٧)

{أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }

- قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله: وقوله: {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال في رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب، حتى يكون العمران في ناحية؟

وقال مجاهد وعكرمة: {ننقصها من أطرافها} قال: خرابها. وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين. وقال العوفي عن ابن عباس: نقصان أهلها وبركتها. وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض.

وقال الشعبي: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك، ولكن تنقص الأنفس والثمرات. وكذا قال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكانا تقعد فيه، ولكن هو الموت.

وقال ابن عباس في رواية: خرابها بموت فقهاءها وعلمائها وأهل الخير منها. وكذا قال مجاهد أيضا: هو موت العلماء.

ثم قال - رحمه الله - مرجحا بين الأقوال: والقول الأول أولى، وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية، وكفرا بعد كفر، كما قال تعالى: {ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى} [الأحقاف: ٢٧] الآية، وهذا اختيار ابن جرير، رحمه الله. اهـ (٥٦٠)

-وأضاف أبو جعفر الطبري - رحمه الله -: وأما قوله: {والله يحكم لا معقب لحكمه} ، يقول: والله هو الذي يحكم فينقض حكمه، ويفضي فيمضي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حُكَّم الله وقضاؤه لم يستطيعوا رده. ويعني بقوله: {لا معقب لحكمه} : لا راد لحكمه، "والمعقب"، في كلام العرب، هو الذي يكرُّ على الشيء.

وقوله: {وهو سريع الحساب}، يقول: والله سريع الحساب يُحْصِي أعمال هؤلاء المشركين، لا يخفى عليه شيء، وهو من وراء جزائهم عليها. اهـ (٥٦١)

{وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ }

{ (٤٢) }

إعراب مفردات الآية (٥٦٢)

٥٦٠ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٧٢)

٥٦١ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٤٩٨ / ٢٠٥٣٤/)

(٥٦٢) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٤٩)

(الواو) استثنائية (قد) حرف تحقيق (مكر) فعل ماض (الذين) موصول في محل رفع فاعل (من قبلهم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول ... و (هم) مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (الله) جارّ ومجرور متعلّق بخبر مقدّم (المكر) مبتدأ مرفوع (جميعاً) حال منصوبة (يعلم) مضارع مرفوع، والفاعل هو (ما) حرف مصدريّ «٥٦٣» (تكسب) مثل يعلم (كلّ) فاعل مرفوع (نفس) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (السين) حرف استقبال (يعلم) مثل الأول (الكفّار) فاعل مرفوع (اللام) حرف جرّ (من) اسم استفهام مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (عقبي) مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (الدار) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في بيانها إجمالاً: يقول: { وقد مكر الذين من قبلهم } برسلمهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: { وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين } [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى: { ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا } الآية [النمل: ٥٠ - ٥٢] .

وقوله: { يعلم ما تكسب كل نفس } أي: إنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر، وسيجزى كل عامل بعمله. { وسيعلم الكافر } وقرئ: { الكفار } { لمن عقبي الدار } أي: لمن تكون الدائرة والعاقبة، لهم أو لأتباع الرسل؟ كلا بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، والله الحمد والمنة. اهـ (٥٦٤)

- وأضاف السعدي في بيانه لقوله تعالى { يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ } ما نصه: فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله { يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ } أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة.

والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكراً يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئاً، { وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ } أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأعماله. اهـ (٥٦٥)

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) }

٥٦٣ - أو اسم موصول في محلّ نصب مفعول به، والجملة بعده صلة له، والعائد محذوف اي تكسبه.

٥٦٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٧٣)

٥٦٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٠)

(الواو) استئنافية (يقول) مضارع مرفوع (الذين) موصول في محل رفع فاعل (كفروا) فعل ماض وفاعله (لست) فعل ماض ناقص جامد مبني على السكون.. و (التاء) اسم ليس (مرسلا) خبر منصوب (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (كفى) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف (الباء) حرف جر زائد (الله) لفظ الجلالة مجرور لفظا مرفوع محلا فاعل كفى (شهيدا) تمييز منصوب «٥٦٧»، (بيني) ظرف منصوب متعلق ب (شهيدا)، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء.. و (الياء) ضمير في محل جر مضاف إليه (الواو) عاطفة (بينكم) مثل الأول ومعطوف عليه (الواو) عاطفة (من) اسم موصول مبني في محل رفع معطوف على محل لفظ الجلالة (عنده) ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف خبر مقدم.. و (الهاء) مضاف إليه (علم) مبتدأ مؤخر مرفوع (الكتاب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }

- قال ابن كثير - رحمه الله- في بيانها ما مختصره : يقول: ويكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: { لست مرسلا } أي: ما أرسلك الله، { قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم } أي: حسي الله، وهو الشاهد علي وعليكم، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان. اهـ (٥٦٨)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: { كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فيما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته.

وأما فعله فلأن الله تعالى أيد رسوله ونصره نصرا خارجا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد.

وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط وحل له ماله ودمه والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله بالعقوبة.

{ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتباع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

(٥٦٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥٠)

٥٦٧ - أو حال منصوبة.

٥٦٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/٤٧٣)

وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأمة من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم والله أعلم. اهـ (٥٦٩)

- وذكر الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره للآية فائدة جلية قال : الظاهر أن قوله { ومن عنده علم الكتاب { عطف على لفظ الجلالة وأن المراد به أهل العلم بالتوراة والإنجيل، ويدل له قوله تعالى : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم } ، وقوله : { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك } الآية [١٦ \ ٤٣] ، وقوله : { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } الآية [١٦ \ ٤٣] ، إلى غير ذلك من الآيات. اهـ (٥٧٠)

فوائد وأحكام سورة الرعد

سورة الرعد شملت علي بعض الاحكام والفوائد وبينت طبيعة الدعوة إلى الله تعالي وحقيقة التوحيد ونذكر هنا بعضاً من أحكامها وفوائدها علي سبيل المثال لا الحصر وحسب ترتيبها في السورة والله المستعان وعليه التكلان.

- من ذلك قوله تعالي { وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) }
- من فوائد هذه الآية الكريمة التدليل علي عظمة الله ووحدانيتها ففي قوله تعالي (وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) استشهد بها ابن القيم مع غيرها من الآيات - رحمه الله - علي ابداع الخالق وعظمته فقال ما مختصره: فَأَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ هَامِدَةٌ خَاشِعَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَزَتْ فَتَحْرَكَتْ وَرَبَتْ فَارْتَفَعَتْ وَاحْضَرَتْ وَانْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ فَاخْرَجَتْ عَجَائِبَ النَّبَاتِ فِي الْمَنْظَرِ وَالْمَخْبِرِ بِهَيْجٍ لِلنَّاطِرِينَ كَرِيمٍ لِلْمُتَنَوِّلِينَ فَأَخْرَجَتْ الْأَقْوَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَبَايُنِ مَقَادِيرِهَا وَاشْكَالِهَا وَالْوَالِئِهَا وَمَنَافِعِهَا وَالْفَوَاكِهَ وَالنِّمَارَ وَأَنْوَاعَ الْأَدْوِيَةِ وَمَرَاعِي الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ ثُمَّ أَنْظُرُ قِطْعَهَا الْمُتَجَاوِرَاتِ وَكَيْفَ يَنْزِلُ عَلَيْهَا مَاءٌ وَاحِدًا فَتَنْبِتُ الْأَزْوَاجَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَبَايِنَةَ فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ وَالرَّائِحَةِ وَالطَّعْمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَاللَّقَاحِ وَاحِدٍ وَالْأَمِّ وَاحِدَةً. اهـ (٥٧١)

٥٦٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٠)

٥٧٠ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٤٠)

٥٧١ - انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت (١ / ٢٠٠)

-وكذلك ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في التبيان في أقسام القرآن قال ما مختصره: فانظر إلى الماء والأرض كيف لما أراد الرب تعالى امتزاجهما وازدواجهما أنشأ الرياح فحركت الماء وساقته إلى أن قذفته في عمق الأرض ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية وحصل بها الإنبات ثم أنشأ لها حرارة أخرى أقوى منها حصل بها الانفتاح وكانت حالته الأولى تضعف عن الحرارة الثانية فادخرت إلى وقت قوته وصلابته فحرارة الربيع للإخراج وحرارة الصيف للإنضاج هذا وإن الأم واحدة والأب واحد واللقاح واحد. اهـ (٥٧٢)

-ومن احكام هذه الآية ما ذهب إليه الجصاص -رحمه الله- وغيره من اثبات ربوبية ووحدانية الله تعالى فقال: قال ابن عباس والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة النخلات أصلها واحد قوله تعالى { يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل } فيه أوضح دلالة على بطلان مذهب أصحاب الطبائع لأنه لو كان حدوث ما يحدث من الثمار بطبع الأرض والهواء والماء لوجب أن يتفق ما يحدث من ذلك لاتفاق ما يوجب حدوثه إذ كانت الطبيعة الواحدة توجب عندهم اتفاق ما يحدث منها ولا يجوز أن توجب فعلين مختلفين متضادين فلو كان حدوث هذه الأشياء المختلفة الألوان والطعوم والأرييح والأشكال من إيجاب الطبيعة لاستحال اختلافها وتضادها مع اتفاق الموجب لها فثبت أن المحدث لها قادر مختار حكيم قد أحدثها على اختلافها على علم منه بما وهو الله تعالى. اهـ (٥٧٣)

-ومن ذلك قوله تعالى { اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } (٨)

-قال ابن العربي -رحمه الله-: قوله: { الله يعلم ما تحمل كل أنثى } [الرعد: ٨] تمدح من الله سبحانه بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق؛ فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد. وأهل الطب يقولون: إذا ظهر النفخ في ثدي الحامل الأيمن فالحمل ذكر، وإن ظهر في الثدي الأيسر فالحمل أنثى، وإذا كان الثقل للمرأة في الجانب الأيمن فالحمل ذكر، وإن وجدت الثقل في الجانب الأيسر فالولد أنثى؛ فإن قطعوا بذلك فهو كفر، وإن قالوا: إنها تجربة وجدناها تركوا وما هم عليه، ولم يقدر ذلك في التمدح؛ فإن العادة يجوز انكسارها والعلم لا يجوز تبدله.

قوله: { وما تغيض الأرحام وما تزداد } [الرعد: ٨] وقد تباين الناس فيها فرقا، أظهرها تسعة أقوال: الأول: ما تغيض الأرحام من تسعة أشهر وما تزيد عليها، كقوله: { مخلقة وغير مخلقة } [الحج: ٥] قاله الحسن. الثاني: ما تغيض الأرحام: ما تسقط، وما تزداد، يعني عليه إلى التسعة؛ قاله قتادة.

٥٧٢ -انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم -الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان(ص/٣٠٠)

٥٧٣ -انظر أحكام القرآن للجصاص - (٣٩٧/٤)

الثالث: إذا حاضت الحامل نقص الولد فذلك غيضه، وإذا لم تحض ثم فتلك على النقصان؛ قاله مجاهد وسعيد بن جبير.

الرابع: ما تغيض الأرحام فتلك لستة أشهر، وما تزداد فتلك لعامين؛ قالته عائشة.
الخامس: ما تزداد لثلاثة أعوام؛ قاله الليث.

السادس: ما تزداد إلى أربع سنين قاله الشافعي ومالك في إحدى روايته.
السابع: قال مالك في مشهور قوله: إلى خمس سنين.
الثامن: إلى ست سنين، وسبع سنين؛ قاله الزهري.

التاسع: لا حد له، ولو زاد على العشرة الأعوام، وأكثر منها؛ قاله مالك في الرواية الثالثة. اهـ (٥٧٤)
-وقال الكيا الهراسي- رحمه الله- في احكامه: قوله تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) ، الآية/ ٨.

قال قائلون: فيه دلالة على ظهور الحيض في أيام الحمل، وهو المراد بقوله:
(وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) ، فلا جرم قال قائلون: إن الحامل تحيض، تعلقا بهذا الظاهر.
وقال بعضهم: لا تحيض.

وقال آخرون: المراد به السقط، فإنه من غيض الأرحام حقيقة.
وقال بعضهم: هو نقصان مدة الحمل، حتى يقابله قوله: (وَمَا تَزْدَادُ) ، يعني في مدة الوضع، فجعلوا الغيض في ستة أشهر، وما تزداد: ما يزيد على ذلك.

ويحتمل أن يكون معناه أن الله تعالى يعلم حمل كل أنثى، ويعلم ما تغيض الأرحام، وفي الدم والحيض في غير حال الحمل، وما تزداد بعد غيضا من ذلك، حتى يجتمع في رحمها الدم، وذلك لا يعلمه إلا الله تعالى، فعلى هذا لا يدل ظاهر الآية على أن الحامل تحيض، إلا أن يقال إنه عام، فإذا بين الله تعالى في الأرحام أنها تغيض بالدم، فيجب أن يكون حيضا، لأن الحيض هو الذي تساقط عن الرحم، والاستحاضة دم عرق لا من الرحم اهـ (٥٧٥)

-وأضاف ابن العربي- رحمه الله- في احكامه ما مختصره: فإن قيل: إن الحامل لا تحيض، وهو قول جماعة منهم أبو حنيفة؛ لأن تماسك الحيض علامة على شغل الرحم، واسترساله علامة على براءة الرحم؛ فمحال أن يجتمع مع الشغل؛ لأنه ما كان يكون دليلا على البراءة لو اجتمعا، ومعنى قوله: الله يعلم ما تحمل كل

٥٧٤ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٨٠/٣)

٥٧٥ -انظر أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢٣٥/٤)- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد: وما تغيض الأرحام في الدم والحيض في غير حال الحمل، وما تزداد بعد غيضا من ذلك، حتى يجتمع في الرحم.

فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن الدم علامة على براءة الرحم من حيث الظاهر لا من حيث القطع؛ فجاز أن يجتمعا، بخلاف وضع الحمل فإنه براءة للرحم قطعاً، فلا يجوز أن يجتمع مع الشغل. الثاني: أن قوله في تفسير ما تغيض الأرحام في غير حال الحمل وما تزداد بعد غيضا حتى يجتمع في الرحم. فإننا نقول: إن الآية عامة في كل غيض وازدياد وسيلان وتوقف، وإذا سال الدم على عادته بصفته ما الذي يمنع من حكمه؟ ولا جواب لهم عن هذا. اهـ (٥٧٦)

-ومن فوائد الآية ما ذكره ابن القيم: وَالتَّحْقِيقُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ يَعْلَمُ مُدَّةَ الْحَمْلِ وَمَا يَعْرُضُ فِيهَا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصَانِ فَهُوَ الْعَالَمُ بِذَلِكَ دُونَكُمْ كَمَا هُوَ الْعَالَمُ بِمَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَى هَلْ هُوَ ذَكَرٌ أَوْ أَنْثَى وَهَذَا أَحَدُ أَنْوَاعِ الْعَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحِ الْعَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَى تَجِيءُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِّ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَجِيءُ الْعَيْثُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُتَنَقِّدُ بِعِلْمِ مَا فِي الرَّحِمِ وَعِلْمِ وَقْتِ إِقَامَتِهِ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ مِنْ بَدَنِهِ وَمَا يَنْقُصُ وَمَا عَدَا هَذَا الْقَوْلَ فَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ وَلِوِازِمِهِ كَالسَّقَطِ وَالتَّامِ وَرُؤْيَةِ الدَّمِّ وَانْقِطَاعِهِ وَالتَّمَقُّودِ ذَكَرَ مُدَّةَ إِقَامَةِ الْحَمْلِ فِي الْبَطْنِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ. اهـ (٥٧٧)

-ومن ذلك قوله تعالي {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ} (١٥)

-قال ابن العربي- رحمه الله في احكامه: اختلف الناس في تفسيرها على أقوال، جمهورها أربعة: الأول: المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد خوفاً من سيف؛ فالأول أبو بكر الصديق آمن طوعاً من غير لعنة.

والثاني: الكافر يسجد لله، إذا أصابه الضر يسجد لله كرهاً، وذلك قوله: {وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم} [الإسراء: ٦٧] يريد عنه وعبدتم غيره. الثالث: قال الصوفية: المخلص يسجد لله محبة، وغيره يسجد لابتغاء عوض، أو لكشف محنة، فهو يسجد كرهاً.

٥٧٦ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٨٢/٣)

٥٧٧ - انظر تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم - الناشر: مكتبة دار البيان - دمشق (ص/٢٦٨)

الرابع: الخلق كلهم ساجد، إلا أنه من سجد بقلبه فهو طوع، ومن سجد بحاله فهو كره؛ إذ الأحوال تدل على الوحدانية من غير اختيار ذي الحال.

قال القاضي أبو بكر: أما من سجد لدفع شر فذلك بأمر الله، هو الذي أمرنا بالطاعة، ووعدنا بالثواب عليها، ونهانا عن المعصية، وأوعد بالعقاب عليها، وهذا حال التكليف، فلا يتكلف فيها تعليلاً إلا ناقص الفطرة قاصر العلم؛ وغرض الصوفية ساقط، وقد بيناه في كتب الأصول، فما عبد الله نبي مرسل، ولا ولي مكمل إلا طلب النجاة. اهـ (٥٧٨)

- من ذلك قوله تعالى {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)}

بين علمائنا حقيقة العهد وضرورة الالتزام به لهذه الآية وما في حكمها وقال ابن العثيمين في شرح رياض الصالحين: (الذمة: العهد، وسمي بذلك؛ لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بدينه في ذمته. والله له عهد على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

وللعباد عهد على الله وهو: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} ، فهذا عهد الله عليهم، ثم قال: {لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْتُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} (المائدة: ١٢) ، وهذا عهدهم على الله. وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (البقرة: ٤٠) وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد على الأمة، وهو أن يتبعوه في شريعته ولا يبتدعوا فيها، وللأمة عليه عهد وهو أن يبلغهم ولا يكتهم شيئاً. وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ما من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما هو خير. والمراد بالعهد هنا: ما يكون بين المتعاقدين في العهود كما كان بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل مكة في صلح الحديبية.

قوله تعالى: {وَأَوْفُوا} . أمر من الرباعي من أوفى يوفي، والإيفاء إعطاء الشيء تاماً، ومنه إيفاء المكيال والميزان.

قوله: {بِعَهْدِ اللَّهِ} . يصلح أن يكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، أي: بعهدكم الله، أو بعهد الله إياكم؛ لأن الفعل إذا كان على وزن فاعل اقتضى المشاركة من الجانبين غالباً، مثل: قاتل ودافع. قوله: {إِذَا عَاهَدْتُمْ} . فائدتها التوكيد والتنبيه على وجوب الوفاء، أي: إذا صدر منكم العهد، فإنه لا يليق منكم أن تدعوا الوفاء، ثم أكد ذلك بقوله: {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ} . نقض الشيء هو حل إحكامه، وشبه العهد بالعقدة؛ لأنه عقد بين المتعاهدين.

قوله: {بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} . توكيد الشيء بمعنى تشييته، والتوكيد مصدر وكّد، يقال: وكّد الأمر وأكده تأكيداً وتوكيداً، والواو أفصح من الهمزة.

قوله: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} . الجملة حالية فائدتها قوة التوبيخ على نقض العهد واليمين. ووجه جعل الله له كفيلاً: أن الإنسان إذا عاهد غيره قال: أعهذك بالله، أي جعل الله كفيلاً. قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ختم الله الآية بالعلم تهديداً عن نقض العهد؛ لأن الإنسان إذا علم بأن الله يعلم كل ما يفعل؛ فإنه لا ينقض العهد.

ومناسبة الآية للترجمة واضحة جداً؛ لأن الله قال: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ} ، وقال: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} . والعهد: الذمة. اهـ (٥٧٩)

-ولابن تيمية- رحمه الله- فوائد فقد قال: و " العهود " و " الأرحام " : هما جماع الأسباب التي بين بني آدم؛ فإن الأسباب التي بينهم: إما أن تكون بفعل الله أو بفعلهم. فالأول " الأرحام " والثاني " العهود " ولهذا جمع الله بينهما في مواضع؛ في مثل قوله: {لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة} فالإل: القرابة والرحم. والذمة العهد والميثاق. وقال تعالى في أول البقرة: {الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل} وقال: {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق} {والذين يوصلون ما أمر الله به أن يوصل} إلى قوله: {والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل} . واعلم أن حق الله داخل في الحقين. ومقدم عليهما؛ ولهذا قدمه في قوله {اتقوا ربكم الذي خلق العبد وخلق أبويه وخلق من أبويه. فالسبب الذي بينه وبين الله هو الخلق التام؛ بخلاف سبب الأبوين؛ فإن أصل مادته منهما وله مادة من غيرهما؛ ثم إنهما لم يصورا في الأرحام. والعبد ليس له مادة إلا أبويه والله هو خالقه وبارئهم ومصوره ورازقه وناصره وهاديه؛ وإنما حق الأبوين فيه بعض المناسبة لذلك؛ فلذلك قرن حق الأبوين بحقه في قوله: {أن اشكر لي ولوالديك} وفي قوله: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً} وفي قوله: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً} وجعل النبي صلى الله عليه وسلم التبرؤ من الأبوين كفراً؛ لمناسبته للتبرؤ من الرب. وفي الحديث الصحيح: {من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر} (٥٨٠) أخرجاه في الصحيحين

٥٧٩ - انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- الناشر : دار الوطن - دار الشريا (١٠٦٤/١٠)

٥٨٠ -أخرج البخاري نحوه برقم/ ٤٣٢٦- بلفظ مغاير ومثته «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ» وفي لفظ آخر في البخاري برقم/ (٦٧٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ»

ثم قال: وأما دخول حق الرب في العهود والعقود. فكدخل العبد في السلام وشهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله؛ فإن هذا عهد الإسلام وهو أشرف العهود وأوكدها وأعمها وأكملها. اهـ (٥٨١)

في هذه الآية أحكام وفوائد تتعلق بالعهد فقد ذكر ابن العربي في أحكامه أهم هذه العقود وهي بين العبد وربه فقال: ما ربطه المرء على نفسه عند الإقرار بالشهادتين، فإنها ألزمت عهداً، وربطت عقوداً، ووظفت تكليفاً، وذلك يتعدد بعدد الوظائف الشرعية، ويختلف باختلاف أنواعها، منها الوفاء بالعرفان، والقيام بحق الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إلا تره فإنه يراك.

ومنها الانكفاف عن العصيان، وأقله درجة اجتناب الكبائر، ومن أعظم المواثيق في الذكر ألا تسأل سواه، فقد كان أبو حمزة الخراساني من كبار العباد سمع «أن ناساً بايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا يسألوا أحداً شيئاً، فكان أحدهم إذا وقع سوطه لا يسأل أحداً رفعه إليه» (٥٨٢)، فقال أبو حمزة: رب، إن هؤلاء عاهدوا نبيك إذ رأوه، وأنا أعاهدك ألا أسأل أحداً شيئاً أبداً. اهـ (٥٨٣)

-ومن ذلك قوله تعالى { وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) }

من فوائدها واحكامها ما ذكره ابن العثيمين - رحمه الله -: والعقوق مأخوذ من العق وهو القطع، ومنه سميت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع؛ لأنها تعق: يعني تقطع رقبتها عند الذبح. والعقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة وكذلك قطيعة الرحم. قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) يعني أنكم إذا توليتم أفسدتم في الأرض، وقطعتم الرحم وحقت عليكم اللعنة، وأعمى الله أبصاركم.

٥٨١ -- انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية - (٣٢ / ١٤) - الناشر دار الوفاء

٥٨٢ - ويدل علي هذا الكلام احاديث منها ما أخرجه أبو داود - عن أبي مسلم الخولاني قال: حدثني الحبيب الأمين - أما هو إلي فحبيب، وأما هو عندي فأمين - عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أوثمانية أوتسعة، فقال: " ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ". وكنا حديث عهد ببيعة. قلنا: قد بايعناك! حتى قالها ثلاثاً، فبسطنا أيدينا، فبايعناه. فقال قائل: يا رسول الله! إنا قد بايعناك؛ فعلام نبايعك؟! قال:

" أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا - وأسر كلمة خفية، قال: - ولا تسألوا الناس شيئاً ". قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه. " وانظر صحيح أبو داود للألباني

برقم / ١٤٤٩ - باب كراهة المسألة

٥٨٣ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٨٣ / ٣)

(وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) المراد بالأبصار هنا البصيرة وليس بصر العين، والمراد أن الله تعالى يعمي بصيرة الإنسان والعياذ بالله، حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً.

وهذه عقوبة أخروية ودينية:

أما الأخروية: فقلوه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) [النساء: ٥٢] .

وأما الدنيوية: فقلوه: (فَأَصَمَّهُمْ) ، يعني: أصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، (وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) عن رؤية الحق والانتفاع به.

وقال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [الرعد: ٢٥] ، ميثاق العهد: توكيده، فينقضون العهد، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من القربات وغيرهم، ويفسدون في الأرض بكثرة المعاصي (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ)

واللعنة تعني الطرد والإبعاد عن رحمة الله، (وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) أي سوء العاقبة. اهـ (٥٨٤)

-ومن ذلك قوله تعالى {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)}

في هذه الآية فوائد عظيمة منها:

- ما ذكره ابن العثيمين-رحمه الله- من فوائد واحكام في شرحه لقوله تعالى : {في لوح محفوظ} فقال: يعني بذلك اللوح المحفوظ عند الله عز وجل الذي هو أم الكتاب كما قال الله تبارك وتعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩] .

وهذا اللوح كتب الله به مقادير كل شيء، ومن جملة ما كتب به أن هذا القرآن سينزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو في لوح محفوظ، قال العلماء {محفوظ} لا يناله أحد، محفوظ عن التغيير والتبديل، والتبديل والتغيير إنما يكون في الكتب الأخرى؛ لأن الكتابة من الله عز وجل أنواع:

النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ وهذه الكتابة لا تبدل ولا تغير، ولهذا سماه الله لوحاً محفوظاً، لا يمكن أن يبدل أو يغير ما فيه.

الثاني: الكتابة على بني آدم وهم في بطون أمهاتهم، لأن الإنسان في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر، بعث الله إليه ملكاً موكلاً بالأرحام، فينفخ فيه الروح بإذن الله، لأن الجسد عبارة عن قطعة من لحم إذا نفخت فيه الروح صار إنساناً، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد (٥٨٥) .

٥٨٤ - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين- (٢٠٥/٣)

٥٨٥ - يشير المصنف لحديث مسلم برقم/٢٦٤٣- بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ- وتام متنه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ

النوع الثالث: كتابة حولية كل سنة، وهي الكتابة التي تكون في ليلة القدر، فإن الله سبحانه وتعالى يقدر في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة، قال الله تبارك وتعالى: {فيها يفرق كل أمر حكيم} [الدخان: ٤]. فيكتب في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة.

النوع الرابع: كتابة يومية وهي التي تقوم بها الملائكة حيث يكتبون كل ما يعمله الإنسان في ذلك اليوم، سواء كان قولاً بلسانه أو عملاً بجوارحه، أو اعتقاداً بقلبه وذلك في الصحف التي بأيدي الملائكة وهذه الكتابة تكون بعد العمل، والكتابات الثلاث السابقة كلها قبل العمل، لكن الكتابة الأخيرة هذه تكون بعد العمل، يكتب على الإنسان ما يعمل من قول بلسانه، أو فعل بجوارحه، أو اعتقاد بقلبه، فإن الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم أي بحفظ أعمالهم يكتبون قال الله تعالى: {كلا بل تكذبون بالدين. وإن عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ٩. ١٢]. فإذا كان يوم القيامة فإنه يعطى هذا الكتاب كما قال تعالى: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} [الإسراء: ١٣، ١٤]. يعني تعطى الكتاب ويقال لك أنت: اقرأ وحاسب نفسك، قال بعض السلف: لقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك، وهذا صحيح أي إنصاف أبلغ من أن يقال للشخص تفضل هذا ما عملت حاسب نفسك، أليس هذا هو الإنصاف؟! بل أكبر إنصاف هو هذا، فيوم القيامة تعطى هذا الكتاب منشوراً مفتوحاً أمامك ليس مغلقاً، تقرأ وتبين لك أنك عملت في يوم كذا، في مكان كذا، كذا وكذا، فهو شيء مضبوط لا يتغير، وإذا أنكرت فهناك من يشهد عليك {يوم تشهد عليهم ألسنتهم} يقول اللسان: نطقت بكذا {وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} {النور: ٢٤} تقول اليد: بطشت، تقول الرجل: مشيت، بل يقول الجلد أيضاً، الجلود تشهد بما لمست {وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون} [فصلت: ٢١].

فالأمر ليس بالأمر الهين. نسأل الله تعالى أن يتولانا وإياكم بعفوه ومغفرته اهـ (٥٨٦)

- وقد ذكر الشيخ الألباني - رحمه الله - هذه الاختلافات ورجح ما تؤيده الأدلة ومما قاله مختصراً وبتصرف: واعلم أن المفسرين اختلفوا اختلافاً كثيراً في تفسير آيتي (الرعد): (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) - الرعد

فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا "

٥٨٦ - انظر تفسير جزء عم لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض (ص/١٤٣)

(على أقوال كثيرة، استوعبها الشوكاني في "الفتح"، وذكر بعضها ابن جرير، ثم ابن كثير، واختار هذا ما هو أقرب للسياق؛ فقال: "أي: لكل كتاب أجل، يعني: لكل كتاب أنزله الله من السماء مدة مضرورية عند الله، ومقدار معين، فلهذا: (يمحو الله ما يشاء) : منها: (ويثبت) ؛ يعني: حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه". فالحو والإثبات فيهما خاص بالأحكام في الكتب المتقدمة أو في الشريعة المحمدية، ينسخ منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء. وهو يلتقي مع ما رواه ابن جرير (١٦ / ٤٨٥) وغيره بسند فيه ضعف عن ابن عباس: (يمحو الله ما يشاء) ، قال:

من القرآن؛ يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله. (وعنده أم الكتاب) ، يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل، كل ذلك في كتاب. وقد وجدت ما يقويه من رواية عكرمة عن ابن عباس، من وجهين عن عكرمة: الأول: رواه يزيد النحوي عنه ابن عباس؛ في قوله:

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ، وقال: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ...) الآية، وقال: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ؛ فأول ما نسخ من القرآن القبلة ... الحديث. والآخر: رواه سليمان التيمي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ في قول الله عز وجل: (يمحو الله ما يشاء) ، قال: من أحد الكتابين؛ هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت. (وعنده أم الكتاب) ؛ أي: جملة الكتاب.

ثم اعلم أنه - وإن كان الحو والإثبات في الآية خاصاً بالأحكام الشرعية؛ كما تقدم -؛ فليس في الشرع ما ينفيهما في غيرها، بل إن ظواهر بعض النصوص تدل على خلاف ذلك؛ كمثله قوله - صلى الله عليه وسلم - : "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"؛ وهو حديث حسن مخرج في "الصحيح" (١٥٤) . ثم أضاف: ذا عرفت ما تقدم؛ فاعلم أن الحو المذكور والزيادة في الرزق والعمر؛ إنما هو بالنسبة للقضاء أو القدر المعلق، وأما القضاء المبرم المطابق للعلم الإلهي؛ فلا محو ولا تغيير، كما كنت شرحت ذلك في تعليقي على "مختصر مسلم" للمنزدي (ص ٤٧٠) ؛ فراجع فإنه هام!

ثم رأيت القرطبي قد أشار إلى ذلك في تفسيره "الجامع"، فقال (٥ / ٣٣٢) :
"والعقيدة: أنه لا تبديل لقضاء الله، وهذا الحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدم أن من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً - وهو الثابت -، ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب - وهو المحو - والله أعلم. قال الغزنوي:

وعندي: أن ما في اللوح خرج عن الغيب؛ لإحاطة بعض الملائكة، فيحتمل التبديل؛ لأن إحاطة الخلق بجميع علم الله محال، وما في علمه من تقدير الأشياء لا يبدل".

وإذا عرفت هذا؛ سهل عليك فهم كثير من النصوص المرفوعة والآثار الموقوفة، وقد تقدم بعضها، وتخلصت من الوقوع في تأويلها. والله الهادي. اهـ

تفسير سورة إبراهيم

سورة إبراهيم - عليه السلام - مكية عند أكثر المفسرين وبعضهم استثني آيتين أو ثلاثة وذكروا أنها مدنية ، والله أعلم وأحكم .

وهي الآية الرابعة عشر في ترتيب المصحف وعدد آياتها اثنتان وخمسون آية .

فضائل السورة

لم يرد حديث صحيح ثابت في فضل هذه السورة من حيث الجملة، لكن وردت بعض الأحاديث والآثار تتعلق ببعض آيات منها، من ذلك علي سبيل المثال ما ثبت في صحيح مسلم عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ { يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } قَالَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ يُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } - إبراهيم: ٢٧ (٥٨٧) . (م ٨ / ١٦٢) .

- عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ } [إبراهيم: ٤٨] فَأَيُّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ» (٥٨٨)

تنبيهات هامة :

هناك بعض الأحاديث عن فضائل سورة إبراهيم منتشرة ولا تصح منها علي سبيل المثال:
- حديث أبي بن كعب قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من قرأ سورة إبراهيم (عليه السلام) و الحجر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها"
- وحديث عيينة بن مصعب عن أبي عبد الله قال : " من قرأ سورة إبراهيم و الحجر في ركعتين جميعا في كل جمعة لم يصبه فقر و لا جنون و لا بلوى " (٥٨٩) وأكثر هذه الأحاديث عن فضائل القرآن من وضع الشيعة.

أسباب النزول: وسوف نبينها عند تفسير الآيات أن وجدت والله المستعان.

٥٨٧ - أخرجه مسلم برقم/ ٤٩٢ - باب: في قوله تعالى: "يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ فِي الْقَبْرِ

٥٨٨ - أخرجه مسلم برقم/ ٢٧٩١ - بَابُ فِي الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٥٨٩ ، -وسبق تحقيق وبيان حديث أبي بن كعب المطول عن فضائل السور و الحديثين المذكورين هنا جزء من هذا الحديث وهو موضوع أخرجه ابن عددي في الكامل (٢٥٨٨/٧) ، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٠/١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)}

إعراب مفردات الآية (٥٩٠)

(الر) حروف مقطعة لا محل لها من الإعراب «٥٩١»، (كتاب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا (أنزلناه) فعل ماض مبني على السكون.. و (نا) ضمير في محل رفع فاعل، و (الهاء) ضمير في محل نصب مفعول به (إلى) حرف جرّ و (الكاف) ضمير في محل جرّ متعلّق ب (أنزلناه)، (اللام) لام التعليل (تخرج) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (الناس) مفعول به منصوب (من الظلمات) جارّ ومجرور متعلّق ب (تخرج)، (إلى النور) جارّ ومجرور متعلّق ب (تخرج)، (بإذن) جارّ ومجرور متعلّق بحال من فاعل تخرج أي ملتبساً بإذن ربهم (ربهم) مضاف إليه مجرور.. و (هم) ضمير في محل جرّ مضاف إليه (إلى صراط) بدل من (إلى النور) بإعادة الجارّ (العزیز) مضاف إليه مجرور (الحميد) بدل من العزیز مجرور- أو نعت له-

روائع البيان والتفسير

{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها إجمالاً: قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور.

{كتاب أنزلناه إليك} أي: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن العظيم، الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم .
{لتخرج الناس من الظلمات إلى النور} أي: إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب؛ لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد، كما قال: {الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات} الآية [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالى: {هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور} [الحديد: ٩] .

وقوله: {بإذن ربهم} أي: هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم {إلى صراط العزیز} أي: العزیز الذي لا يمانع ولا يغالب، بل هو القاهر لكل ما سواه، "الحميد" أي: الحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وأمره ونهيته، الصادق في خبره. اهـ (٥٩٢)

-وزاد أبو جعفر الطبري في بيانه لقوله تعالى { لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ } فائدة جليلة فقال: وأضاف تعالى ذكره إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك، إلى نبيه صلى الله عليه

(٥٩٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥١)

٥٩١ - انظر الآية الأولى من سورة البقرة.

٥٩٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/٤٧٦)

وسلم، وهو الهادي خَلَقَهُ، والموفق من أحبَّ منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم. فبيّن بذلك صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبًا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيرًا، وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله في ذلك صنْع. اهـ (٥٩٣)

-وزاد السعدي- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} فقال: ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر {العزیز الحميد} بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة.

وليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقا ورزقا وتدبيرًا، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، ولا يليق به أن يتركهم سدى. اهـ (٥٩٤)

{ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) }

إعراب مفردات الآية (٥٩٥)

(الله) لفظ الجلالة بدل من الحميد- أو من العزيز- «٥٩٦» ، (الذي) اسم موصول مبني في محلّ جرّ نعت للفظ الجلالة (اللام) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بـجرّ متعلّق بـجرّ مقدم (ما) اسم موصول مبني في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر (في السموات) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة ما (الواو) عاطفة (ما في الأرض) مثل ما في السموات ومعطوف عليه (الواو) عاطفة ويل مبتدأ مرفوع «٥٩٧» ، (للكافرين) جارّ ومجرور متعلّق بـجرّ المتبتدأ ويل (من عذاب) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (ويل) «٥٩٨» ، (شديد) نعت لعذاب مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }

٥٩٣- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦/ ٥١٢ / ٢٠٥٨)

٥٩٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٢١/) (٥٩٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥٢)

٥٩٦ - في الآية السابقة (١) .. ويجوز أن يكون عطف بيان

٥٩٧ - الذي سوغ الابتداء بالنكرة كونها دالة على دعاء.

٥٩٨ - أو متعلّق بمحذوف تقديره يضحّون أو يولون، ولا يجوز التعليق بويل لوجود الفاصل وهو الخبر (للكافرين) .

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في بياها: ومعنى قوله: {الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض} الله الذي يملك جميع ما في السماوات وما في الأرض.

يقول لنييه محمد صلى الله عليه وسلم: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعوا عبادي إلى عبادة من هذه صفته، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً من الآلهة والأوثان. ثم توعد جل ثناؤه من كفر به، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له فقال: {وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} يقول: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم، لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره، من عذاب الله الشديد. اهـ (٥٩٩)

-وزاد السعدي في بيانه لقوله تعالى: {وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} فقال: لا يقدر قدره، ولا يوصف أمره. اهـ (٦٠٠)

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} (٣)

إعراب مفردات الآية (٦٠١)

(الذين) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ «٦٠٢»، (يستحبون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون.. و (الواو) فاعل (الحياة) مفعول به منصوب (الدنيا) نعت للحياة منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف (على الآخرة) جارّ ومجرور متعلق ب (يستحبون) بتضمينه معنى يفضلون (الواو) عاطفة (يصدون) مثل يستحبون (عن سبيل) جارّ ومجرور متعلق ب (يصدون)، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (يبغونها) مثل يستحبون و (ها) ضمير في محل نصب مفعول به (عوجا) مصدر في موضع الحال أي معوجة «٦٠٣»، (أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع

٥٩٩- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥١٤ / ٢٠٥٥٩ /

٦٠٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢١ / ٤٢١)

(٦٠١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥٣)

٦٠٢ - أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم.. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أذم.. أو في محل جرّ بدل من الكافرين. هذا وقد ردّ أبو حيان رأي الزمخشري وأبي البقاء العكبريّ بكونه صفة للكافرين لوجود الفاصل.

٦٠٣ - أو هو مفعول به لفعل يبغون إذا جعل الضمير الغائب في (يبغونها) منصوباً على نزع الخافض أي يبغون لها عوجاً.. وانظر الآية (٩٩) من سورة آل عمران.

مبتدأ.. و (الكاف) حرف خطاب (في ضلال) جازّ ومجورر متعلّق بخبر المبتدأ أولئك (بعيد) نعت لضلال مجرور مثله.

روائع البيان والتفسير

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}
- قال السعدي- رحمه الله- في بياها ما نصه: {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} فرضوا بها واطمأنوا، وغفلوا عن الدار الآخرة.

{وَيَصُدُّونَ} الناس {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} التي نصبها لعباده وبينها في كتبه وعلى السنة رسله، فهؤلاء قد نابذوا مولاهم بالمعاداة والمحاربة، {وَيَبْغُونَهَا} أي: سبيل الله {عِوَجًا} أي: يحرصون على تهجينها وتقبيحها، للتنفير عنها، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

{أُولَئِكَ} الذين ذكر وصفهم {فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} لأنهم ضلوا وأضلوا، وشاقوا الله ورسوله وحاربوهما، فأبى ضلال أبعد من هذا؟! وأما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء يؤمنون بالله وآياته، ويستحبون الآخرة على الدنيا ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها مهما أمكنهم، ويبنون استقامتها. اهـ (٦٠٤)

-وزاد القرطبي في بيان قوله تعالي {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} فقال بتصرف يسير: أي يطلبون لها زيغا وميلا لموافقة أهوائهم، وقضاء حاجاتهم وأغراضهم. والعوج بكسر العين في الدين والأمر والأرضي، وفي كل ما لم يكن قائما، وبفتح العين في كل ما كان قائما، كالحائط والرمح ونحوه. اهـ (٦٠٥)

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}
{(٤)}

إعراب مفردات الآية (٦٠٦)

(الواو) استئنافية (ما) نافية (أرسلنا) مثل أنزلنا «٦٠٧»، (من) حرف جرّ زائد (رسول) مجرور لفظا منصوب محلا مفعول به (إلا) أداة حصر (بلسان) جازّ ومجورر متعلّق بمحذوف حال من رسول «٦٠٨»، أي ناطقا أو ملتبسا (قومه) مضاف إليه مجرور.. و (الهاء) ضمير مضاف إليه (اللام) للتعليل (يبين) مضارع منصوب

٦٠٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢١)

٦٠٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٤٠)

(٦٠٦)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٥٥)

٦٠٧ - في الآية (١) من هذه السورة.

٦٠٨ - جاز أن يكون صاحب الحال نكرة وهو (رسول) لأن اللفظ يدل على عموم.

بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (اللام) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (بيّن). .

والمصدر المؤوّل (أن بيّن..). في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (أرسلنا) «٦٠٩» .

(الفاء) استئنافية (يضلّ) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (يشاء) مثل يضلّ (الواو) عاطفة (يهدي) مثل يضلّ، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل هو (من يشاء) مثل الأولى (الواو) استئنافية (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (العزير) خبر مرفوع (الحكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }
- قال ابن كثير- رحمه الله- ف بيانها ما مختصره: هذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما قال الإمام أحمد:

عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يعث الله، عز وجل، نبيا إلا بلغه قومه" (٦١٠)
وقوله: { فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء } أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، { وهو العزيز } الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، { الحكيم } في أفعاله، فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك.

وقد كانت هذه سنة الله في خلقه: أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس، كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس عامة" (٦١١). اهـ (٦١٢)
-وزاد الشنقيطي- رحمه الله- وذكر فائدة جلييلة من الآية فقال ما مختصره:

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لم يرسل رسولا إلا بلغه قومه ؛ لأنه لم يرسل رسولا إلا إلى قومه دون غيرهم، ولكنه بين في مواضع أخر أن نبينا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الخلائق دون اختصاص بقومه

٦٠٩ - هذا الفعل مقيّد مفعوله بكون لسانه من لسان قومه.

٦١٠ - أخرجه أحمد (١٥٨/٥) وصححه اسناده الألباني في صحيح الجامع برقم/ ٣٥٦١

٦١١ - أخرجه البخاري برقم/ ٣٣٥ - كِتَابُ التَّيْمِ

٦١٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٧٧)

ولا بغيرهم، كقوله تعالى: { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا } [٧ \ ١٥٨] ، وقوله: { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } [٢٥ \ ١] ، وقوله: { وما أرسلناك إلا كافة للناس } الآية [٣٤ \ ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم رسالته لأهل كل لسان، فهو صلى الله عليه وسلم يجب عليه إبلاغ أهل كل لسان. اهـ (٦١٣)

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }

إعراب مفردات الآية (٦١٤)

(الواو) استئنافية (اللام) لام القسم لقسم مقدر (قد) حرف تحقيق (أرسلنا) مثل أنزلنا «٦١٥» ، (موسى) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الفتحة المقدرة على الألف (بآياتنا) جازّ ومجرور حال من موسى.. و (نا) ضمير مضاف إليه (أن) تفسيريّة «٦١٦» ، (أخرج) فعل أمر، والفاعل أنت (قومك) مفعول به منصوب.. و (الكاف) مضاف إليه (من الظلمات إلى النور) جازّ ومجرور مكرّر متعلقان ب (أخرج) ، (الواو) عاطفة (ذکرهم) مثل أخرج.. و (هم) ضمير مفعول به (بأيّام) جازّ ومجرور متعلّق ب (ذکر) ، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (إنّ) حرف توكيد ونصب (في) حرف جرّ (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم.. و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب (اللام) للتوكيد (آيات) اسم إنّ منصوب وعلامة النصب الكسرة (لكلّ) جازّ ومجرور متعلّق بنعت لآيات، (صبار) مضاف إليه مجرور (شكور) نعت لصبار مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: يخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على صدق ما جاء به وصحته، وأمره بما أمر الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بل وبما أمر به جميع الرسل قومهم

٦١٣ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان(٢ / ٢٤١)

(٦١٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥٦)

٦١٥ - في الآية (١) من هذه السورة.

٦١٦ - أو حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل مجرور بباء مقدّرة للتعدية.

{أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} أي: ظلمات الجهل والكفر وفروعه، إلى نور العلم والإيمان وتوابعه. اهـ (٦١٧)

-وأضاف ابن كثير- ر حمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: {إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} أي: إن فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون، وأبجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين، لعبرة لكل صبار، أي: في الضراء، شكور، أي: في السراء، كما قال قتادة: نعم العبد، عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أمر المؤمن كله عجب، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له" (٦١٨) اهـ.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَنْحِوْنَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)}

إعراب مفردات الآية (٦١٩)

(الواو) استثنائية (إذ) اسم ظرفي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر «٦٢٠»، (قال) فعل ماض (موسى) فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف (لقومه) جارّ ومجرور متعلّق ب (قال) و (الهاء) ضمير مفعول به (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون.. و (الواو) فاعل (نعمة) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (على) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعمة «٦٢١»، (إذ) ظرف للزمن الماضي مبني في محلّ نصب متعلّق ب (نعمة) «٦٢٢»، (أنجاكم) فعل ماض مبني على الفتح المقدّر على الألف.. و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (من آل) جارّ ومجرور متعلّق ب (أنجى)، (فرعون) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (يسومونكم) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل، و (كم) مثل الأخير (سوء) مفعول به ثان منصوب (العذاب) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (يدبّحون) مثل يسومون (أبناءكم) مفعول به منصوب.. و (كم) مضاف إليه (الواو)

٦١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢١)

٦١٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٧٨)

(٦١٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٥٨)

٦٢٠ - أبو حيان يرفض إخراج (إذ) عن الظرفية المحضة، ويعلّق الظرف بمحذوف يقتضيه سياق الكلام.

٦٢١ - أو متعلّق بمحذوف حال من نعمة.

٦٢٢ - أو في محلّ نصب بدل اشتمال من نعمة.

عاطفة (يستحيون نساءكم) مثل يذبحون أبناءكم (الواو) عاطفة (في) حرف جرّ (ذلكم) مثل ذلك «٦٢٣»
- إعراباً وتعليقاً- (بلاء) مبتدأ مؤخر مرفوع (من ربكم) جازّ ومجرور متعلق بنعت لبلاء.. و (كم) ضمير مضاف إليه (عظيم) نعت ثان لبلاء مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ }

- قال ابن كثير - رحمه الله- في بيانها: يقول تعالى مخبراً عن موسى، حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم، إذ أنجاهم من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فأنقذ الله بني إسرائيل من ذلك، وهذه نعمة عظيمة؛ ولهذا قال: { وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم } أي: نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك، أنتم عاجزون عن القيام بشكرها.

وقيل: وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الأفاعيل { بلاء } أي: اختبار عظيم. ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا، والله أعلم، كما قال تعالى: { وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } [الأعراف: ١٦٨]. اهـ (٦٢٤)

-وزاد السعدي- رحمه الله- في بيانه لقوله تعالى { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } : فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته وعميم إحسانه، وتمام عدله وحكمته، ولهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه، فذكرهم نعم الله فقال: { اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } أي: بقلوبكم وألسنتكم. اهـ (٦٢٥)

-وأضاف بو جعفر الطبري فائدة لغوية فقال: وأدخلت الواو في هذا الموضع، لأنه أريد بقوله: (ويذبحون أبناءكم)، الخبر عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضع آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة البقرة: ٤٩] ، في موضع، وفي موضع (يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة الأعراف: ١٤١] ، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله: (يذبحون) ، وبقوله: (يقتلون) ، تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم.

٦٢٣ - في الآية السابقة (٥) .

٦٢٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٧٩)

٦٢٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٢)

وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها، فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها
فبالواو. اهـ (٦٢٦)

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) }

إعراب مفردات الآية (٦٢٧)

(الواو) عاطفة (إذ تأذَّن) مثل إذ أنجى ومعطوف عليه «٦٢٨»، (رَبُّكُمْ) فاعل مرفوع، و (كم) مضاف إليه (اللام) موطَّعة للقسم (إن) حرف شرط جازم (شكرتم) فعل ماض مبني على السكون في محلّ جزم فعل الشرط.. و (تم) ضمير فاعل (اللام) لام القسم (أزیدنکم) مضارع مبني على الفتح في محلّ رفع.. و (النون) نون التوكيد، و (كم) ضمير مفعول به والفاعل أنا (الواو) عاطفة (لئن كفرتم) مثل لئن شكرتم (إنّ) حرف توكيد ونصب (عذابي) اسم إنّ منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء، و (الياء) ضمير مضاف إليه (اللام) للتوكيد- لام القسم أو المزلحقة- (شديد) خبر إنّ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }

- قال القرطبي- رحم الله- في بياها ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ } قيل: هو من قول موسى لقومه. وقيل هو من قول الله، أي واذكر يا محمد إذ قال ربك كذا. و " تأذن " وأذن بمعنى أعلم، مثل أوعد وتوعد، روي معنى ذلك عن الحسن وغيره. ومنه الأذان، لأنه إعلام، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى ... سمعنا في مجالسنا الأذينا

وكان ابن مسعود يقرأ: " وإذ قال ربكم " والمعنى واحد. { لئن شكرتم لأزيدنكم } أي لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي. الحسن: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي. ابن عباس: لئن وخدمت وأطعتم لأزيدنكم من الثواب، والمعنى متقارب في هذه الأقوال، والآية تنص في أن الشكر سبب المزيد .

ثم أضاف- رحمه الله- بعد كلام: فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنع. وألا يصرفها في غير طاعته، وقال جعفر الصادق (٦٢٩): إذا سمعت النعمة الشكر فتأهب للمزيد. { ولئن كفرتم إن عذابي

٦٢٦- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر-نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥٢٤/

/ ٢٠٥٨١)

(٦٢٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان-دمشق(١٣/١٥٨)

٦٢٨ - فهو من كلام موسى عليه السلام، ومن حيث المعنى مفعول اذكروا.

٦٢٩ - أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقاله

لشديد { أي جحدتم حقي . وقيل : نعمي ، وعد بالعذاب على الكفر ، كما وعد بالزيادة على الشكر ، وحذفت

الفاء التي في جواب الشرط من " إن " للشهرة . اهـ (٦٣٠)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله - في بيانها فقال ما نصه :

{ ولئن كفرتم { أي : كفرتم النعم واسترتموها وجحدتموها ، { إن عذابي لشديد } وذلك بسلبها عنهم ، وعقابه

إياهم على كفرها . اهـ (٦٣١)

{ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ (٨) }

إعراب مفردات الآية (٦٣٢)

(الواو) عاطفة (قال موسى) مثل الأولى (إن) حرف شرط جازم (تكفروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون و (الواو) فاعل (أنتم) ضمير منفصل في محل رفع توكيد لفاعل تكفروا (الواو) عاطفة (من) اسم موصول معطوف على الواو في (تكفروا) في محل رفع (في الأرض) جازر ومجرور متعلق بمحذوف صلة من (جميعا) حال منصوبة من الموصول من (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إن الله لعني) مثل إن عذابي لشديد (حميد) خبر ثان مرفوع .

روائع البيان والتفسير

{ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ }

-فسرها السعدي - رحمه الله فقال ما نصه : { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } فلن تضروا

الله شيئا ، { فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ } فالطاعات لا تزيد في ملكه والمعاصي لا تنقصه ، وهو كامل الغنى حميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال ، ولا من الأسماء إلا كل اسم

حسن ، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل . اهـ (٦٣٣)

وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي

الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة .

وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وهي سنة سيل الجحاف ، وقيل : بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين .

وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ، رضي الله عنهم أجمعين ، فله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣٢٧ / ١)

٦٣٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٤٣ / ٩)

٦٣١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٧٩)

(٦٣٢) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر : دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٦٠ / ١٣)

٦٣٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر : مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٢)

- وزاد ابن كثير في بيانها فقال - رحمه الله- ما نصه: أي: هو غني عن شكر عباده، وهو الحميد المحمود، وإن كفره من كفره، كما قال: {إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم} [الزمر: ٧] وقال تعالى: {فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد} [التغابن: ٦].

وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه، عز وجل، أنه قال: "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر" (٦٣٤). فسبحانه وتعالى الغني الحميد. اهـ (٦٣٥)

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) }

إعراب مفردات الآية (٦٣٦)

(الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وجزم (يأتكم) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة.. و (كم) ضمير مفعول به (نبأ) فاعل مرفوع (الذين) اسم موصول مبني في محلّ جرّ مضاف إليه (من قبلكم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول.. و (كم) مضاف إليه (قوم) بدل من الموصول مجرور (نوح) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة في المواضع الآتية (عاد، ثمود، الذين) أسماء معطوفة على قوم بحروف العطف «٦٣٧»، (من بعدهم) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول.. و (هم) مضاف إليه (لا) نافية (يعلمهم) مضارع مرفوع.. و (هم) ضمير مفعول به (إلا) أداة حصر (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (جاءت) فعل ماض، و (التاء) للتأنيث و (هم) ضمير مفعول به (رسلهم) فاعل مرفوع، و (هم) مضاف إليه (بالبيّنات) جارّ ومجرور متعلّق بحال من رسلهم (الفاء) عاطفة (ردّوا) فعل ماض وفاعله (أيديهم) مفعول به منصوب و (هم) مضاف إليه (في أفواههم) جارّ ومجرور متعلّق ب (ردّوا) بتضمينه معنى وضعوا و (هم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (قالوا) مثل ردّوا (إنّا) حرف مشبّه بالفعل.. و (نا) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (كفرنا) فعل ماض وفاعله (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (كفرنا)، (أرسلتم) فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون.. و (تم) ضمير نائب الفاعل (الباء) حرف

٦٣٤ - أخرجه مسلم برقم / ٢٥٧٧ - بابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ

٦٣٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٠)

(٦٣٦) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٦١)

٦٣٧ - يجوز إعراب (الذين) الأخير مبتدأ خبره جملة: لا يعلمهم إلا الله، والجملة الاسميّة معطوفة على الاستئنافيّة.

جرّ و (الماء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بفعل أرسلتم (إنّا) مثل الأول (اللام) المزلقة (في شكّ) جار ومجرور متعلّق بخبر إنّ (مّا) مثل بما متعلّق بشكّ «٦٣٨» ، (إليه) مثل به متعلّق ب (تدعوننا) وهو مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون.. و (الواو) فاعل، و (نا) ضمير مفعول به (مريب) نعت لشكّ مجرور مثله.

روائع البيان والتفسير

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ }

قال السعدي- رحمه الله- في بيانه إجمالاً ما نصه: قول تعالى مخوفا عباده ما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس وسمعه فقال: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ } وقد ذكر الله قصصهم في كتابه وبسطها، { وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ } من كثرتهم وكون أخبارهم اندرست.

فهؤلاء كلهم { جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } أي: بالأدلة الدالة على صدق ما جاءوا به، فلم يرسل الله رسولا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها بل استكبروا عنها، { فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ } أي: لم يؤمنوا بما جاءوا به ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله { يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ }

{ وَقَالُوا } صريحا لرسولهم: { إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } أي: موقع في الريبة، وقد كذبوا في ذلك وظلموا. اهـ (٦٣٩)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله- في تفسيره بيانا وفوائد فقال ما مختصره وبتصرف: اختلف العلماء في معنى هذه الآية الكريمة، فقال بعض العلماء معناها أن أولئك الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ؛ ليعضوا عليها غيظا وحنقا لما جاءت به الرسل ؛ إذ كان فيه تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم، ومن قال بهذا القول عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير، واستدل له بقوله تعالى: وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ الآية [٣ \ ١١٩] ، وهذا المعنى معروف في كلام العرب ومنه قول الشاعر:

تردون في فيه غش الحسود ... حتى يعض على الأكف

يعني: أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه وكفيه.

ثم أضاف- رحمه الله:

وفي الآية الكريمة أقوال غير هذا، منها: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم من العجب. ويروى عن ابن عباس. ومنها: أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم: أنا رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم

٦٣٨ - أو بمحذوف نعت لشك.

٦٣٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤٢٢)

إلى أفواههم أن اسكت تكذيباً له وردا لقوله. ويروى هذا عن أبي صالح، ومنها: أن معنى الآية أنهم ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم، فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار، وعلى هذا القول ف «في» بمعنى الباء. ويروى هذا القول عن مجاهد، وقتادة، ومحمد بن كعب، قال ابن جرير: وتوجيهه أن «في» هنا بمعنى الباء، قال: وقد سمع من العرب: أدخلك الله بالجنة، يعنون: في الجنة، وقال الشاعر:

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ... ولكنني عن سنيس لست أرغب

يريد وأرغب بها: قال ابن كثير: ويؤيد هذا القول تفسير ذلك بتمام الكلام، وهو قوله تعالى: {وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب} [١٤ \ ٩].

قال مقيد عفا الله عنه: الظاهر عندي خلاف ما استظهره ابن كثير رحمه الله تعالى؛ لأن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله، فيدل على أن المراد بقوله: {فردوا أيديهم} الآية غير التصريح بالتكذيب بالأفواه، والعلم عند الله تعالى. وقيل: المعنى أن الكفار جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردا لقولهم، وعليه فالضمير الأول للكفار والثاني للرسل، ويروى هذا عن الحسن، وقيل: جعل الكفار أيدي الرسل على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم، ويروى هذا عن مقاتل، وقيل: رد الرسل أيدي الكفار في أفواههم، وقيل غير ذلك، فقد رأيت الأقوال وما يشهد له القرآن منها، والعلم عند الله تعالى. اهـ (٦٤٠)

{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) }

إعراب مفردات الآية (٦٤١)

(قالت) فعل ماضٍ، و (التاء) للتأنيث (رسلهم) فاعل مرفوع.. و (هم) مضاف إليه (الهمزة) للاستفهام الإنكاري (في الله) جارٌّ ومجرور خبر مقدم (شكٌّ) مبتدأ مؤخر مرفوع (فاطر) نعت للفظ الجلالة- أو بدل مجرور (السموات) مضاف إليه مجرور (الأرض) معطوف على السموات بالواو مجرور (يدعوكم) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الواو، و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (اللام) للتعليل (يغفر) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والفاعل هو (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يغفر) ، (من ذنوبكم) جارٌّ ومجرور متعلّق بنعت للمفعول المحذوف «٦٤٢»، و (كم) مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن يغفروا) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (يدعوكم).

٦٤٠ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٤٣)

(٦٤١) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٦٤)

٦٤٢ - و (من) تبعية أي يغفر لكم شيئاً من ذنوبكم أو متعلّق بالفعل بتضمينه معنى يخلص.

(الواو) عاطفة (يؤخركم) مثل يغفر ومعطوف عليه، و (كم) ضمير مفعول به (إلى أجل) جازّ ومجرور متعلق ب (يؤخّر) (مسمّى) نعت لأجل مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (قالوا) فعل ماض وفاعله (إن) حرف نفي (أنتم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (إلا) حرف للحصر (بشر) خبر مرفوع (مثلنا) نعت لبشر مرفوع، و (نا) مضاف إليه (تريدون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل (أن) حرف مصدرّيّ (تصدّونا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون، و (الواو) فاعل و (نا) ضمير مفعول به (عن) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (تصدّونا) ، (كان) فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره هو وهو العائد (يعبد) مثل يدعو (آباؤنا) فاعل مرفوع، و (نا) مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (اتنوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. و (الواو) فاعل (بسلطان) جازّ ومجرور متعلّق ب (اتنوا) ، (مبين) نعت لسلطان مجرور مثله.

والمصدر المؤوّل (أن تصدّونا..) في محلّ نصب مفعول به عامله تريدون.

روائع البيان والتفسير

{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي اللّٰهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوْكُمْ لِيَعْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوْا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيْدُوْنَ اَنْ نَّصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا فَاْتُونَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ }

-قال القرطبي - رحمه الله- في بيانها ما مختصره: قوله تعالى: {قالت لهم رسلهم} استفهام معناه الإنكار، أي لا شك في الله، أي في توحيدده، قال قتادة. وقيل: في طاعته. ويحتمل وجهها ثالثا: أي قدرة الله شك؟! لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها، يدل عليه قوله: {فاطر السماوات والأرض} خالقها ومخترعها ومنشئها وموجدتها بعد العدم، لينبه على قدرته فلا تجوز العبادة إلا له. اهـ (٦٤٣)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال:

يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أمهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: {أيي الله شك}

وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض (١) لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه {فاطر السماوات والأرض} الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني في قولهم: {أفي الله شك} أي: أفي إلهيته وتفردته بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقرهم من الله زلفى.

وقالت لهم الرسل: ندعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم، أي: في الدار الآخرة، {ويؤخركم إلى أجل مسمى} أي: في الدنيا، كما قال تعالى: {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله} الآية [هود: ٣] ، فقالت لهم الأمم محاجين في مقام الرسالة، بعد تقدير تسليمهم للمقام الأول، وحاصل ما قالوه: {إن أنتم إلا بشر مثلنا} أي: كيف نتبعكم بمجرد قولكم، ولما نر منكم معجزة؟ {فأتونا بسلطان مبين} أي: خارق نقترحه عليكم. اهـ (٦٤٤)

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)}

إعراب مفردات الآية (٦٤٥)

(قالت.. رسلهم) مرّ إعرابها «٦٤٦»، (اللام) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (قالت) ، (إن نحن إلا بشر مثلكم) كمثل إن أنتم إلا بشر مثلنا «٦٤٧»، (الواو) عاطفة (لكنّ) حرف استدراك ونصب- ناسخ- (الله) لفظ الجلالة اسم لكنّ منصوب (بمنّ) مضارع مرفوع، والفاعل هو (على) حرف جرّ (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (بمنّ) ، (يشاء) مثل بمنّ (من عباده) جارّ ومجرور متعلّق بحال من مفعول يشاء المقدر أي يشاء تكليفه بالرسالة كائنا من عباده، و (الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (ما) نافية (كان) ماض ناقص (اللام) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (أن) حرف مصدرّي (نأتيكم) مضارع منصوب، و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل نحن (بسلطان) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل نأتيكم (إلا) للحصر (بإذن) جارّ ومجرور حال من الفاعل «٦٤٨» (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور. والمصدر المؤوّل (أن نأتيكم..) في محلّ رفع اسم كان. (الواو) عاطفة (على الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يتوكّل) (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (اللام) لام الأمر (يتوكّل) مضارع مجزوم، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (المؤمنون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو.

٦٤٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٢)

(٦٤٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٦٦)

٦٤٦ - في الآية (١٠) السابقة.

٦٤٧ - في الآية (١٠) السابقة.

٦٤٨ - يجوز أن يكون (بإذن الله) خبرا لكان، و (لنا) متعلّق بحال من إذن الله.

{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ} مجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: {إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} أي: صحيح وحقيقة أنا بشر مثلكم، {وَلَكِنَّ} ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق فإن {اللَّهُ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} فإذا من الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله.

فانظروا ما جئناكم به فإن كان حقاً فاقبلوه وإن كان غير ذلك فردوه ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما جئناكم به، وقولكم: {فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} فإن هذا ليس بأيدينا وليس لنا من الأمر شيء.

{وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} فهو الذي إن شاء جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته، {وَعَلَىٰ اللَّهِ} لا على غيره {فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم ودفع مضارهم لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، وينفقون به في تيسير ذلك وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان، ومن العبادات الكبار التي يجبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه. اهـ (٦٤٩)

{وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)}

إعراب مفردات الآية (٦٥٠)

(الواو) عاطفة (ما) اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ (لنا) مثل السابق «٦٥١» ، متعلق بخبر ما (ألا نتوكل) مثل أن نأتاكم «٦٥٢» ، و (لا) حرف نفي (على الله) جارّ ومجرور متعلق ب (نتوكل) ، (الواو) واو الحال (قد) حرف تحقيق (هدانا) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف.. و (نا) ضمير مفعول به، والفاعل هو (سبلنا) مفعول به ثان منصوب.. و (نا) مضاف إليه.
والمصدر المؤول (ألا نتوكل..) في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف تقديره في.. والجارّ متعلق بمحذوف حال، والتقدير: ما لنا ساعين في ترك التوكل..

٦٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٢)

(٦٥٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٦٧)

٦٥١ - في الآية السابقة (١١) .

٦٥٢ - في الآية السابقة (١١) .

أو أيّ عذر لنا معنيين في ترك التوكّل. (الواو) استثنائية (اللام) لام القسم لقسم مقدّر (نصيرن) مضارع مبني على الفتح في محلّ رفع.. و (النون) نون التوكيد، والفاعل نحن (على) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «٦٥٣»، (آذيتم) (آذيتم) فعل ماض مبني على السكون.. و (تم) ضمير فاعل و (الواو) زائدة حركة إشباع الميم و (نا) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (على الله... المتوكّلون) مرّ إعراب نظيرها «٦٥٤» .

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيرها : يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل الرسل لأممها: {وما لنا أن لا نتوكل على الله} ، فنثق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنّا {وقد هدانا سُبُلنا} ، يقول: وقد بصّرنا طريقَ النجاة من عذابه، فبين لنا {ولنصبرنّ على ما آذيتمونا} ، في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دُعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه، من البراءة من الأوثان والأصنام، وإخلاص العبادة له {وعلى الله فليتوكل المتوكّلون} ، يقول: وعلى الله فليتوكل من كان به واثقاً من خلقه، فأما من كان به كافراً فإنّ وليّه الشيطان. اهـ(٦٥٥)

- وزاد السعدي-رحمه الله- في بيانها فقال ما نصه: { وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا } أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداه يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل. وفي هذا كإشارة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لقومهم بآية عظيمة، وهو أن قومهم -في الغالب- لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكركم، وجازمون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: {يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا إلي ولا تنظرون} الآيات. وقول هود عليه السلام قال: {إني أشهد الله وأشهدوا أني بريء مما تشركون* من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون}

٦٥٣ - أو موصول في محلّ جرّ، والجملة صلة، والعائد محذوف أي آذيتمونا به.

٦٥٤ - في الآية السابقة (١١) .

٦٥٥ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥٣٩

{وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا} أي ولنستمرن على دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى فإننا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى احتساباً للأجر ونصحاً لكم لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير

{وَعَلَى اللَّهِ} وحده لا على غيره {فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم وهذا أكمل ما يكون من التوكل. اهـ (٦٥٦)

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} (١٣)

إعراب مفردات الآية (٦٥٧)

(الواو) استئنافية (قال) فعل ماضٍ (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع فاعل (كفروا) فعل ماضٍ وفاعله (لرسلهم) جارٌّ ومجرور متعلق ب (قال) ، و (هم) ضمير مضاف إليه (اللام) لام القسم لقسم مقدر (نخرجن) مثل نصبرن «٦٥٨» ، و (نا) ضمير مضاف إليه (أو) حرف عطف (لتعودن) لام القسم ومضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون، وقد حذفت لتوالي الأمثال، و (الواو) المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل، و (النون) للتوكيد (في ملتنا) مثل من أرضنا متعلق ب (تعودن) ، (الفاء) عاطفة (أوحى) فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدر (إلى) حرف جرّ و (هم) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أوحى) ، (ربهم) فاعل مرفوع، و (هم) مضاف إليه (لنهلكن) مثل لنخرجن (الظالمين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} {

-قال السعدي- رحمه الله في بيائها: {لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا} وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى بل توعدهم بالإخراج من ديارهم ونسبوا إلى أنفسهم وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته.

٦٥٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٢)

(٦٥٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٦٨)

٦٥٨ - في الآية السابقة (١٢) .

فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، لم يكن ذلك خالصا له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلا شيء يمنعهم حقا لهم صريحا واضحا؟! هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكيفية؟ ولهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أوليائه، {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} بأنواع العقوبات. اهـ (٦٥٩)

-وأضاف ابن كثير -رحمه الله- في بيانها ما مختصره: يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: {لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا} [الأعراف: ٨٨] ، وقال قوم لوط: {أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون} [النمل: ٥٦] ، وقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش: {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاك إلا قليلا} [الإسراء: ٧٦] ، وقال تعالى: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأنفال: ٣٠] . وكان من صنعه تعالى: أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعوانا وجندا، يقاتلون في سبيل الله، ولم يزل يرفقه الله تعالى من شيء إلى شيء، حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكن له فيها، وأرغم آناف أعدائه منهم، و من سائر أهل الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها. اهـ (٦٦٠)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله-: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى رسوله أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم، وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك أعدائهم، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون} [٣٧ \ ١٧١ - ١٧٣] ، وقوله: {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} [٥٨ \ ٢١] ، وقوله: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا} [الآية ٤٠ \ ٥١]. اهـ (٦٦١)

{وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)}

إعراب مفردات الآية (٦٦٢)

٦٥٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٢٣ /)

٦٦٠ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٣)

٦٦١ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٤٤)

(٦٦٢) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٦٩)

(الواو) عاطفة (لنسكننكم) مثل لنخرجنكم (الأرض) مفعول به منصوب (من بعدهم) جازّ ومجرور متعلّق ب (نسكن) و (هم) ضمير مضاف إليه (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، والإشارة إلى النصر وإيراث الأرض.. و (اللام) للبعد و (الكاف) للخطاب (اللام) حرف جرّ (من) موصول في محلّ جرّ متعلّق بخبر المبتدأ (خاف) فعل ماضٍ، والفاعل هو وهو العائد (مقامي) مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (خاف وعيد) مثل خاف مقامي.. وحذف ضمير المتكلم تخفيفاً لمناسبة الفاصلة.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَنَسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى {ولنسكننكم الأرض من بعدهم} ما نصه: ، هذا وعدٌ من الله مَنْ وَعَدَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ النَّصْرَ عَلَى الْكُفْرَةِ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ. يقول: لما تبادتْ أُمَمُ الرِّسْلِ فِي الْكُفْرِ، وَتَوَعَّدُوا رُسُلَهُمْ بِالْوُقُوعِ بِهِمْ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ بِإِهْلَاكِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ. وكلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ اللَّهِ وَعِيدًا وَتَهْدُدًا لِمَشْرُكِي قَوْمِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ، وَجُرْأَتِهِمْ عَلَى نَبِيِّهِ، وَتَثْبِيئًا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِيهِ مِنْ مَشْرُكِي قَوْمِهِ، كَمَا صَبَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنْ رُسُلِهِ وَمُعْرِفَةً أَنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِ مَنْ كَفَرَ بِهِ الْهَلَاكُ، وَعَاقِبَتُهُ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ، سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ. اهـ (٦٦٣)

-وأضاف ابن كثير-رحمه الله- في بيان تفسير قوله تعالى: {ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد} فقال: أي: وعيدي هذا لمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة، وحشي من وعيدي، وهو تخويفي وعذابي، كما قال تعالى: {فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى} [النازعات: ٣٧ - ٤١] ، وقال: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} [الرحمن: ٤٦] اهـ (٦٦٤)

{ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) }

إعراب مفردات الآية (٦٦٥)

(الواو) عاطفة (استفتحو) فعل ماضٍ وفاعله، والضمير يعود على الأنبياء (الواو) عاطفة (خاب) فعل ماضٍ (كلّ) فاعل مرفوع (جبّار) مضاف إليه مجرور (عنيد) نعت لجبّار مجرور.

روائع البيان والتفسير

٦٦٣ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥٤١ / ٢٠٦١٠)

٦٦٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٤)

(٦٦٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٧٠)

{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}

- قال ابن كثير- رحمه الله في بيانها: وقوله: {وَاسْتَفْتَحُوا} أي: استنصرت الرسل ربها على قومها. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها، كما قالوا: {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم} [الأنفال: ٣٢].

ويحتمل أن يكون هذا مرادا وهذا مرادا، كما أنهم استفتحووا على أنفسهم يوم بدر، واستفتح رسول الله واستنصر، وقال الله تعالى للمشركين: {إن تستفتحو فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم} الآية

[الأنفال: ١٩] ، والله أعلم. اهـ (٦٦٦)

-وأضاف أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} فقال: يقول: هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له.

و"العنيد" و"العاند" و"العنود"، بمعنى واحد. اهـ (٦٦٧)

-وزاد السعدي- رحمه الله-: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى

الحق وعلى عباد الله واستكبر في الأرض وعاند الرسل وشاقهم. اهـ (٦٦٨)

- وذكر الشنقيطي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} ما نصه:

لم يبين هنا كيفية خيبة الجبار العنيد، ولكنه أشار إلى معنى خيبتة وبعض صفاته القبيحة في قوله في سورة «ق»: {ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فآلقياه في العذاب الشديد} [٥٠ \ ٢٤ - ٢٥] ، والجبار: المتجبر في نفسه، والعنيد: المعاند للحق، قاله ابن

كثير. اهـ (٦٦٩)

{مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسَمَّى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦)}

إعراب مفردات الآية (٦٧٠)

٦٦٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٤)

٦٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥٤٢ / ٢٠٦١١)

٦٦٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٣)

٦٦٩- أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٤٤)

(٦٧٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (١٣/١٧١)

(من ورائه) جازّ ومجرور متعلّق بجزر مقدّم.. و (الماء) مضاف إليه (جهنّم) مبتدأ مؤخّر مرفوع (الواو) عاطفة (يسقى) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع، وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي الجبّار (من ماء) جازّ ومجرور متعلّق ب (يسقى) ، (صديد) بدل من ماء مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ }

- { مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ } أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد، { وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ } في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة-قاله السعدي- رحمه الله- في تفسيره. اهـ (٦٧١)

-وزاد القرطبي- رحمه الله- فقال ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { من ورائه جهنم } أي من وراء ذلك الكافر جهنم، أي من بعد هلاكه. ووراء بمعنى بعد. ثم أضاف - رحمه الله -:

أي بعد الله جل جلاله، وكذلك قول تعالى: { ومن ورائه عذاب غليظ } أي من بعده، وقوله تعالى: { ويكفرون بما وراءه } - (البقرة: ٩١) أي بما سواه، قاله الفراء. وقال أبو عبيد: بما بعده: وقيل: " من ورائه " أي من أمامه.. ثم قال - رحمه الله -: وفي التنزيل: { كان وراءهم ملك } [الكهف: ٧٩] أي أمامهم، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة وأبو علي قطرب وغيرهما. وقال الأخفش: هو كما يقال هذا الأمر من ورائك، أي سوف يأتيك، وأنا من وراء فإن أي في طلبه وسأصل إليه. وقال النحاس في قول { من ورائه جهنم } أي من أمامه، وليس من الأضداد ولكنه من توارى، أي استتر. وقال الأزهري: إن وراء تكون بمعنى خلف وأمام فهو من الأضداد، وقاله أبو عبيدة أيضا، واشتقاقهما مما توارى واستتر، فجهنم توارى ولا تظهر، فصارت من وراء لأنها لا ترى، حكاه ابن الأنباري وهو حسن. قوله تعالى: { ويسقى من ماء صديد } أي من ماء مثل الصديد، كما يقال للرجل الشجاع أسد، أي مثل الأسد، وهو تمثيل وتشبيه. وقيل: هو ما يسيل من أجسام أهل النار من القيح والدم. اهـ (٦٧٢)

{ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) }

إعراب مفردات الآية (٦٧٣)

(يتجرّعه) مضارع مرفوع، و (الماء) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الواو) عاطفة (لا) نافية (يكاد) مضارع ناقص مرفوع، واسمه ضمير مستتر تقديره هو (يسیغه) مثل يتجرّعه (الواو) عاطفة (يأتيه) مثل يتجرّعه، والضمّة

٦٧١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٣)

٦٧٢-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٥٠)

(٦٧٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ١٧٣)

مقدّرة (الموت) فاعل مرفوع (من كلّ) جازّ ومجرور متعلّق ب (يأتيه) ، (مكان) مضاف إليه مجرور (الواو) حالّية (ما) نافية عاملة عمل ليس (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع اسم ما (الباء) ، حرف جرّ زائد (ميّت) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما (الواو) عاطفة (من ورائه عذاب) مثل من ورائه جهنّم (غليظ) نعت لعذاب مرفوع مثله.

روائع البيان والتفسير

{ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: قوله: { يتجرعه } أي: يتغصصه ويتكرهه، أي: يشربه قهراً وقسراً، لا يضعه في فيه حتى يضره الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: { ولهم مقامع من حديد } [الحج: ٢١] .

{ ولا يكاد يسيغه } أي: يزدرده لسوء لونه وطعمه وريحه، وحرارته أو برده الذي لا يستطاع.

{ ويأتيه الموت من كل مكان } أي: يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه.

قال ميمون بن مهران: من كل عظم، وعرق، وعصب. وقال عكرمة: حتى من أطراف شعره. قال إبراهيم التيمي: من موضع كل شعرة، أي: من جسده، حتى من أطراف شعره.

وقال ابن جرير: { ويأتيه الموت من كل مكان } أي: من أمامه وورائه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: { ويأتيه الموت من كل مكان } قال: أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم، وليس منها نوع إلا الموت يأتيه منه لو كان يموت، ولكن لا يموت؛ لأن الله تعالى قال: { لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور } [فاطر: ٣٦] .

ومعنى كلام ابن عباس، رضي الله عنه: أنه ما من نوع من هذه الأنواع من هذا العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال؛ ولهذا قال: { ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت }

وقوله: { ومن ورائه عذاب غليظ } أي: وله من بعد هذا الحال عذاب آخر غليظ، أي: مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر. وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم: { إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعتها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم ل إلى الجحيم } [الصفافات: ٦٤ - ٦٨] ، فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى الجحيم عيادا بالله من ذلك، وهكذا قال تعالى: { هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن } [الرحمن: ٤٣ ، ٤٤] ، وقال تعالى: { إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون } [الدخان: ٤٣ - ٥٠] ، وقال: { وأصحاب الشمال ما أصحاب

الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم} [الواقعة: ٤١ - ٤٤] ، وقال تعالى: {هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج} [ص: ٥٥ - ٥٨] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله، مما لا يحصيه إلا الله، عز وجل، جزاء وفاقا، {وما ربك بظلام للعبيد} [فصلت: ٤٦] . اهـ (٦٧٤)

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)}

إعراب مفردات الآية (٦٧٥)

(مثل) مبتدأ مرفوع (الذين) موصول مضاف إليه في محلّ جرّ (كفروا) فعل ماضٍ وفاعله (بربهم) جارّ ومجرور متعلّق ب (كفروا) ، و (هم) مضاف إليه، وخبر المبتدأ محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم، ومكانه قبل المبتدأ (أعمالهم) مبتدأ مرفوع «٦٧٦» ... و (هم) مضاف إليه (كرماد) جارّ ومجرور خبر المبتدأ أعمالهم (اشتدّت) فعل ماضٍ ... و (النّاء) للتأنيث (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (اشتدّت) بتضمينه معنى طارت (الريح) فاعل مرفوع (في يوم) جارّ ومجرور متعلّق ب (اشتدّت) ، عاصف نعت ليوم مجرور (لا) نافية (يقدرّون) مضارع مرفوع ... و (الواو) فاعل (من) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بحال من شيء (كسبوا) مثل كفروا (على شيء) جارّ ومجرور متعلّق ب (يقدرّون) ، (ذلك) اسم إشارة في محلّ رفع مبتدأ ... و (اللام) للبعد، و (الكاف) للخطاب، والإشارة إلى التمثيل عن أعمالهم (هو) ضمير فصل (الضلال) خبر المبتدأ ذلك مرفوع (البعيد) نعت للضلال مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ }

- قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئا، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار { لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ } ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب.

٦٧٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٤٨٥)

(٦٧٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٧٥)

٦٧٦ - يجوز أن يكون بدلا من المبتدأ (مثل) .. والجارّ (كرماد) خبر المبتدأ.

{ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ } حيث بطل سعيهم واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضرؤا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً. اهـ (٦٧٧)

-وذكر ابن القيم- رحمه الله- في تفسيرها فوائد جمّة فقال: شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ربح شديدة في يوم عاصف.

فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله عز وجل، وعلى غير أمره: برماد طيرته الريح العاصف. فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه. فلذلك قال: { لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ } لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء. فلا يرون له أثراً من ثواب، ولا فائدة نافعة. فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، موافقاً لشرعه.

والأعمال أربعة: فواحد مقبول. وثلاثة مردودة.

فالمقبول: الخالص الصواب. فالخالص: أن يكون لله لا لغيره.

والصواب أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله.

والثلاثة المردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سرّ بديع. وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد، في إحراق النار وإذهاؤها لأصل هذا وهذا. فكانت الأعمال التي لغير الله، وعلى غير مراده: طعمة للنار، وبها تسعّر النار على أصحابها.

وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما وروحا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا. فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار.

السماء: خشية الله. والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء. ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها. فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها. فعرف حقيقة إلهيته التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ووطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له

بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا. كما لا يتبغي القلب سوى معبوده الحق بدلا. فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت. فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الرب تعالى. وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلما كثيرا طيبا، يقارنه عمل صالح، فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ٣٥: ١٠ {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فأخبر سبحانه، أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت. والمقصود: أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحققتها نفيا وإثباتا، ومتصفا بموجبها، قائما قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته.

فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه. وفروعها متصلة بالسماء. وهي مخرجة ثمرتها كل وقت. اهـ (٦٧٨)

-وزاد الشنفيطي- رحمه الله- في اثناء وبيان المدلول من التمثيل في الآية أي قوله تعالى { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَغْمَأْهُمْ كَرَمَادٍ }.. الآية فقال ما مختصره وبتصرف يسير:

ضرب الله تعالى لأعمال الكفار مثلا في هذه الآية الكريمة برماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف، أي شديد الريح، فإن تلك الريح الشديدة العاصفة تطير ذلك الرماد ولم تبق له أثرا، فكذلك أعمال الكفار كصلات الأرحام، وقرى الضيف، والتنفيس عن المكروب، وبر الوالدين، ونحو ذلك يبطلها الكفر ويذهبها، كما تطير تلك الريح ذلك الرماد. وضرب أمثالا آخر في آيات أخر لأعمال الكفار بهذا المعنى، كقوله: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا} [٢٤ \ ٣٩] ، وقوله: {مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح في صر فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته} الآية [٣ \ ١١٧] ، ثم أضاف- رحمه الله:

وبين في موضع آخر أن الحكمة في ضربه للأمثال أن يتفكر الناس فيها فيفهموا الشيء بنظرة، وهو قوله: {وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} [٥٩ \ ٢١] ، ونظيره قوله: {ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون} [١٤ \ ٢٥] ، وبين في موضع آخر أن الأمثال لا يعقلها إلا أهل العلم، وهو قوله تعالى: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} [٢٩ \ ٤٣] ، وبين في موضع آخر أن المثل المضروب يجعله الله سبب هداية لقوم فهموه، وسبب ضلال لقوم لم يفهموا حكمته، وهو قوله: {فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين} [٢ \ ٢٦] ، وبين في موضع آخر أنه تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ولو كان المثل المضروب بعوضة فما فوقها، قيل: فما هو أصغر منها ؛ لأنه يفوقها في الصغر، وقيل: فما فوقها أي فما

هو أكبر منها، وهو قوله: {إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها} [٢ \ ٢٦] ، ولذلك ضرب المثل بالعنكبوت في قوله: {مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون} [٢٩ \ ٤١] ، وضربه بالحمار في قوله: {كمثل الحمار يحمل أسفاراً} الآية [٦٢ \ ٥] ، وضربه بالكلب في قوله: {ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث} [٧ \ ١٧٦] ، إلى غير ذلك، والعلم عند الله تعالى. اهـ (٦٧٩)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩)}

إعراب مفردات الآية (٦٨٠)

(الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وجزم (تر) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل أنت (أنّ) حرف توكيد ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم أنّ منصوب (خلق) فعل ماض، والفاعل هو (السّموات) مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة (الأرض) معطوف على السموات بالواو منصوب (بالحقّ) جازر ومجرور متعلّق بحال من فاعل خلق أو مفعوله (إن) حرف شرط جازم (يشأ) مضارع مجزوم فعل الشرط (يذهبكم) مضارع مجزوم جواب الشرط ... و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل للفاعلين ضمير تقديره هو (يأت) مضارع مجزوم معطوف على الفعل يذهبكم، وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل هو (بخلق) جازر ومجرور متعلّق ب (يأت) ، (جديد) نعت لخلق مجرور.

روائع البيان والتفسير

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها ما مختصره: يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة، بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والحركات المختلفة، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وبراري وصحاري وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان، على اختلاف أصنافها ومنافعها، وأشكالها وألوانها؛ {أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير} [الأحقاف: ٣٣] ، وقال تعالى: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق

٦٧٩- تفسير القرآن الكريم . لابن القيم-) - (ص / ٣٤١)

(٦٨٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٧٦)

العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون {
[يس: ٧٧ - ٨٣]. اهـ (٦٨١)

-وأضاف القرطبي - رحمه الله- في تفسيرها: {إن يشأ يذهبكم} أيها الناس، أي هو قادر على الإفناء كما
قدر على إيجاد الأشياء، فلا تعصوه فإنكم إن عصيتموه {يذهبكم ويأت بخلق جديد} أفضل وأطوع منكم،
إذ لو كانوا مثل الأولين فلا فائدة في الإبدال. اهـ (٦٨٢)

{ وَمَا ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) }

إعراب مفردات الآية (٦٨٣)

(الواو) عاطفة (ما) نافية عاملة عمل ليس (ذلك) اسم إشارة مبني في محل رفع اسم ما ... و (اللام) للبعد و
(الكاف) للخطاب (على الله) جازر ومجرور متعلق بعزير (الباء) حرف جر زائد (عزير) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر
ما.

روائع البيان والتفسير

{ مَا ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ }

-قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها ما نصه: يقول: وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلقٍ آخر سواكم مكائلكم،
على الله بممتنع ولا متعذر، لأنه القادر على ما يشاء. اهـ (٦٨٤)
-وزاد السعدي - رحمه الله-: أي: بممتنع بل هو سهل عليه جداً، {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة}
{وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}. اهـ (٦٨٥)

{ وَبَرَّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّزْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْيِصٍ (٢١) }

إعراب مفردات الآية (٦٨٦)

٦٨١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤٨٧)

٦٨٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٥٤)

(٦٨٣) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٧٦)

٦٨٤ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٦ / ٥٥٦
/ ٢٠٦٣٧)

٦٨٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٣)

(٦٨٦) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٧٦)

(الواو) استثنائية (برزوا) فعل ماض وفاعله (الله) جار ومجرور متعلق ب (برزوا) وهو على حذف مضاف أي جزء الله- أو حساب الله-(جميعا) حال منصوبة فاعل برزوا (الفاء) عاطفة (قال) فعل ماض (الضعفاء) فاعل مرفوع (اللام) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلق ب (قال) ، (استكبروا) مثل برزوا (إنّا) حرف توكيد ونصب ... و (نا) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (كنّا) فعل ماض ناقص مبنيّ على السكون .. و (نا) ضمير في محلّ رفع اسم كان (اللام) حرف جرّ وك (م) ضمير في محلّ جرّ متعلق بحال من (تبعنا) - نعت تقدّم على المنعوت- (تبعنا) خبر كنّا منصوب (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (هل) حرف استفهام للتوبيخ (أنتم) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (مغنون) خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة الرفع الواو (عن) حرف جرّ و (نا) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (مغنون) ، (من عذاب) جارّ ومجرور متعلق بحال من شيء (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (من) حرف جرّ زائد «٦٨٧» ، (شيء) مجرور لفظا منصوب محلا مفعول به عامله مغنون (قالوا) مثل برزوا (لو) حرف شرط غير جازم (هدانا) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف، و (نا) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (اللام) واقعة في جواب لو (هديناكم) فعل ماض مبنيّ على السكون ... و (نا) ضمير فاعل، و (كم) ضمير مفعول به (سواء) خبر مقدّم مرفوع (علينا) مثل عنّا متعلق بسواء (الهمزة) حرف مصدرية للتسوية (جزعنا) مثل هدينا (أم) حرف عطف (صبرنا) مثل هدينا (ما) نافية مهملة (لنا) مثل لكم متعلق بخبر مقدم (من محيص) مثل من شيء، والاسم مرفوع محلا مبتدأ.

روائع البيان والتفسير

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ}

-قال السعدي- ر حمه الله- في بيائها: {وَبَرَزُوا} أي: الخلائق {لِلَّهِ جَمِيعًا} حين ينفخ في الصور فيخرجون من الأحداث إلى رهم فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا، ويرزون له لا يخفى عليه منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يتحاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أني لهم ذلك؟

فيقول {الضُّعَفَاءُ} أي: التابعون والمقلدون {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتمونا، {فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} أي: ولو مثقال ذرة، {قَالُوا} أي: المتبوعون والرؤساء {أَغْوَيْنَاكُمْ كَمَا غَوَيْنَا} و {لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ} فلا يعني أحد أحدا. اهـ (٦٨٨)

٦٨٧ - أو هو حرف جرّ أصلي للتبعيض، فيتعلّق مع مجروره ب (مغنون) .

٦٨٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٤)

-وزاد القرطبي - رحمه الله- في بيان قوله تعالى: { فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ } فقال: { فهل أنتم مغنون } أي دافعون { عنا من عذاب الله من شيء } أي شيئاً، و" من" صلة، يقال: أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى، وأغناه إذا أوصل إليه النفع. { قالوا لو هدانا الله لهديناكم } أي لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه. وقيل: لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها. وقيل، لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه. اهـ (٦٨٩)

{ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ }

-قال ابن كثير - رحمه الله- في بيانها ما نصه: { سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص } أي: ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكائهم وتضرعهم إلى الله، عز وجل، تعالوا نبك وتنتزع إلى الله فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا { سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص }

قلت: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: { وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد } [غافر: ٤٧، ٤٨] ، وقال تعالى: { قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أحرهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأحرهم فما كان لكم علينا من فضل فدوقوا العذاب بما كنتم تكسبون } [الأعراف: ٣٨، ٣٩] ،

وقال تعالى: { يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً } [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]

وأما تخاصمهم في المحشر، فقال تعالى: { ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق

الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون } [سبأ: ٣١ - ٣٣] . اهـ (٦٩٠)

٦٨٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٥٥ / ٩)

٦٩٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤٨٩ / ٤)

{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) }

إعراب مفردات الآية (٦٩١)

(الواو) استثنائية (قال الشيطان) مثل قال الضعفاء «٦٩٢» ، (لما) ظرف متضمن معنى الشرط بمعنى حين مبني في محلّ نصب متعلّق بمضمون الجواب (قضي) فعل ماض مبني للمجهول (الأمر) نائب الفاعل (إنّ) حرف توكيد ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (وعدكم) فعل ماض، و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (وعد) مفعول به ثان منصوب (الحقّ) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (وعدتكم) فعل، وفاعل، ومفعول به (الفاء) عاطفة (أخلفتكم) مثل وعدتكم والمفعول الثاني محذوف أي أخلفتكم الوعد (الواو) عاطفة (ما) حرف نفي (كان) فعل ماض ناقص (اللام) حرف جرّ و (الياء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر كان (على) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بحال من سلطان (من) حرف جرّ زائد (سلطان) مجرور لفظاً مرفوع محلاً اسم كان (إلاّ) أداة استثناء (أن) حرف مصدريّ (دعوتكم) مثل وعدتكم (الفاء) عاطفة (استجبتهم) فعل ماض وفاعله (لي) مثل الأول متعلّق ب (استجبتهم) .

والمصدر المؤوّل (أن دعوتكم..) في محلّ نصب على الاستثناء المنقطع.

(الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (لا) ناهية جازمة (تلوموني) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون ... و (الواو) فاعل و (النون) للوقاية، و (الياء) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (لوموا) فعل أمر مبنيّ على حذف (النون) .. و (الواو) فاعل (أنفسكم) مفعول به منصوب.. و (كم) مضاف إليه (ما) نافية عاملة عمل ليس (أنا) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع اسم ما (الباء) حرف جرّ زائد (مصرخكم) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما..

و (كم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (ما أنتم بمصرخيّ) مثل ما أنا بمصرخكم، وعلامة الجرّ الياء لأنّه جمع مذكّر سالم، وحذفت النون للإضافة و (الياء) الثانية مضاف إليه (إنّ) مثل الأول و (الياء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (كفرت) مثل استجبتهم (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ (أشركتم) مثل استجبتهم، و (الواو) زائدة إشباع حركة الميم و (النون) للوقاية، و (الياء) المحذوفة للتخفيف ضمير مفعول به (من) حرف

(٦٩١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٧٩)

جرّ (قبل) اسم مبني على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (أشركتم) «٦٩٣» ، (إنّ الظالمين) مثل إنّ الله، وعلامة النصب الياء (لهم) مثل لي متعلّق بخبر مقدّم (عذاب) مبتدأ مؤخّر مرفوع (أليم) نعت لعذاب مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

- قال السعدي- في بيانها إجمالاً ما نصه: أي: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ } الذي هو سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطباً لأهل النار ومتبرئاً منهم { لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ } ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. { إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ } على السنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدرتكم الفوز العظيم، { وَوَعَدْتُمْ } { وَأَخْلَفْتُمْ } أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

{ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ } أي: من حجة على تأييد قولي، { إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } أي: هذا نهاية ما عندي أي دعوتكم إلى مرادي وزينته لكم، فاستجبت لي اتباعاً لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة { فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ } فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب العقاب، { مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ } أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها { وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ } كل له قسط من العذاب.

{ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ } أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله فلست شريكاً لله ولا تجب طاعتي، { إِنَّ الظَّالِمِينَ } لأنفسهم بطاعة الشيطان { لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } خالدين فيه أبداً.

وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمدخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم { وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ }

واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي.

وأما السلطان الذي أثبتته فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يؤرّهم إلى المعاصي أژاً، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بمولاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون.

ولما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: { وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } أي: قاموا بالدين، قولاً وعملاً واعتقاداً { جَنَّاتٍ بَّحْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } فيها من اللذات والشهوات ما لا عين رأت،

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، {خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} أي: لا يحولهم وقوتهم بل بحول الله وقوته {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} أي: يحيي بعضهم بعضا بالسلام والتحية والكلام الطيب. اهـ (٦٩٤)

{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)}

إعراب مفردات الآية (٦٩٥)

(الواو) استثنائية (أدخل) فعل ماض مبني للمجهول (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع نائب الفاعل (آمنوا) فعل ماض وفاعله (عملوا) مثل آمنوا (الصالحات) مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة (جنت) مفعول به عامله أدخل منصوب وعلامة النصب الكسرة (تجري) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء (من تحتها) جارّ ومجرور متعلق ب (تجري) «٦٩٦» ، وهو على حذف مضاف أي تحت أشجارها أو بيوتها، و (ها) ضمير مضاف إليه (الأنهار) فاعل مرفوع (خالدين) حال من الموصول (في) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلق بخالدين (بإذن) جارّ ومجرور حال ثانية من الموصول «٦٩٧» ، (ربهم) مضاف إليه مجرور.. و (هم) ضمير مضاف إليه (تحيّتهم) ، مبتدأ مرفوع.. و (هم) مثل الأخير (فيها) مثل الأول متعلق ب (تحيّتهم) ، (سلام) مبتدأ ثان مرفوع وخبره محذوف تقديره عليكم..

روائع البيان والتفسير

{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي: قاموا بالدين، قولاً وعملاً واعتقاداً {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} فيها من اللذات والشهوات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، {خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} أي: لا يحولهم وقوتهم بل بحول الله وقوته {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} أي: يحيي بعضهم بعضا بالسلام والتحية والكلام الطيب. اهـ (٦٩٨)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال. وأن خطيبهم إبليس، عطف بحال السعداء وأنهم يدخلون يوم القيامة جنت تجري من تحتها الأنهار

٦٩٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٤)

(٦٩٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨٢)

٦٩٦ - أو بمحذوف حال من الأنهار.

٦٩٧ - أو حال من الضمير المستكنّ في خالدين.

٦٩٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٤)

سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا { خالدين فيها } ماكتنين أبدا لا يحولون ولا يزولون، { بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام } كما قال تعالى: { حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم } [الزمر: ٧٣] ، وقال تعالى: { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم } [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال تعالى: { ويلقون فيها تحية وسلاما } [الفرقان: ٧٥] ، وقال: { دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام } وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين { [يونس: ١٠] . اهـ (٦٩٩)

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) }

إعراب مفردات الآية (٧٠٠)

(الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وجزم (تر) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل أنت (كيف) اسم استفهام مبني في محل نصب حال (ضرب) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (مثلا) مفعول به منصوب (كلمة) بدل من المفعول منصوب «٧٠١» ، (طيبة) نعت لكلمة منصوبة (كشجرة) جارٌّ ومجرور متعلق بنعت لكلمة «٧٠٢» ، (أصلها) مبتدأ مرفوع.. و (ها) مضاف إليه (ثابت) خبر مرفوع (الواو) عاطفة (فرعها في السماء) مثل أصلها ثابت، والخبر جاء شبه جملة- جار ومجرور-.

روائع البيان والتفسير

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً } " وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها { كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ } وهي النخلة { أَصْلُهَا ثَابِتٌ } في الأرض { وَفَرْعُهَا } منتشر { فِي السَّمَاءِ } وهي كثيرة النفع دائما. اهـ (٧٠٣)

-وزاد القرطبي بياناً في تفسيرها فقال ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا } لما ذكر تعالى مثل أعمال الكفار وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، ذكر مثل أقوال المؤمنين وغيرها، ثم فسر ذلك المثل فقال: { كلمة طيبة } الثمر، فحذف لدلالة الكلام عليه. قال ابن عباس: الكلمة الطيبة لا إله إلا الله والشجرة الطيبة المؤمن. وقال مجاهد وابن جريج: الكلمة الطيبة الإيمان. عطية العوفي والربيع بن أنس: هي المؤمن نفسه. وقال مجاهد أيضا وعكرمة: الشجرة النخلة، فيجوز أن يكون المعنى: أصل الكلمة

٦٩٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٤٩١)

(٧٠٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨٤)

٧٠١ - وبعضهم- كالربخشري- يعدّي (ضرب) إلى مفعولين.. (كلمة) المفعول الأول و (مثلا) المفعول الثاني.

٧٠٢ - يجوز أن يكون الجارّ متعلّقاً بمحذوف خبر لمبتدأ مقدّر أي هي كشجرة.

٧٠٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٤)

في قلب المؤمن- وهو الإيمان- شبهه بالنخلة في المنبت، وشبه ارتفاع عمله في السماء بارتفاع فروع النخلة، وثواب الله له بالثمر.

ثم أضاف- رحمه الله-: ويجوز أن يكون المعنى: أصل النخلة ثابت في الأرض، أي عروقه تشرب من الأرض وتسقيها السماء من فوقها، فهي زاكية نامية. اهـ(٧٠٤)

{ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) }

إعراب مفردات الآية (٧٠٥)

(تؤتي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء، والفاعل هي أي الشجرة (أكلها) مفعول به منصوب.. و (ها) مضاف إليه (كلّ) اسم نائب عن الظرف منصوب متعلّق ب (تؤتي) ، (حين) مضاف إليه مجرور (بإذن ربّها) مثل بإذن ربّهم «٧٠٦» ، والجار والمجرور حال من فاعل تؤتي (الواو) استئنافية (يضرب) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الأمثال) مفعول به منصوب (للناس) جارّ ومجرور متعلّق ب (يضرب) بتضمينه معنى يبيّن (لعلّهم) حرف ترجّ ونصب.. و (هم) ضمير في محلّ نصب اسم لعلّ (يتذكّرون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }

-قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيرها: وقوله: {تؤتي أكلها كل حين} قيل: غدوة وعشيا. وقيل: كل شهر. وقيل: كل شهرين.

وقيل: كل ستة أشهر. وقيل: كل سبعة أشهر. وقيل: كل سنة.

والظاهر من السياق: أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين.

{ بإذن ربّها } أي: كاملا حسنا كثيرا طيبا، { ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون } . اهـ(٧٠٧)
-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { تُوْتِي أَكْلَهَا } أي: ثمرتها { كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا } فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها

٧٠٤-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٥٩ / ٩)

(٧٠٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨٤)

٧٠٦ - في الآية (٢٣) من هذه السورة.

٧٠٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/ ٤٩٣)

شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، { وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن. اهـ (٧٠٨)

- وذكر البغوي - رحمه الله - فائدة من الآية قال: والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان. اهـ (٧٠٩)

{ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) }

إعراب مفردات الآية (٧١٠)

(الواو) استئنافية (مثل) مبتدأ مرفوع (كلمة) مضاف إليه مجرور (خبیثة) نعت لكلمة مجرور (كشجرة) جارّ ومجرور متعلّق بـخبر المبتدأ، على حذف مضاف أي كمثل شجرة (خبیثة) نعت لشجرة مجرور (اجتثت) فعل ماض مبني للمجهول.. و (التاء) للتأنيث، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي (من فوق) جارّ ومجرور متعلّق بـ (اجتثت) (الأرض) مضاف إليه مجرور (ما لها من قرار) مثل ما لها من محيص «٧١١».

روائع البيان والتفسير

{ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ }

- قال السعدي - في بيانها إجمالاً: { وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ } المأكل والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، { اجْتُثَّتْ } هذه الشجرة { مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره. اهـ (٧١٢)

٧٠٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٥)

٧٠٩ - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٤٧)

(٧١٠) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣/ ١٨٦)

٧١١ - في الآية (٢١) من هذه السورة.

٧١٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٥)

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (٢٧)

إعراب مفردات الآية (٧١٣)

(يُثَبِّتُ) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الذين) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به (آمَنُوا) فعل ماض وفاعله (بالقول) جارّ ومجرور ومتعلّق ب (يُثَبِّتُ) ، (الثابت) نعت للقول مجرور (في الحياة) جارّ ومجرور متعلّق ب (يُثَبِّتُ) ، (الدنيا) نعت للحياة مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (في الآخرة) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به المجرور الأول فهو معطوف عليه (الواو) عاطفة (يضلّ الله الظالمين) مثل يثبت الله الذين.. وعلامة نصب المفعول الياء (الواو) عاطفة (يفعل الله ما يشاء) مثل يثبت الله الذين آمنوا، وفاعل يشاء ضمير مستتر تقديره هو.

روائع البيان والتفسير

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

قال النسائي رحمه الله ج ٤ ص ١٠ عن البراء قال {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} قال نزلت في عذاب القبر.

و عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} قال نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول ربي الله وديني دين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذلك قوله {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}. (٧١٤)

-قال السعدي -رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويشمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

(٧١٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨٧)

٧١٤ - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/١٢٣) بتصرف: الحديث رواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٢٧ بالسند الأخير

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ " هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: " الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي "

{وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه. اهـ (٧١٥)

-وزاد ابن القيم فوائد من الآية فقال: تحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمعرفته وحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين. فإن لم يثبت الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما. وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله ١٧: ٧٤ {وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} وقال تعالى لأكرم خلقه ٨: ١٢ {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيُّ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا} وفي الصحيحين من حديث البحلي قال: «وهو يسألهم ويثبتهم» (١) وقال تعالى لرسوله: ١١: ١٢٠ {وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}.

والخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد.

فبهما يثبت الله عبده. فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيته قال تعالى: ٤: ٦٦ {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا} فأثبت الناس قلباً: أثبتهم قولاً.

والقول الثابت: هو القول الحق الصدق. وهو ضد القول الباطل الكذب فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها. فهي أعظم ما يثبت الله بها

عبده في الدنيا والآخرة. ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أبغض الناس وأحببهم وأكثرهم تلوناً، وأقلهم ثباتاً. وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاخبار وشجاعته ومهابته.

ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك. ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة.

وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به؟.

فقال: والله ما فهمت منه شيئاً إلا أني رأيت لكلامه صولة ليست صولة مبطل.

فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم، ويوم معادهم. كما

في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن هذه الآية نزلت في عذاب القبر» اهـ. (٧١٦)

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) }

إعراب مفردات الآية (٧١٧)

(ألم تر) مرّ إعرابها «٧١٨»، (إلى) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (تر) بتضمينه معنى تنظر (بدّلوا) فعل ماض وفاعله (نعمة) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (كفروا) مفعول به ثان منصوب (الواو) عاطفة (أحلّوا قومهم دار) مثل بدّلوا نعمة الله كفرا... و (هم) ضمير مضاف إليه (البوار) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيانها: يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد {إلى الذين بدّلوا نعمة الله كُفْرًا} يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه، فجعلوها كُفْرًا به، وكان تبديلهم نعمة الله كفرا في نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم، أنعم الله به على قريش، فأخرجهم منهم، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذبوه، فبدّلوا نعمة الله عليهم به كفرا. وقوله: {وأحلّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} يقول: وأنزلوا قومهم من مُشركي قريش دار البوار، وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بورا: إذا هلك وبطل اهـ. (٧١٩)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى {أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} فقال:

٧١٦- تفسير القرآن الكريم . لابن القيم- (ص / ٣٤٧)

(٧١٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٨٨)

٧١٨ - في الآية (٢٤) من هذه السورة.

٧١٩- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر : مؤسسة الرسالة (١٧ /

وهي النار حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالاً على قومهم، من حيث يظن نفعهم، ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم " بدر " ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الواقعة. اهـ (٧٢٠)

{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ (٢٩) }

إعراب مفردات الآية (٧٢١)

(جهنّم) بدل من (دار البوار) «٧٢٢»، منصوب (يصلونها) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل، و (ها) ضمير مفعول به (الواو) واو الحال (بئس) فعل ماض جامد لإنشاء الذمّ (القرار) فاعل مرفوع، والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره هي.

روائع البيان والتفسير

{ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ }

- قال أبو جعفر الكبري - رحمه الله -: { جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ } يقول: وبئس المستقرّ هي جهنم لمن صلاها. وقيل: إن الذين بدلوا نعمة الله كفراً: بنو أمية، وبنو مخزوم. اهـ

- وزاد القرطبي - رحمه الله - فائدة لغوية من الآية فقال: { جهنم يصلونها } بين أن دار البوار جهنم كما قال ابن زيد، وعلى هذا لا يجوز الوقف على " دار البوار " لأن جهنم منصوبة على الترجمة عن " دار البوار " فلو رفعها رافع بإضمار، على معنى: هي جهنم، أو بما عاد من الضمير في " يصلونها " لحسن الوقف على " دار البوار ". اهـ (٧٢٣)

{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) }

إعراب مفردات الآية (٧٢٤)

(الواو) عاطفة (جعلوا) مثل بدلوا (لله) جارّ ومجرور متعلّق بمفعول ثان (أندادا) مفعول به منصوب (اللام) لام العاقبة (يضلّوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصب حذف النون.. و (الواو) فاعل (عن سبيله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يضلّوا) بتضمينه معنى يبعدوا، و (الهاء) مضاف إليه (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (تمتّعوا) فعل أمر مبني على حذف النون..

٧٢٠ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٢٦ /)

(٧٢١) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٨٩)

٧٢٢ - أو عطف بيان ... أو مفعول به لفعل محذوف يفستره المذكور بعده والجملة بعده تفسيرية.

٧٢٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٦٥)

(٧٢٤) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٨٩)

و (الواو) فاعل (الفاء) تعليلية (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (مصيركم) اسم إنّ منصوب، و (كم) ضمير مضاف إليه (إلى النار) جارّ ومجرور متعلّق بخبر إنّ.
والمصدر المؤوّل (أن يضلّوا..) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (جعلوا) .

روائع البيان والتفسير

{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيره ما مختصره وبتصرف يسير: يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا، وهي جماع نِدْ. وأضاف- رحمه الله-

عن قتادة، قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } والأنداد: الشركاء. وقوله { لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ } اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفيين (لِيُضِلُّوا) بمعنى: كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك. وقرأته عامة قراء أهل البصرة: "لِيُضِلُّوا" بمعنى: كي يضلّ جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله. وقوله { قُلْ تَمَتَّعُوا } يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم، لا إباحة لهم التمتع بها، ولا أمرا على وجه العبادة، ولكن توييحا وتهددا ووعيدا، وقد بيّن ذلك بقوله { فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } يقول: استمتعوا في الحياة الدنيا، فإنها سريعة الزوال عنكم، وإلى النار تصيرون عن قريب، فتعلمون هنالك غبّ تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله وكفركم فيها به. اهـ (٧٢٥)

-وأضاف ابن كثير في تفسيرها: { فإن مصيركم إلى النار } أي: مرجعكم وموئلكم إليها، كما قال تعالى: { تمتعهم قليلا ثم اضطروهم إلى عذاب غليظ } [لقمان: ٢٤] ، وقال تعالى: { متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون } [يونس: ٧٠] . اهـ (٧٢٦)

{ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاطَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ } (٣١)

إعراب مفردات الآية (٧٢٧)

٧٢٥- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ / ٢٠٧٨٧/١١)

٧٢٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٥١٠)

(٧٢٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٩٠)

(قل) مثل السابق «٧٢٨» ، (لعبادي) جارّ ومجرور متعلّق ب (قل) ، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (الذين) موصول في محلّ جرّ نعت لعباد (آمنوا) مثل بدلوا «٧٢٩» .. ومفعول قلّ محذوف تقديره أقيموا الصلاة (يقيموا) مضارع مجزوم بجواب الطلب للفعل المقدّر أقيموا، وعلامة الجزم حذف النون و (الواو) فاعل (الصلاة) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (ينفقوا) مثل يقيموا ومعطوف عليه (من) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (ينفقوا) ، والعائد محذوف أي رزقناهم إيّاه (رزقناهم) فعل ماض مبنيّ على السكون.. و (نا) فاعل، و (هم) مفعول به (سرّاً) مصدر في موضع الحال منصوب «٧٣٠» ، (علانية) معطوف على (سرّاً) بالواو منصوب (من قبل) جارّ ومجرور متعلّق ب (يقيموا) أو (ينفقوا) ، (أن) حرف مصدريّ (يأتي) مضارع منصوب (يوم) فاعل مرفوع (لا) نافية (بيع) مبتدأ مرفوع «٧٣١» ، (في) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بالخبر (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (خلال) معطوف على بيع مرفوع مثله.
والمصدر المؤوّل (أن يأتي ...) في محلّ جرّ مضاف إليه.

روائع البيان والتفسير

{ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ }
خِلَالَ

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف يسير: يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم { قُلْ } يا محمد { لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا } بك، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندي { يُقِيمُوا الصَّلَاةَ } يقول: قل لهم: فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم، فحوّلناهم من فضلنا سرّاً وعلانية، فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرّاً وإعلانا { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ } يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا، فيقبل منها الفدية، وتترك فلا تعاقب. فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضاً، إذ كان أخذ عوض من معترض منه. وقوله { وَلَا خِلَالَ } يقول: وليس، هناك مخالّة خليل، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته، بل هنالك العدل والقسط، فالخلال مصدر من قول القائل: خاللت فلانا فأنا أخاله مخالّة وخاللاً ومنه قول امرئ القيس:

٧٢٨ - في الآية السابقة (٣٠) .

٧٢٩ - في الآية السابقة (٣٠) .

٧٣٠ - أو مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه نوعه أي إنفاق السرّ.

٧٣١ - أو اسم (لا) العاملة عمل ليس، وخبر لا هو الجار والمجرور فيه.

صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُمْ مِنْ حَشْيِهِ الرَّذَى ... وَلَسْتُ بِمَقْلِي الْخِلَالِ وَلَا قَالِي

وجزم قوله { يُقِيمُوا الصَّلَاةَ } بتأويل الجزاء، ومعناه: الأمر يراد قل لهم ليقوموا الصلاة.

ثم قال - رحمه الله - : عن ابن عباس (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ) يعني الصلوات الخمس (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول: زكاة أموالهم.

وأضاف - رحمه الله - : وعن قتادة، في قوله { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ } قال قتادة: إن الله تبارك وتعالى قد علم أن في الدنيا بيوعا وخلالا يتخاللون بها في الدنيا، فينظر رجل من يخال وعلام يصاحب، فإن

كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فإنها ستنتقطع. اهـ (٧٣٢)

-وزاد ابن كثير في بيان قوله تعالي { وَلَا خِلَالَ } فقال:

والمراد من هذا أنه يجبر تعالي أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً لو وجدته، ولا ينفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافراً، قال الله تعالي: { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة: ١٢٣] ، وقال تعالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة: ٢٥٤]. اهـ (٧٣٣)

-وذكر الشنقيطي - رحمه الله - في بيانها ما مختصره: أمر تعالي في هذه الآية الكريمة بالمبادرة إلى الطاعات، كالصلوات والصدقات من قبل إتيان يوم القيامة الذي هو اليوم الذي لا بيع فيه ولا مخالفة بين خليلين، فينتفع أحدهما بخلة الآخر، فلا يمكن أحدا أن تباع له نفسه فيفديها، ولا خليل ينفع خليله يومئذ، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَةَ وَلَا شَفَاعَةَ } الآية [٢ \ ٢٥٤] ، وقوله: { فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } [٥٧ \ ١٥] وقوله: { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا } الآية [٢ \ ٤٨] ، ونحو ذلك من الآيات. اهـ (٧٣٤)

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) }

إعراب مفردات الآية (٧٣٥)

٧٣٢ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ /

٢٠٧٨٧/١٣)

٧٣٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥١٠)

٧٣٤ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٤٧)

(٧٣٥) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ١٩٣)

(الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (الذي) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع خبر (خلق) فعل ماضٍ، والفاعل هو (السموات) مفعول به منصوب، وعلامة النصب الكسرة (الأرض) معطوف على السموات بالواو منصوب (الواو) عاطفة (أنزل) مثل خلق (من السماء) جازّ ومجرور متعلّق ب (أنزل) «٧٣٦» ، (ماء) مفعول به منصوب (الفاء) عاطفة (أخرج) مثل خلق (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أخرج) ، (من الثمرات) جازّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من (رزقا) - نعت تقدّم على المنعوت، ومن تبعيضية - (رزقا) مفعول به منصوب عامله أخرج (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت ل (رزقا) «٧٣٧» ، (الواو) عاطفة (سخر) مثل خلق (لكم) مثل الأول متعلّق ب (سخر) ، (الفلك) مفعول به منصوب (اللام) للتعليل (تجري) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل هي (في البحر) جازّ ومجرور متعلّق ب (تجري) ، (بأمره) جازّ ومجرور متعلّق بحال من فاعل تجري.. و (الهاء) مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن تجري) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (سخر) .

(الواو) عاطفة (سخر لكم الأنهار) مثل سخر لكم الفلك.

روائع البيان والتفسير

{ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ }

قال السعدي في بيانه إجمالاً ما نصه: يخبر تعالى: أنه وحده { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } على اتساعهما وعظّمهما، { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، { فَأَخْرَجَ } بذلك الماء { مِنْ الثَّمَرَاتِ } المختلفة الأنواع { رِزْقًا لَكُمْ } ورزقا لأنعامكم. اهـ (٧٣٨)

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله -: يقول تعالى ذكره: الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثاً أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه { وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ } وهي السفن { لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ } لكم تركيبها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد { وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ } ماؤها شراب لكم، يقول تعالى ذكره: الذي يستحقّ عليكم العباداة وإخلاص الطاعة له، من هذه صفته، لا من لا يقدر على ضرّ ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وأهتكم. اهـ (٧٣٩)

٧٣٦ - أو متعلّق بمحذوف حال من ماء.

٧٣٧ - انظر الآية (٢٢) من سورة البقرة.

٧٣٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٦)

٧٣٩ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ /

-وأضاف القرطبي في بيان قوله تعالى {وسخر لكم الأنهار} : فقال: يعني البحار العذبة لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا، والبحار المالحة لاختلاف المنافع من الجهات. اهـ (٧٤٠)

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) }

إعراب مفردات الآية (٧٤١)

(الواو) عاطفة (سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ) مثل سَخَّرَ لَكُمْ الفلك (القمر) معطوف على الشمس بالواو ومنصوب (دائبين) حال منصوبة من الشمس والقمر، وعلامة النصب الياء (الواو) عاطفة (سَخَّرَ لَكُمْ الليل) مثل سَخَّرَ لَكُمْ الفلك (النهار) معطوف على الليل بالواو منصوب.

روائع البيان والتفسير

{ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ }

-قال القرطبي - رحمه الله- في بيانها إجمالاً: {وسخر لكم الشمس والقمر دائبين} أي في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، والدءوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية. وقيل: دائبين في السير امتثالاً لأمر الله، والمعنى يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران، روي معناه عن ابن عباس. {وسخر لكم الليل والنهار} أي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار، كما قال: {ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله} [القصص: ٧٣]. اهـ (٧٤٢)

-وزاد ابن كثير في بيان قوله تعالى: {وسخر لكم الشمس والقمر دائبين} فقال أي: يسيران لا يقران ليلاً ولا نهاراً، {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون} [يس: ٤٠] ، {يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [الأعراف: ٥٤] ، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار عارضان فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر، {يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير} [لقمان: ٢٩] ، وقال تعالى: {يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى} [الزمر: ٥]. اهـ (٧٤٣)

{ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) }

٧٤٠-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٦٧ / ٩)

(٧٤١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٩٤)

٧٤٢-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٦٧ / ٩)

٧٤٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٥١١)

(الواو) عاطفة (آتاكم) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، و (كم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (من كل) جار ومجرور متعلق ب (آتاكم)، (ما) اسم موصول مبني في محل جر مضاف إليه «٧٤٥»، (سألتم) فعل ماض وفاعله و (الواو) زائدة إشباع حركة الميم و (الهاء) ضمير مفعول به، ويعود على الله (الواو) استثنائية (إن) حرف شرط جازم (تعدوا) مضارع مجزوم فعل الشرط، وعلامة الجزم حذف النون.. و (الواو) فاعل (نعمة) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (لا) نافية (تحصوها) مضارع مجزوم جواب الشرط، ومثل تعدوا.. و (ها) ضمير مفعول به (إن) حرف توكيد ونصب (الإنسان) اسم إن منصوب (اللام) المزحلقة للتوكيد (ظلوم) خبر إن مرفوع (كفار) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ } أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيتكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك.

{ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا } فضلاً عن قيامكم بشكرها { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، آناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات. اهـ (٧٤٦)

-وأضاف القرطبي في بيانه لقوله تعالى { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } فقال: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ } أي نعم الله. { لا تحصوها } ولا تطيقوا عدّها، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق، نعم لا تحصى وهذه النعم من الله، فلم تبدلون نعمة

(٧٤٤)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٩٤)

٧٤٥ - أجاز بعضهم جعله حرفاً مصدريةً، فالضمير الغائب يعود على الموصول.

٧٤٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٦)

الله بالكفر؟! وهلا استعنتم بها على الطاعة؟! {إن الإنسان لظلوم كفار} {الإنسان لفظ جنس وأراد به الخصوص، قال ابن عباس: أراد أبا جهل. وقيل: جميع الكفار. اهـ (٧٤٧)}

{وَأِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)}

إعراب مفردات الآية (٧٤٨)

(الواو) استثنائية (إذ) اسم ظرفي مبني في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر (قال) فعل ماض (إبراهيم) فاعل مرفوع، ومنع من التنوين للعلمية والعجمة (رب) منادى مضاف منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف.. و (الياء) المحذوفة مضاف إليه (اجعل) فعل أمر دعائي (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبني في محل نصب مفعول به (البلد) بدل من ذا- أو عطف بيان- منصوب (آمنا) مفعول به ثان منصوب (الواو) عاطفة (اجنب) مثل اجعل و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (بني) معطوف على ضمير المتكلم المفعول منصوب وعلامة النصب الياء فهو ملحق بجمع المذكور السالم..

و (الياء) مضاف إليه (أن) حرف مصدرية ونصب (نعبد) مضارع منصوب، والفاعل نحن (الأصنام) مفعول به منصوب.

والمصدر المؤول (أن نعبد ...) في محل جرّ بحرف جرّ محذوف أي عن أن نعبد.. متعلق ب (أجني).

روائع البيان والتفسير

{وَأِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}

-قال السعدي - رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً: أي: {و} اذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الحالة الجميلة، إذ قال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ} أي: الحرم {آمناً} فاستجاب الله دعاءه شرعاً وقدرًا، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمة قدرًا ما هو معلوم، حتى إنه لم يردده ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.

ولما دعا له بالأمن دعا له ولبنيه بالأمن فقال: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} أي: اجعلني وإياهم جانباً بعيداً عن عبادتها والإمام بها. اهـ (٧٤٩)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في بيانه لقوله تعالى {رب اجعل هذا البلد آمناً} فقال ما مختصره: يذكر تعالى في هذا المقام محتجاً على مشركي العرب، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله

٧٤٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٦٧/٩)

(٧٤٨)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ١٩٦)

٧٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤٢٦/)

وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه، أهلة تبرا ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال: {رب اجعل هذا البلد آمنا} وقد استجاب الله له، فقال تعالى: {أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم} [العنكبوت: ٦٧] ، وقال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا} [آل عمران: ٩٦، ٩٧] ، وقال في هذه القصة: {رب اجعل هذا البلد آمنا} فعرفه كأنه دعا به بعد بنائها؛ ولهذا قال: {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق} [إبراهيم: ٣٩] ، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة، فإنه دعا أيضا فقال: {رب اجعل هذا بلدا آمنا} [البقرة: ١٢٦]. اهـ (٧٥٠)

-وزاد القرطبي بيانه لقوله تعالى {واجنبي وبني أن نعبد الأصنام} فقال-رحمه الله-: أي اجعلني جانبا عن عبادتها، وأراد بقوله: "اجنبي" بنيه من صلبه وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنما. وقيل: هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له. اهـ (٧٥١)

{ رَبِّ إِنِّي هُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) }

إعراب مفردات الآية (٧٥٢)

(رَبِّ) مثل الأول (إِنَّ) حرف مشبّه بالفعل.. وهنّ ضمير في محلّ نصب اسم أنّ أي الأصنام (أضللن) فعل ماض مبني على السكون..

و (النون) فاعل (كثيرا) مفعول به منصوب (من الناس) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (كثيرا) ، (الفاء) عاطفة لربط المسبّب بالسبب (من) اسم شرط جازم مبني في محلّ رفع مبتدأ (تبعني) فعل ماض مبني في محلّ جزم فعل الشرط ...

و (النون) للوقاية، و (الياء) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إنه) مثل إِنَّ (من) حرف جرّ و (النون) للوقاية و (الياء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر إنّ (الواو) عاطفة (من عصاني فَإِنَّكَ) مثل من تبعني فإنه.. (غفور) خبر إنّ مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ رَبِّ إِنِّي هُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }

٧٥٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٥١٢)

٧٥١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩/ ٣٦٨)

(٧٥٢)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٩٧)

- قال السعدي-رحمه الله-في تفسيرها إجمالاً ما نصه: أي: ضلوا بسببها، {فَمَنْ تَبِعَنِي} على ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين {فَإِنَّهُ مِنِّي} لتمام الموافقة ومن أحب قوما وتبعهم التحق بهم.

{وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وهذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه. اهـ (٧٥٣)

-وأضاف الشنقيطي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم قال: إن من تبعه فإنه منه، وأنه رد أمر من لم يتبعه إلى مشيئة الله تعالى، إن شاء الله غفر له ؛ لأنه هو الغفور الرحيم، وذكر نحو هذا عن عيسى ابن مريم في قوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} [٥ \ ١١٨] ، وذكر عن نوح وموسى التشديد في الدعاء على قومهما فقال عن نوح إنه قال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً} إلى قوله: {فاجرا كفاراً} [٧١ \ ٢٦ ، ٢٧] ، وقال عن موسى إنه قال: {ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم} [١٠ \ ٨٨] والظاهر أن نوحاً وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ما دعوا ذلك الدعاء على قومهما إلا بعد أن علما من الله أنهم أشقياء في علم الله لا يؤمنون أبداً، أما نوح فقد صرح الله تعالى له بذلك في قوله:

{وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن} [١١ \ ٣٦] ، وأما موسى فقد فهم ذلك من قول قومه له: {مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين} [٧ \ ١٣٢] ، فإنهم قالوا هذا القول بعد مشاهدة تلك الآيات العظيمة المذكورة في الأعراف وغيرها. اهـ (٧٥٤)

{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (٣٧)

إعراب مفردات الآية (٧٥٥)

(ربنا) منادى مضاف منصوب.. و (نا) ضمير مضاف إليه (إني أسكنت) مثل إهنت أضللن (من ذريتي) جارّ ومجرور متعلق بنعت للمفعول المحذوف أي بعضاً من ذريتي.. و (الياء) ضمير مضاف إليه (بواد) جارّ ومجرور متعلق ب (أسكن) وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الياء المحذوفة فهو اسم منقوص (غير) نعت لواد مجرور (ذي) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء (زرع) مضاف إليه مجرور (عند) ظرف مكان منصوب متعلق بنعت لواد (بيتك) مضاف إليه مجرور... و (الكاف) ضمير مضاف إليه (المحرّم) نعت لبيتك مجرور (ربنا)

٧٥٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص ٤٢٦/)

٧٥٤ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان(٢ / ٢٤٨)

(٧٥٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/١٩٨)

مثل الأول (اللام) للتعليل (يقيموا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلامة النصب حذف النون.. و (الواو) فاعل (الصلاة) مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (اجعل) فعل أمر دعائي، والفاعل أنت (أفئدة) مفعول به منصوب (من الناس) جارّ ومجرور متعلّق بنعت لأفئدة (تھوي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الباء، وجملة: «النداء ربّنا ...» لا محلّ لها استئناف في حيّز القول. والفاعل هي (إلى) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تھوي) (الواو) عاطفة (ارزقهم) مثل اجعل.. و (هم) ضمير مفعول به (من الثمرات) جارّ ومجرور متعلّق ب (ارزق) ، (لعلّهم) حرف ترجّ ونصب..

و (هم) ضمير في محلّ نصب اسم لعلّ (يشكرون) مضارع مرفوع.. و (الواو) فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ }

- قال القرطبي - رحمه الله- في تفسيره للآية ما مختصره: روى البخاري عن ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطلقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم فقئ إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت إذا لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم. حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات، ورفع يديه فقال: { ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع } [إبراهيم: ٣٧] حتى بلغ "يشكرون" وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، ثم جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليه، فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فذلك سعي الناس بينهما" فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه! تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت، إن كان عندك غواث! فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال: لو لم

تعرف من الماء- لكانت زمزم عينا معينا" قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن

ها هنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله وذكر الحديث بطوله «٧٥٦» اهـ (٧٥٧)

-وأضاف السعدي - رحمه الله- في بيانها: وذلك أنه أتى بـ "هاجر" أم إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي - إذ ذاك - ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء فقال -متضرعا متوكلا على ربه: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي { أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام وباقي بنيه كذلك وإنما أسكن في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: { بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ { أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة. اهـ (٧٥٨)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- فائدة فقال: وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه، تأكيدا ورغبة إلى الله، عز وجل؛ ولهذا قال: { عند بيتك المحرم } ١.

وقوله: { ربنا ليقيموا الصلاة } قال ابن جرير: هو متعلق بقوله: "المحرم" أي: إنما جعلته محرما ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده. اهـ (٧٥٩)

{ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه:

{ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ } أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيما لدينه، { فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } أي: تجبهم وتحب الموضوع الذي هم ساكنون فيه.

فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدا صلى الله عليه وسلم حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا له وصاروا مقيمي الصلاة.

وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

٧٥٦ - انظر الحديث بطوله في البخاري برقم / ٣٣٦٤

٧٥٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٦٨ / ٩)

٧٥٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٧)

٧٥٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٥١٣)

{وَأَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} فأجاب الله دعاءه، فصار يجي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب. اهـ (٧٦٠)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله -في بيانها فقال: {فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم} قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: لو قال: "أفئدة الناس" لزدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: {من الناس} فاختص به المسلمون.

وقوله: {وأرزقهم من الثمرات} أي: ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما أنه {وإذ غير ذي زرع} فاجعل لهم ثماراً يأكلونها. وقد استجاب الله ذلك، كما قال: {أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا} [القصص: ٥٧] وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته: أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة، وهي تجي إليها ثمرات ما حولها، استجابة لخليله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام. اهـ (٧٦١)

{رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} (٣٨)

إعراب مفردات الآية (٧٦٢)

(رَبَّنَا) مثل الأول (إِنَّكَ) مثل إِنْهَنْ.. (تعلم) مضارع مرفوع، والفاعل أنت (ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به (نخفي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء، والفاعل نحن (الواو) عاطفة (ما نعلن) مثل ما نخفي (الواو) واو الحال «٧٦٣»، (ما نافية) يخفي) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف (على الله) جارّ ومجرور متعلق ب (يخفي)، (من) حرف جرّ زائد (شيء) مجرور لفظاً مرفوع محلاً فاعل يخفي (في الأرض) جارّ ومجرور متعلق بنعت لشيء (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (في السماء) جارّ ومجرور متعلق بما تعلق به (في الأرض) لأنه معطوف عليه.

روائع البيان والتفسير

{رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: أي: أنت أعلم بنا منا، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها ما هو مقتضى علمك ورحمتك، {وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ

٧٦٠- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٧)

٧٦١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥١٤)

(٧٦٢)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (١٣/ ١٩٩)

٧٦٣ - أو اعتراضية إن كانت الجملة بعدها من كلامه تعالى ... ويحتمل كون (الواو) استئنافية والجملة بعدها من قول إبراهيم.

شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير وكثرة الشكر لله رب العالمين. اهـ (٧٦٤)

-وأضاف أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيرها: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} ... الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفي قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك. اهـ (٧٦٥)

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) }

إعراب مفردات الآية (٧٦٦)

(الحمد) مبتدأ مرفوع (الله) جازر ومجرور متعلق بخبر المبتدأ (الذي) موصول مبني في محل جر نعت للفظ الجلالة (وهب) فعل ماض، والفاعل هو وهو العائد (اللام) حرف جر و (الياء) ضمير في محل جر متعلق ب (وهب) (على الكبر) جازر ومجرور حال من الياء (إسماعيل) مفعول به منصوب، ومنع من التنوين للعلمية والعجمة (إسحاق) معطوف على إسماعيل بالواو منصوب مثله (إن) حرف توكيد ونصب (ربي) اسم إن منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدرة على ما قبل الياء.. و (الياء) مضاف إليه (اللام) المرحلقة للتوكيد (سميع) خبر إن مرفوع (الدعاء) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره للآية ما مختصره: يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به، وقولي {اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} وغير ذلك من دعائي ودعاء غيري، وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء. اهـ (٧٦٧)

٧٦٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٧)

٧٦٥- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ / ٢٧ / ٢٠٧٨٧)

(٧٦٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٢٠١)

٧٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ / ٢٧ / ٢٠٧٨٧)

-وأضاف السعدي- رحمه الله في بيانها: فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} أي: لقريب الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي. اهـ (٧٦٨)

{ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) }

إعراب مفردات الآية (٧٦٩)

(ربّ) مرّ إعرابه «٧٧٠»، (اجعلني) مثل اجنبي «٧٧١»، (مقيم) مفعول به ثان منصوب (الصلاة) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (من ذريتي) مرّ إعرابها «٧٧٢». متعلّق بنعت مقدّر معطوف على ضمير المتكلم في (اجعلني) أي: اجعلني مقيم الصلاة وبعضاً من ذريتي «٧٧٣»، (ربّنا) مرّ إعرابه «٧٧٤»، (الواو) عاطفة (تقبّل) فعل أمر دعائيّ، والفاعل أنت (دعاء) مفعول مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف- أو لمناسبة رؤوس الآي- و (الياء) المحذوفة ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه.

روائع البيان والتفسير

{ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها: قوله تعالى: {رب اجعلني مقيم الصلاة} أي من الثابتين على الإسلام والتزام أحكامه. {ومن ذريتي} أي واجعل من ذريتي من يقيمها. {ربنا وتقبل دعاء} أي عبادتي كما قال: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} [غافر: ٦٠]. اهـ (٧٧٥)

٧٦٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٧)

(٧٦٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٢٠٢)

٧٧٠ - في الآية (٣٥) من هذه السورة.

٧٧١ - في الآية (٣٥) من هذه السورة.

٧٧٢ - في الآية (٣٧) من هذه السورة.

٧٧٣ - قال أبو حيّان في البحر: «و (من) للتبويض لأنه أعلم أنّ من ذريته من يكون كافراً أو من يهمل إقامتها وإن كان مؤمناً» .

٧٧٤ - في الآية (٣٧) من هذه السورة.

٧٧٥-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٩ / ٣٧٥)

-وأضاف البغوي- رحمه الله- بتصرف ما مختصره: {ربنا وتقبل دعاء} أي: عملي وعبادتي، سمي العبادة دعاء،

وقيل: معناه: استجب دعائي. اهـ (٧٧٦)

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) }

إعراب مفردات الآية (٧٧٧)

(ربنا) مثل السابقة «٧٧٨» ، (اغفر) مثل تقبل (لي) مثل الأول متعلق ب (اغفر) ، (الواو) عاطفة (لوالدي) جارّ ومجرور متعلق بما تعلق به (لي) فهو معطوف عليه، وعلامة الجرّ الياء، و (الياء) الثانية مضاف إليه (الواو) عاطفة (للمؤمنين) جارّ ومجرور متعلق بما تعلق به (لي) فهو معطوف عليه، وعلامة الجرّ الياء، (يوم) ظرف زمان منصوب متعلق به (اغفر) ، (يقوم) مضارع مرفوع (الحساب) فاعل مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: {ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين} قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله. قال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه. قلت: وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، "رب اغفر لي ولوالدي" يعني. أباه. وقيل: استغفر لهما طمعا في إيمانهما. وقيل: استغفر لهما بشرط أن يسلما وقيل: إنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبراهيم النحعي يقرأ: "لولدي" يعني ابنيه، وكذلك قرأ يحيى بن يعمر، ذكره الماوردي والنحاس. {وللمؤمنين} قال ابن عباس: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: "للمؤمنين" كلهم وهو أظهر. {يوم يقوم الحساب} أي يوم يقوم الناس للحساب. اهـ (٧٧٩)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى {يوم يقوم الحساب} فقال: أي: يوم تحاسب عبادك فتحزبهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. اهـ (٧٨٠)

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) }

إعراب مفردات الآية (٧٨١)

٧٧٦- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٥٨)

(٧٧٧)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٢٠٣)

٧٧٨ - في الآية (٣٧) من هذه السورة.

٧٧٩-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٩/ ٣٧٥)

٧٨٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٥١٤)

(٧٨١)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٢٠٤)

(الواو) استثنائية (لا) ناهية جازمة (تحسين) مضارع مبني على الفتح في محلّ جزم، والفاعل أنت و (النون) للتوكيد (الله) لفظ الجلالة مفعول به أول منصوب (غافلا) مفعول به ثان منصوب (عن) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «٧٨٢» (يعمل) مضارع مرفوع (الظالمون) فاعل مرفوع، وعلامة الرفع الواو (إنّما) كإفّة ومكفوفة (يؤخّروهم) مثل يعمل ... و (هم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (ليوم) جارّ ومجرور متعلّق به (يؤخّر) ، (تشخص.. الأبخار) مثل يعمل الظالمون (في) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (تشخص) .

روائع البيان والتفسير

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ }

- قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: قوله تعالى: { ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون } وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أعجبه من أفعال المشركين ومخالفتهم دين إبراهيم، أي اصبر كما صبر إبراهيم، وأعلم المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم، بل سنة الله إمهال العصاة مدة. قال ميمون بن مهران: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. { إنّا يؤخّروهم } يعني مشركي مكة يمهلهم ويؤخر عذابهم. اهـ (٧٨٣)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن الله يملئ للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفله { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد } والظلم -هاهنا- يشمل الظلم فيما بين العبد وربّه وظلمه لعباد الله. { إنّا يؤخّروهم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ } أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل. اهـ (٧٨٤)

{ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) }

إعراب مفردات الآية (٧٨٥)

(مهطعين) حال منصوبة من الأبخار لأنها دالة على أصحابها وعلامة النصب الياء «٧٨٦» ، (مقنعي) حال ثانية منصوبة مثل معطهين (رؤوسهم) مضاف إليه مجرور و (هم) مضاف إليه (لا) حرف للنفي (يرتدّ) مثل يعمل (إلى) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق - (يرتدّ) ، (طرفهم) فاعل مرفوع، و (هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (أفئده) مبتدأ مرفوع و (هم) مثل الأخير (هواء) خبر مرفوع.

٧٨٢ - أو اسم موصول في محلّ جرّ، والجملة بعده صلة، والعائد محذوف أي يعمل الظالمون.

٧٨٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٧٦ / ٩)

٧٨٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص /٤٢٧)

(٧٨٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٢٠٥/١٣)

٧٨٦ - أو مفعول به لفعل محذوف تقديره تراهم، فالرؤية قلبية، أو حال من الضمير في (تراهم) ، فالرؤية بصرية.

{ مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ }

- قال القرطبي - رحمه الله - في بيانها ما مختصره: { مهطعين } أي مسرعين، قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير، مأخوذ من أهطع يهطع إهطاعا إذا أسرع ومنه قوله تعالى: { مهطعين إلى الداع } [القمر: ٨] أي مسرعين. قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

وقيل: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع، أي ناظرين من غير أن يطرفوا، قاله ابن عباس، وقال مجاهد والضحاك: "مهطعين" أي مدمي النظر. وقال النحاس: والمعروف في اللغة أن يقال: أهطع إذا أسرع، قال أبو عبيد: وقد يكون الوجهان جميعا يعني الإسراع مع إدامة النظر. وقال ابن زيد: المهطع الذي لا يرفع رأسه. اهـ (٧٨٧)

- وأضاف ابن كثير - رحمه الله في بيانه لبقية الآية ما مختصره: وقوله: { مقنعي رؤوسهم } قال ابن عباس، ومجاهد وغير واحد: رافعي رؤوسهم.

{ لا يرتد إليهم طرفهم } أي: أبصارهم طائرة شاحصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يجل بهم، عياذا بالله العظيم من ذلك؛ ولهذا قال: { وأفئدتهم هواء } أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الفزع و الوجل والخوف. ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف. وقال بعضهم: { هواء } خراب لا تعي شيئا. اهـ (٧٨٨)

{ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) }

إعراب مفردات الآية (٧٨٩)

(الواو) استئنافية (أنذر) فعل أمر، والفاعل أنت (الناس) مفعول به منصوب (يوم) مفعول به ثان منصوب وهو على حذف مضاف أي أنذرهم أهواله (يأتيهم) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء، و (هم) ضمير مفعول به، (العذاب) فاعل مرفوع (الفاء) عاطفة (يقول) مثل يأتي (الذين) اسم موصول مبني

٧٨٧-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٣٧٦ / ٩)

٧٨٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤ / ٥١٥)

(٧٨٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٢٠٧)

في محلّ رفع فاعل (ظلموا) فعل ماضٍ وفاعله (رَبَّنَا) مرّ إعرابها «٧٩٠» ، (أَخْرَجْنَا) ، مثل انذر.. و (نا) ضمير مفعول به (إلى أجل) جارّ ومجرور متعلّق ب (أَخْرَجْنَا) ، (قريب) نعت لأجل مجرور نجب) مضارع مجزوم جواب الطلب، والفاعل نحن (دعوتك) مفعول به منصوب.. و (الكاف) مضاف إليه (الواو) عاطفة (تتبع الرسل) مثل نجب دعوتك وحرك آخر الفعل بالكسر لالتقاء الساكنين (الهمزة) للاستفهام (الواو) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (تكونوا) مضارع ناقص مجزوم، وعلامة الجزم حذف النون ... و (الواو) اسم تكون (أقسمتم) فعل ماضي مبني على السكون.. و (تم) ضمير فاعل (ما) نافية (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم (من) حرف جرّ زائد (زوال) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر.

روائع البيان والتفسير

{ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُبِئْتُكَ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَم تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ } أي: صف لهم صفة تلك الحال وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، { فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا } بالكفر والتكذيب وأنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا ساتلين للرجعة في غير وقتها، { رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ } أي: ردّنا إلى الدنيا فإننا قد أبصرنا، { نُبِئْتُكَ دَعْوَتِكَ } والله يدعو إلى دار السلام { وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ } وهذا كله لأجل التخلص من العذاب وإلا فهم كذبة في هذا الوعد { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه } . اهـ (٧٩١)

- وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها: وقال تعالى رادا عليهم في قولهم هذا: { أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال } أي: أو لم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحال: أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فذوقوا هذا بذاك.

قال مجاهد وغيره: { ما لكم من زوال } أي: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، كما أخبر عنهم تعالى:

{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلِيٍّ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا } [النحل: ٣٨] . اهـ (٧٩٢)

{ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥) }

إعراب مفردات الآية (٧٩٣)

٧٩٠ - في الآية (٣٧) من هذه السورة.

٧٩١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٢٧/)

٧٩٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥١٦)

(٧٩٣)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٢٠٨/١٣)

(الواو) عاطفة (سكنتم) مثل أقسمتم (في مساكن) جازّ ومجور متعلّق ب (سكنتم) ، (الذين) موصول مضاف إليه (ظلموا) مثل الأول (أنفسهم) مفعول به منصوب.. و (هم) مضاف إليه (الواو) استئنافية (تبيّن) فعل ماض والفاعل محذوف مفهوم من سياق الكلام أي تبيّن حالهم (كيف) اسم استفهام مبنيّ في محلّ نصب حال عاملها (فعلنا) وهو فعل وفاعل (الباء) حرف جرّ و (هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (فعلنا) ، (الواو) استئنافية (ضربنا) مثل فعلنا (لكم) مثل الأول متعلّق ب (ضربنا) ، (الأمثال) مفعول به منصوب.

روائع البيان والتفسير

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ {

-قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {وسكنتم} في الدنيا، {في مساكن الذين ظلموا أنفسهم} بالكفر والعصيان، قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. {وتبين لكم كيف فعلنا بهم} أي: عرفتم عقوبتنا إياهم، {وضربنا لكم الأمثال} أي: بينا أن مثلكم كمثلهم. اهـ (٧٩٤)

-وزاد السعدي في بيانها فقال- رحمه الله- ما نصه: {و} ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل {سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم} من أنواع العقوبات؟ وكيف أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم ودمتم على باطلكم حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر باطل. اهـ (٧٩٥)

{ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) }

إعراب مفردات الآية (٧٩٦)

(الواو) استئنافية (قد) حرف تحقيق (مكروا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ... و (الواو) فاعل (مكروهم) مفعول مطلق منصوب «٧٩٧». (هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (عند) ظرف منصوب متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (مكروهم) مبتدأ مؤخر مرفوع، وهو على حذف مضاف أي جزاء

٧٩٤- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٣٦٠)

٧٩٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٧)

(٧٩٦)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣ / ٢٠٩)

٧٩٧ - قال أبو حيّان: «المحفوظ أن مكر لا يتعدّى إلى مفعول به بنفسه، قال تعالى: وإذ يمكر بك الذين كفروا، ولا يحفظ زيد ممكور وإنما يقال ممكور به»

مكرهم أو علم مكرهم.. و (هم) مثل الأوّل (الواو) استثنائية (إن) نافية «٧٩٨» ، (كان) فعل ماض ناقص - ناسخ «٧٩٩» - (مكرهم) اسم كان مرفوع، و (هم) مثل الأوّل (اللام) لام التعليل «٨٠٠» ، (نزول) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (من) حرف جرّ و (الماء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (نزول) ومن سببته (الجبال) فاعل مرفوع.
والمصدر المؤوّل (أن نزول) في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر كان «٨٠١».

روائع البيان والتفسير

{ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً ما نصه: { وَقَدْ مَكَرُوا } أي: المكذبون للرسول { مَكْرُهُمْ } الذي وصلت إرادتهم وقدر لهم عليه، { وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ } أي: هو محيط به علماً وقدرة فإنه عاد مكرهم عليهم { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }
{ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسول بالحق وبمن جاء به - من عظمه - لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: { مَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا } لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم.

ويدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسول لينصر باطلاً أو يبطل حقاً، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئاً، ولم يضرروا الله شيئاً وإنما ضرروا أنفسهم. اهـ (٨٠٢)

- وزاد ابن كثير - رحمه الله - بياناً في تفسيره لقوله تعالى { وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } فقال: وروى العوفي عن ابن عباس في قوله: { وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } يقول: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال.

٧٩٨ - أو مخففة من (إنّ) ، أي إنهم مكروا لإزالة ما يوازي الجبال ثبوتاً ولكنهم عجزوا عن ذلك. وهي شرطية على رأي ابن هشام.

٧٩٩ - أو هي تامّة أي: ما وجد مكرهم لتزول منه الشرائع والنبؤات التي هي كالجبال في رسوخها.

٨٠٠ - رفض ابن هشام أن تكون اللام للحجود وقال مختصراً: «في هذا القول نظر لأنّ حرف النفي هو غير (ما) أو (لم) كما أنّ فاعلي (كان) و (نزول) مختلفان.. والظاهر أنّها لام كي و (إن) شرطية أي: وعند الله جزاء مكرهم وهو مكر أعظم منه، وإن كان مكرهم لشدّته معدّاً لأجل زوال الأمور العظيمة المشبهة في عظمتها بالجبال» اهـ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي فعند الله جزاء مكرهم.

٨٠١ - أو متعلّق ب (كان) التام.

٨٠٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص ٤٢٧/)

وكذا قال الحسن البصري، ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من كفرهم بالله وشركهم به، ما ضر ذلك شيئاً من الجبال ولا غيرها، وإنما عاد وبال ذلك على أنفسهم.
قلت: ويشبه هذا إذا قوله تعالى: {ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً} [الإسراء: ٣٧].

والقول الثاني في تفسيرها: ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: {وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال} يقول شركهم، كقوله: {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً} [مريم: ٩٠ - ٩١] ، وهكذا قال الضحاك وقتادة. اهـ (٨٠٣)

{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧)}

إعراب مفردات الآية (٨٠٤)

(الفاء) عاطفة لربط المسبب بالسبب «٨٠٥»، (لا تحسبنَّ الله مخلف) مثل ولا تحسبنَّ الله غافلاً «٨٠٦»، (وعده) مضاف إليه مجرور.. و (الهاء) مضاف إليه (رسله) مفعول به أول لاسم الفاعل مخلف المضاف إلى مفعوله الثاني وعد «٨٠٧» و (الهاء) مثل الأخير (إنّ) حرف توكيد ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ (عزيز) خبر إنّ مرفوع (ذو) خبر ثان مرفوع، وعلامة الرفع الواو (انتقام) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها: قول تعالى: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ} بنجاحهم ونجاة أتباعهم وسعادتهم وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه لأنه، وعد به الصادق قولاً على السنة أصدق خلقه وهم الرسل، وهذا أعلى ما يكون من الأخبار، خصوصاً وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعالى لا يعجزه شيء فإنه {عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه. اهـ (٨٠٨)

٨٠٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥١٧)

(٨٠٤) - الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٣ / ٢١٠)

٨٠٥ - أو رابطة لجواب شرط مقدر.

٨٠٦ - في الآية (٤٢) من هذه السورة.

٨٠٧ - إذا تعدى (مخلف) إلى واحد فإنّ (رسل) يكون مفعولاً للمصدر وعد.

٨٠٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٨)

-وأضاف أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} ما مختصره: يعني بقوله {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} لا يمانع منه شيء أراد عقوبته، قادر على كل من طلبه، لا يفوته بالهزب منه. {ذُو انتِقَامٍ} ممن كفر برسله وكذبهم، وجحد نبوتهم، وأشرك به واتخذ معه إلهًا غيره. اهـ (٨٠٩)

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)}

إعراب مفردات الآية (٨١٠)

(يوم) ظرف زمان منصوب متعلق بانتقام «٨١١»، (تبدل) مضارع مبني للمجهول مرفوع (الأرض) نائب الفاعل مرفوع (غير) مفعول به منصوب «٨١٢» «٦»، (الأرض) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (السموات) معطوف على نائب الفاعل مرفوع (الواو) استئنافية (برزوا) مثل مكروا (الله) جارّ ومجرور ومتعلق ب (برزوا) على حذف مضاف أي لجزاء الله (الواحد) نعت للفظ الجلالة مجرور (القهار) نعت ثان مجرور.

روائع البيان والتفسير

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}

-قال السعدي-رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} تبدل غير السماوات، وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعاً صافياً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله -تعالى- يمينه.

{وَبَرَزُوا} أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء، {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} أي: المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدييره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه. اهـ (٨١٣)

-وزاد ابن كثير رحمه الله- في تفسيرها بياناً فقال ما مختصره وبتصرف: أي: وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء في الصحيحين، عن سهل بن سعد قال:

٨٠٩- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ / ٢٠٧٨٧/٤٤)

(٨١٠)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٢١١)

٨١١ - أو متعلق بخلف وعده رسله.. وإنّ وما بعدها اعتراض. أو هو مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر.

٨١٢ - وهو في الأصل نعت محذوف أي أرضاً غير الأرض.

٨١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(ص / ٤٢٨)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة ثم أضاف -
رحمه الله:

وقوله: {وبرزوا لله} أي: خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله {الواحد القهار} أي: الذي فهر كل شيء
وغلبه، ودانت له الرقاب، وخضعت له الأبواب. اهـ (٨١٤)

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩)}

إعراب مفردات الآية (٨١٥)

(الواو) استثنائية (ترى) مضارع مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف، والفاعل أنت (المجرمين)
مفعول به منصوب، وعلامة النصب الياء (يومئذ) ظرف منصوب «٨١٦» متعلق ب (ترى) .. إذ ظرف
مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، والتنوين عوض من جملة محذوفة (مقرنين) حال منصوبة من
المجرمين، وعلامة النصب الياء (في الأصفاذ) جار ومجرور متعلق بمقرنين «٨١٧» .

روائع البيان والتفسير

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}

- قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها : يقول تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات} وتبرز
الخلائق لديانها، ترى يا محمد يومئذ المجرمين، وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم، {مقرنين} أي: بعضهم
إلى بعض، قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم، كل صنف إلى صنف، كما قال تعالى: {احشروا الذين
ظلموا وأزواجهم} [الصفات: ٢٢] ، وقال: {وإذا النفوس زوجت} [التكوير: ٧] ، وقال: {وإذا ألقوا
منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا} [الفرقان: ١٣] ، وقال: {والشياطين كل بناء وغواص وآخرين
مقرنين في الأصفاذ} [ص: ٣٧، ٣٨] .

والأصفاذ: هي القيود، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والأعمش، وعبد الرحمن بن زيد. اهـ (٨١٨)

{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ جُوهُهُمْ النَّارُ (٥٠)}

إعراب مفردات الآية (٨١٩)

٨١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٥٢٢)

(٨١٥)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٢١٢)

٨١٦ - أو مبني ركب مع إذ كالمركبات الظرفية المبنية.

٨١٧ - أو متعلق بحال ثانية من المجرمين.

٨١٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٥٢٢)

(٨١٩)-الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٢١٣)

(سرايلهم) مبتدأ مرفوع و (هم) ضمير مضاف إليه (من فطران) جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ (الواو) عاطفة (تغشى) مثل ترى (وجوههم) مفعول به منصوب، و (هم) مثل الأول (النار) فاعل تغشى مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ سَرَايِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { سَرَايِلُهُمْ } أي: ثيابهم { مِنْ قَطْرَانٍ } وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها وبتن ريجها، { وَتَغَشَى وَجُوهَهُمْ } التي هي أشرف ما في أبدانهم { النَّارُ } أي: تحيط بها وتصلها من كل جانب، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلماً من الله لهم وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا. اهـ (٨٢٠)

{ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) }

إعراب مفردات الآية (٨٢١)

(اللام) للتعليل (يجزي) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (كلّ) مفعول به منصوب (نفس) مضاف إليه مجرور (ما) موصول مفعول به، والعائد محذوف (كسبت) فعل ماضٍ، و (التاء) للتأنيث، والفاعل هي.

والمصدر المؤوّل (أن يجزي) في محلّ جرّ باللام متعلق بفعل محذوف تقديره فعل ذلك.

(إنّ الله سريع) مثل إنّ الله عزيز «٨٢٢»، (الحساب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }

- قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها: { لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ } يقول: فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، كيما يثيب كلّ نفس بما كسبت من خير وشرّ، فيجزّي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته { إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } يقول: إنّ الله عالم بعمل كلّ عامل، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كفّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علماً، لا يعزب عنه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره. اهـ (٨٢٣)

٨٢٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٨)

(٨٢١)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/٢١٤)

٨٢٢ - في الآية (٢٧) من هذه السورة.

٨٢٣ - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر -نشر: مؤسسة الرسالة (١٧ /

-وزاد ابن كثير بياناً لقوله تعالى : { إن الله سريع الحساب } فقال: يحتمل أن يكون كقوله تعالى: { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون } ويحتمل أنه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز؛ لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى: { ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة } [لقمان: ٢٨] ، وهذا معنى قول مجاهد: { سريع الحساب } إحصاء . ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين، والله أعلم. اهـ (٨٢٤)

{ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢) }

إعراب مفردات الآية (٨٢٥)

ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (بلاغ) خبر مرفوع (للناس) جارّ ومجرور متعلّق ببلاغ «٨٢٦» ، (الواو) عاطفة (اللام) للتعليل (ينذروا) مضارع مبنيّ للمجهول منصوب، وعلامة نصب حذف النون.. و (الواو) نائب الفاعل (الباء) حرف جرّ و (الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ينذروا) والباء سببيّة. والمصدر المؤوّل (أن ينذروا) في محلّ جرّ باللام متعلّق بفعل محذوف تقديره أنزل ذلك «٨٢٧» معطوفاً على مقدّر أي: أنزل ذلك لينصحوها ولينذروا ...

(الواو) عاطفة (ليعلموا) مثل لينذروا في البناء للمعلوم (أنما) كافّة ومكفوفة (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (إله) خبر مرفوع (واحد) نعت لإله مرفوع (الواو) عاطفة (اللام) للتعليل (يذكّر) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (أولو) فاعل مرفوع وعلامة الرفع (الواو) ، فهو ملحق بجمع المذكر (الألّباب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها: يقول تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس، كقوله: { لأنذركم به ومن بلغ } [الأنعام: ١٩] ، أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان، كما قال في أول السورة: { الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم }

٨٢٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٥٢٣)

(٨٢٥)- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٣/ ٢١٥)

٨٢٦ - أو محذوف نعت لبلاغ.

٨٢٧ - أو متعلّق ببلاغ إذا كان الجارّ (للناس) نعتا.

{ولينذروا به} أي: ليتعظوا به، {وليعلموا أنما هو إله واحد} أي: يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو {وليتذكر أولو الألباب} أي: ذوو العقول. اهـ (٨٢٨)

-وزاد السعدي- رحمه الله- بياناً لقوله تعالى: {وَلْيَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ} فقال: أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الألباب والبصائر.

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتنورت أفكارهم لما أخذوه غضاً طرياً فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها.

وهذه القاعدة إذا تدرّب بها العبد الذكي لم يزل في صعود ورفي على الدوام في كل خصلة حميدة. اهـ (٨٢٩)

-وأضاف الشنقيطي- رحمه الله- ما مختصره: بين في هذه الآية الكريمة أن من حكم إنزال القرآن العظيم العلم بأنه تعالى إله واحد، وأن من حكمه أن يتعظ أصحاب العقول، وبين هذا في مواضع أخر فذكر الحكمة الأولى في أول سورة هود في قوله: {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله} [١١ \ ١، ٢] ، وذكر الحكمة الثانية في قوله: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} [٣٨ \ ٢٩] وهم أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، واحد الألباب لب بالضم، والعلم عند الله تعالى. اهـ (٨٣٠)

أحكام وفوائد سورة إبراهيم

سورة إبراهيم عليه السلام فيها أحكام وفوائد ينبغي الإمام بما لأهميتها ونذكر بعضها هنا والله المستعان.

قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)}

قلت: مهمة الرسل هي بيان أمر الله وشريعته والدعوة إلى توحيده و إخلاص العبودية له سبحانه وتعالى ومن سنن الله ورحمته أنه لا يعذب أمة حتى يأتيها البيان حتى لا تكون لها حجة وجعل مهمة البيان لمن اصطفاهم بالرسالة والنبوة قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ . (سورة المائدة الآية: ٦٧) وبلسانهم ليفقهوا قوله كما جاء علي لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى { وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) } -طه

٨٢٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥٢٣)

٨٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (ص / ٤٢٨)

٨٣٠ - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢ / ٢٥١)

وفي هذه الآية ايضاً يستدل بما عن حكم من يريد الدعوة في قوم لا يتكلمون العربية هل يدعون بلغة القرآن أم بلغة القوم؟ ولقد سئل العلامة ابن العثيمين - رحمه الله تعالى - : ما حكم الخطبة بغير اللغة العربية؟ فأجاب فضيلته - رحمه الله - بقوله مبيناً الحكم من الآية: الصحيح في هذه المسألة أنه يجوز لخطيب الجمعة أن يخاطب باللسان الذي لا يفهم الحاضرون غيره، فإذا كان هؤلاء القوم مثلاً ليسوا بعرب ولا يعرفون اللغة العربية فإنه يخاطب بلسانهم؛ لأن هذا هو وسيلة البيان لهم،

والمقصود من الخطبة هو بيان حدود الله سبحانه وتعالى للعباد، ووعظهم، وإرشادهم، إلا أن الآيات القرآنية يجب أن تكون باللغة العربية، ثم تفسر بلغة القوم، ويدل على أنه يخاطب بلسان القوم ولغتهم قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } فبين الله تعالى أن وسيلة البيان إنما تكون باللسان الذي يفهمه المخاطبون. والله أعلم. اهـ (٨٣١)

- قال تعالى { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨) }

الأمثال في القرآن كثيرة و تضرب لنا أروع التوجيهات وأبلغها في البيان بأقرب طريق، وأوضح صورة، وفيها من العبر الكثير وكفي بقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِمَنْ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ - العنكبوت: ٤٣

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن هذا القرآن ينزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف؛ حلال وحرام، وأمر وزجر، وضرب أمثال، ومحكم ومتشابه، فأجل حلال الله، وحرّم حرامه، وأفعل ما أمر الله، وانهى عما نهى الله عنه، واعتبر بأمثاله، واعمَلْ بمُحكّمه، وآمنْ بمتشابهه، وَقُلْ: ﴿ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ - آل عمران. (٨٣٢)

وفي هذا المثل الذي ضربه الله تعالى في تشبيه أعمال الكفار برماد ذكر ابن القيم - رحمه الله - فوائد جمّة منه قال ما مختصره:

شبهه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ربح شديدة في يوم عاصف؛ فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهاها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه؛ فلذلك قال: { لا يقدرُونَ مما كَسَبُوا على شيء } [إبراهيم: ١٨] لا يقدرُونَ يوم القيامة مما كَسَبُوا

٨٣١- انظر مجموع فتاوي ورسائل محمد بن العثيمين - (١١٦/١١٢) - جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان - الناشر : دار الوطن - دار الثريا - الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ

٨٣٢ - أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٥٥٣) وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في

من أعمالهم على شيء، فلا يرون له أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه، والأعمال أربعة، فواحد مقبول وثلاثة مردودة؛ فالمقبول الخالص الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله، والثلاثة المردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهاها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر النار على أصحابها وينشئ

الله لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره. (هـ/٨٣٣)

قال تعالي { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) }

قلت: الشيطان هو العدو الأزلي للإنسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها فقد قال تعالي ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) - فاطر

والشيطان لا يريد لذرية آدم عليه السلام الخير بل هدفه واضح في قوله تعالي { قَالَ فِيمَا أُعْوَيْتَنِي لأفُعدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) } ثُمَّ لَا يَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا بَجْدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) } - الأعراف

ومن ثم فلا عجب أن يتبرأ من كل اتباعه الذين اضلهم ووسوس لهم حتى ضلوا الطريق عن الصراط المستقيم وفي هذه الآية فائدة ذكرها ابن القيم فقال - رحمه الله -:

وهاهنا نكتة بديعة يجب التفطن لها وينبغي إخلاء القلب لتأملها وهو أن هذا المغرور لما أذل سلطان الله الذي أعزه به وشرفه ورفع به قدره وسلمه في يد أبغض أعدائه إليه وجعله أسيرا له تحت قهره وتصرفه وسلطانه سلط الله عليه من كان حقه هو أن يتسلط عليه فجعله تحت قهره وتصرفه وسلطانه يسخره حيث شاء ويسخر منه ويسخر منه جنده وحزبه فكما أذل سلطان الله وسلمه إلى عدوه أذله الله وسلط عليه عدوه الذي أمره أن يتسلط هو عليه ويذله ويقهره فصار بمنزلة من سلم نفسه إلى أعدى عدو له يسومه سوء العذاب وقد كان بصدد أن يستأسره ويقهره ويشفي غيظه منه فلما ترك مقاومته ومحاربتة واستسلم له سلط عليه عقوبة له قال الله تعالي { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } .

فإن قيل فقد أثبت له على أوليائه هاهنا سلطانا فكيف نفاه بقوله تعالى حاكيا عنه مقرر له { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } وقال تعالى { وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنْعَلَمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ }

قيل: السلطان الذي أثبت له عليهم غير الذي نفاه من وجهين أحدهما أن السلطان الثابت هو سلطان التمكّن منهم وتلاعبه بهم وسوقه إياهم كيف أراد بتمكينهم إياه من ذلك بطاعته وموالاته والسلطان الذي نفاه سلطان الحجة فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان الثاني أن الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة ولكن هم سلطوه على انفسهم بطاعته ودخولهم في جملة جنده وحزبه فلم يتسلطن عليهم بقوته فإن كيده ضعيف وإنما تسلطن عليهم بإرادتهم واختيارهم والمقصود أن من قصد أعظم أوليائه وأحبابه ونصحائه فأخذه وأخذ أولاده وحاشيته وسلمهم إلى عدوه كان من عقوبته أن يسلط عليه ذلك العدو نفسه. اهـ (٨٣٤)

- قال تعالى: { أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) }

في هاتين الآيتين فوائد عظيمة فالمثل المضروب يدل على أن الكلمة الطيبة أو العمل الصالح أثار ذلك يستمر وينمو بفضل الله تعالى وكرمه ولو علمنا أن هذه الكلمة كما قيل في تفسيرها هي خير ما قاله الأنبياء وهي قول لا إله إلا الله لعلمنا عظمتها ومكانتها وقد ثبت في كثير من الأحاديث ذلك منها علي سبيل المثال لا الحصر:

- فعن قوله تعالى { أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } ففيها فوائد كثيرة من تشبيه الكلمة بالشجرة ونبدأ ونقول بحول الله وقوته:

ثبت في الحديث القدسي الصحيح عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم! لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم! لوأنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (٨٣٥)

- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ

مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَقَائِعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» (٨٣٦)

-ومما ذكر أهل العلم من فوائد عن هذه الآية ما يلي:

قال ابن بطال-رحمه الله-: وكذلك المسلم يأتي الخير كل حين من الصلاة، والصوم، وذكر الله تعالى، فكأن

الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته. اهـ (٨٣٧)

-وقال ابن القيم- رحمه الله- ما مختصره وبتصرف يسير: فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛

لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون "الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله" فإنها تثمر

جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو

المؤمن، أصلها ثابت قول لا إله إلا الله، في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى

السماء".

وقال الربيع بن أنس: "كلمة طيبة هذا مثل الإيمان؛ فالإيمان الشجرة الطيبة. وأصلها الثابت الذي لا يزول

الإخلاص فيه، وفرعه في السماء خشية الله" والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن؛ فإنه سبحانه

شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوا، التي لا تزال تؤتي

ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيت مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب، التي فروعها

من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت؛ بحسب

ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها.

ثم أضاف- رحمه الله- بعد كلام:

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد بها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا وإثباتا متصفا بموجبها قائما قلبه

ولسانه وجوارحه بشهادته، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل من هذا الشاهد، أصلها ثابت

راسخ في قلبه، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.

وفي نهاية طرحه- حمه الله- قال:

وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته.

٨٣٦ - أخرجه البخاري برقم/٩٩- باب الحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ

٨٣٧ - شرح صحيح البخاري لابن بطال(١/١٤١) دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام؛ ليطابق المشبه المشبه به، فعروقتها العلم والمعرفة واليقين، وساقها الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها ما توجهه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات

لممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدي والدل المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله والإخلاص قائم في القلب والأعمال موافقة للأمر، والهدي والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. اهـ (٨٣٨)

- وعن قوله تعالى في الآية { تُوْرِيْ أْكُلْهَا كُلَّ حِيْنٍ } قال ابن العربي - رحمه الله - في احكامه:

في تفسير الحين في الآية : وفيه عشرة أقوال وبعد أن ذكرها قال:

إن الحين ظرف زمان، وهو مبهم لا تخصيص فيه، ولا تعيين في المفسر له، وهذا مقرر لغة، مجمع عليه من علماء اللسان، وإنما يفسره ما يقتزن به، وهو يحتمل ساعة لحظية، ويحتمل يوم الساعة الأبدية، ويحتمل حال العدم لقوله تعالى: { هل أتى على الإنسان حين من الدهر } [الإنسان: ١]. ولأجل إبهامه علق الوعيد به، ليغلب الخوف، لاستغراق مدة العذاب نهاية الأبد فيه، فيكف عن الذنب، أو يرجو لاقتضاء الوعيد أقل مدة احتماله؛ فيغلب الرجاء، ولا يقع اليأس عن المغفرة الذي هو أشد من الذنب، ثم يفعل الله ما يشاء. وتعلق من قال: إن الحين غدوة وعشية بقوله تعالى: { فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون } [الروم: ١٧]، ومن قال: إنه ثلاثة أيام نزع بقوله تعالى في قصة ثمود: { وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين } [الذاريات: ٤٣]. وتعلق ابن المسيب ببقاء الثمر في النخل.

واستدل من قال: إنه ستة أشهر بأنه مدة الثمر من حين الابتداء إلى حين الجني. وتعلق من قال: إنه يوم القيامة بقوله تعالى: { حتى حين } [الذاريات: ٤٣]. وتعلق من قال: إنه سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة بأخبار إسرائيلية وردت في مدة بقاء يوسف في السجن باختلاف في الرواية عنهم ومن هذه الأقوال صحيح وفاسد، وقوي وضعيف؛ وأظهرها اللحظة؛ لأنه اللغة والجهول؛ لأنه لا يعلم مقداره على التعيين، والشهران والستة أشهر والسنة لأنها كلها تخرج من ذكر الحين في ذكر النخلة في القرآن والسنة.

وروى ابن وهب، وابن القاسم عن مالك: من نذر أن يصوم حيناً فليصم سنة. قال الله تعالى: { تُوْرِيْ أْكُلْهَا كُلَّ حِيْنٍ } [إبراهيم: ٢٥]. وروى أشهب، عن مالك قال: الحين الذي يعرف من الثمرة إلى الثمرة

قال الله تعالى: {تَوْتِي أَكَلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم: ٢٥]. ومن الحين الذي لا يعرف قوله: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر} [الإنسان: ١].

وقال أشهب في رواية أخرى: الحين الذي يعرف قوله: {تَوْتِي أَكَلَهَا كُلِّ حِينٍ} [إبراهيم: ٢٥] فهذا سنة، والحين الذي لا يعرف قوله: {ومتاعا إلى حين} [النحل: ٨٠]، فهذا حين لا يعرف. وقد قال سعيد بن المسيب: إن الحين في هذه الآية من حين تطلع الثمرة إلى أن

ترطب، ومن حين ترطب إلى أن تطلع. والحين ستة أشهر، ثم قال: يقول الله: {تَوْتِي أَكَلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} [إبراهيم: ٢٥]. ومن الحين المجهول قوله: {ولتعلمن نبأه بعد حين} [ص: ٨٨].

قال القاضي: الذي اختاره مالك في الصحيح سنة، واختار أبو حنيفة ستة أشهر، وتباين العلماء والأصحاب من كل باب على حال احتمال اللفظ. وأصل المسألة الذي تدور عليه أن الحين المجهول لا يتعلق به حكم، والحين المعلوم هو الذي تتعلق به الأحكام، ويرتبط به التكليف، وأكثر المعلوم سنة. ومالك يرى في الأيمان والأحكام أعم الأسماء والأزمنة، وأكثرها استظهارا. والشافعي يرى الأقل؛ لأنه المتعين. وأبو حنيفة توسط، فقال: ستة أشهر. ولا معنى لقوله؛ لأن المقدرات عنده لا تثبت قياسا، وليس فيه نص عن صاحب الشريعة؛

وإنما المعول على المعنى بعد معرفة مقتضى اللفظ لغة، وهو أمر يختلف باختلاف الأمثلة. اهـ (٨٣٩)

- قال تعالى {يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ

اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (٢٧)

في هذه الآية الكريمة بشري من الله تعالى لمن آمن بالله تعالى ولم يظلم أو يطغي بالثبات من فتنة الحياة الدنيا والحياة البرزخية بعد الموت .. قال العلامة ابن العثيمين - رحمه الله مبينا فوائد وأحكام من الآية قال: هذه الفتنة يجب علينا أن نؤمن بها، فقد ثبتت هذه الفتنة في الكتاب والسنة، أما في الكتاب فعلى طريق الإشارة في قوله تعالى: (يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم: ٢٧) ، وأما في السنة فالأحاديث بذلك مشهور معلومة، فيجب علينا أن نؤمن بها. وفي هذه المسألة مباحث، منها:

المبحث الأول: متى تكون هذه الفتنة؟ هل هي بخروج الروح أو بتسليم الإنسان إلى عالم الآخرة؟ والجواب الثاني: أما مجرد خروج الروح فلا يحصل به فتنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أرادوا دفن الميت، يقول: (أسرعوا بالجنازة؛ فإن تكن سالحة فخير تقدمونها إليه)) (٨٤٠) ، وهذا يدل على أنها لا تصل

٨٣٩ - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٩١/٣)

٨٤٠ - {خرج البخاري نحوه برقم/ ١٣١٥ - بابُ السَّرْعَةِ بِالْجِنَازَةِ وَلَفْظُهُ «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنَّ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سَوَى ذَلِكَ، فَسَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»

إلى ذلك الخير ما دامت في أيديهم، وعلى هذا فإذا مات ميت ووضع في الثلاجة للتحقق من موته، وأسبابه، فإنه لا يفتن، ولا يأتيه ملكان حتى يدفن.

المبحث الثاني: هل هذا خاص بالمقبور لقوله: (إذا دفن الميت) أو يشمل كل ميت؟ والجواب: أن هذا ليس خاصاً بالمقبور بل يشمل كل ميت، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا دفن الميت... الخ))، بناءً على الأغلب، وما قيد بقيد أغلبي فلا مفهوم له، وعلى هذا فإذا ألقى الإنسان في البر، أو القي في البحر ومات هناك، فإنه يأتيه الملكان ويفتن.

المبحث الثالث: هل هذه الفتنة عامة لكل أحد أو يخرج منها من يخرج بإذن الله؟ والجواب: أن هذه الفتنة يخرج منها من يخرج بإذن الله، ومن ذلك: أولاً: غير المكلف، فإن كثيراً من أهل العلم قالوا: إن غير المكلف لا يسأل لأنه غير مكلف؛ سواء أجاز بخطأ أو صواب، فما دام التكليف رفع عنه في الدنيا فإنه يرفع عنه في الآخرة.

وقال بعض العلماء: بل يأتيه الملكان ويسألانه، وهو إذا كان محكوماً بإيمانه فإنه سوف يجيب بالصواب، ولا يبعد أن الله عز وجل يكلف هذا الصغير، وأن الصغير يجيب بالصواب، فهذا هو عيسى بن مريم كان في المهدي، وما انتقدوا على أمه أشارت إليه، (قَالَ إِبْنُ عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (مريم: ٣٠) (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) (مريم: ٣١) (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (مريم: ٣٢) (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (مريم: ٣٣) كل هذا قاله وهو في المهدي فهؤلاء الأطفال الذين يموتون، أو المجانين - وإن كانوا غير مكلفين - فإن الله تعالى قادر على أن ينطقهم في القبر بما يشاء.

مسألة:

إذا قلنا: أن غير المكلف لا يسأل في قبره فلو كلف ثم زال تكليفه يعني كان بالغ ثم أصيب بجنون هل يسأل؟ والجواب: الظاهر أنه يسأل لأنه أتى عليه زمن التكليف.

ثانياً: ومما يستثنى الشهيد؛ فالشهيد الذي قتل في سبيل الله لا يسأل، كما جاء ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: ((كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)) (٨٤١)، فإن هذا الرجل الذي وقف أمام السيوف وسلم رقبته للعدو، يدل فعله هذا أكبر دلالة على صحة إيمانه، وحينئذ لا يحتاج إلى سؤال.

ثالثاً: ومما يستثنى: النبي؛ فإنه لا يسأل؛ لأن النبي مسؤول عنه، حيث يقال: ما دينك؟ من نبيك؟ ولأنه إذا كان الشهيد لا يسأل، فالنبي أعلى درجة منه، وإن كانت الأمور في الآخرة ليس فيها قياس، لكننا نقول: إن النبي عنده من اليقين أكثر مما عند الشهيد، ولا شك في هذا، ولهذا نقول: إن النبي لا يسأل. اهـ (٨٤٢)

-ولشيخ الإسلام ابن تيمية فائدة جلييلة ذكرها في مجموع الفتاوي قال: ولقد كان من أصول الإيمان: أن يثبت الله العبد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما قال تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون} {ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}. والكلمة: أصل العقيدة. فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله. وأخبت الكلام والعقائد: كلمة الشرك وهو اتخاذ إله مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له ولهذا قال سبحانه: {ما لها من قرار} ولهذا كان كلما بحث الباحث وعمل العامل على هذه الكلمات والعقائد الخبيثة لا يزداد إلا ضلالاً وبعداً عن الحق وعلماً ببطلانها كما قال تعالى: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب} {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠) -النور}. فذكر سبحانه مثلين: - (أحدهما: مثل الكفر والجهل المركب الذي يحسبه صاحبه موجوداً وفي الواقع يكون خيالاً معدوماً كالسراب وأن القلب عطشان إلى الحق كعطش الجسد إلى الماء. فإذا طلب ما ظنه ماء وجد سراباً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. وهكذا تجد عامة هؤلاء الخارجين عن السنة والجماعة. اهـ (٨٤٣)

تم الجزء الثالث عشر والله الحمد والمنة

يوم الجمعة ١٦ جمادى الأولى سنة ١٤٣٩هـ - الموافق ٢ فبراير سنة ٢٠١٨ م

٨٤٢ - انظر شرح العقيدة السفارينية - الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية

لابن العثيمين (ص/٤٣٣) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض

٨٤٣ -- انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية - (٧٤/٤) - الناشر دار الوفاء